مآثر الإنافة

في

معالم الخلافة

للقلقشندي

٧٥٦ - ٨٢٠ هـ

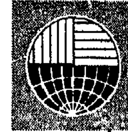
الجزء الثالث

تحقيق

عبد الستار أحمد فراج

عالم الكتب





بيـروت - المزرعة بنـايـة الايـمـان - الـطابـق الأول - ص . ب . ٨٧٢٣
تلفون : ٣٠٦١٦٦ - ٣١٥١٤٢ - ٣١٣٨٥٩ - برقياً : نابعلبكي - تلكس : ٢٣٣٩٠

البـــاب الرابـــع

فيما يـــكتب عن الخلفاء لأَتباعهم من أرباب المناصب من العهود ، وفيه فصلان :

الفصل الأَول

فيما يـــكتب عنهم من العهود للملوك ، وهو المستمر مما كان يـــكتب عنهم من الولايات إلى الآن ، وللـــكتاب فيه أَربعة مذاهب .

المذهب الأَول

أَن يفتتح العهد بعد البسملة بلفظ : هذا ، مثل أَن يقال : هذا عَهْدٌ عَهِد به فلان لفلان . وهذا ما عهد فلان لفلان ، أَو هذا ما أَمر به فلان فلانا ، أَو هذا كتاب اكتتبه فلان لفلان ، وما أَشبه ذلك ، ثم يقال : أَمره بـــكذا ، وأَمره بـــكذا ، حتى يأْتى على ما يُؤْثِره من المأْثورات المتعلقة بالعهد مما يناسب الحال إلى آخر القصد . ثم زاد الـــكُتَّاب أَن يقال فى آخر العهد : هذا عهد أَمير المؤمنين إليك ، وحجته عليك ، أَو نحو ذلك ، ويؤتى بما يطابق المقصـــد ،

وهذه هى طريقة الأقدمين من السلف فمن بعدهم فى صدر الإسلام ، وما وليه ، وعليه جرى المُحَقِّقون من متأَخِّرى الكُتَّاب بالدولة العباسية بالعراق ، وإلى (١٩٢ ب) حين انقراضها إلا فى القليل النادر مما سيأْتى ذكره ، مما شذ عن ذلك ، وعلى هذا المنوال نسج أفاضل كُتَّابِ الديار المصرية فيما كتبوا به لملوك الديار المصرية ، إلا أَنهم عدلوا عن لفظ « أمره » إلى ما يتضمن معنى الأَمر دون تصريح بلفظه .

والأَصل فى ذلك ما ورد أَن النبى صلى الله عليه وسلم حين وجه عَمْرَو بنَ حزمٍ إلى اليمن كتب له كتاب عهد أَمَره فيه أَمْره .

وهذه نسخته [1]

فيما ذكره ابنُ هشام وغيرُه .

هذا بيانٌ من الله ورسوله ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ [2] . عهد من محمد النبي رسول الله لعمرِو بن

(١) صبح الأعشى حـ ١٠ ص ٩ وهذه نسخته بعد البسملة فيما ذكره ابن هشام وغيره .

(٢) سورة المائدة الآية ١

حَزم [١] ، أَمره بتقوى الله فى أَمره كُلِّه ، فإن ﴿ اللهَ مَعَ الَّذِين اتَّقُوا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ [٢] . وأَمره أَن يأْخذ بالحق كما أَمره الله ، وأَن يبشر الناس [٣] بالخير ويأْمرهم به ، ويعلم الناس القرآن ويفقههم فيه ، وينهى الناس فلا يمس القرآن إنسانٌ إلاّ وهو طاهر ، ويخبر الناس بالذى لهم والذى عليهم ، ويَلِين للناس فى الحق ، ويشتد عليهم فى الظلم . فإن الله كره الظلم ونهى عنه ، فقال ﴿ أَلاَ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ [٤] ويُبشِّر الناس بالجنة وبعَمَلِها ، وينذر الناسَ النارَ وعَمَلَها ، ويتأَلَّف [٥] الناسَ حتى يَفْقَهوا فى الدين ، ويُعلِّم الناس معالمَ الحجِّ وسُنَّتَه وفريضته ، وما أَمر الله به ، والحَجَّ الأَكبرَ والحجَّ الأَصغرَ وهو العمرة [٦] ، وينهى الناسَ أَن يُصَلِّيَ أَحدٌ فى ثوب واحد صغير إلاّ أَن يكون ثوبا يَثْنِى طَرَفَيْه على عاتقيه ، وينهى أَنْ

---

(١) في سيرة ابن هشام حـ ٣ ص٧٢ : لعمرو بن حزم [حين بعثه إلى اليمن] .

(٢) سورة النحل الآية ١٢٨

(٣) في الأصل : وأمره أن يأخذ الحق كما أمره الله وأن ينشد الناس . والتصويب من صبح الأعشى .

(٤) سورة هود الآية ١٨

(٥) في صبح الأعشى : ويستألف الناس .

(٦) في صبح الأعشى : والحج الأكبر الحج الأكبر والحج الأصغر هو العمرة .

يَحتَبِـى أَحد فى ثوب واحد يُفضِي بفرجه إلى السماء ، وينهـى فلا يَعْقِص أَحدٌ شعر رأْسه فى قَفاه ، وينهـى إذا كان بين الناس هَيْـجٌ عن الدعاء إلى القبائل والعشائر ، وليـكن دعواهم إلى الله [عز وجَلَّ] وحده لا شريك له ، فمن لم يدع (١٩٣ ا) إلى الله ودعا إلى القبائل والعشائر فليُقْطَعُوا بالسيف حتى تـكون دعواهم إلى الله وحده لا شريك له .

[ويأْمر الناس بإِسباغ الوضوء : وجوههم وأَيديهم إلى المرافق وأَرجلهم إلى الـكعبين ، ويمسحون بوجوهم كما أَمرهم الله] .

وأَمره بالصلاة لوقتها وإتمام الركوع والخضوع (١) ويُغَلِّس بالصبح ، ويُهجِّر بالظهر حتى تَميل الشمس ، وصلاةُ العصر والشمسُ فى الأَرض مدبرة ، والمغرب حين يقبل الليل ، لا تُؤَخَّرحتَّى تبدوَ النجوم فى [السماء] ، والعشاء أَوَّل الليل . وأَمره بالسعى إلى الجمعة إذا نودى لهـا ، والغُسلِ عند الرواح إليهـا . وأَمره أَن يأْخذ من المغانم

(١) في صبح الأعشى : وإتمام الركوع [والسجود] والخشوع .

خُمسَ الله وما كُتب على المؤمنين فى الصدقة فى العقار[1] عُشر ما سقت العَيْن وسقت السماء ، وعلى ما سقى الغَرْبُ[2] نصف العشر ، وفى كل عشر من الإبل شاة ، وفى كل عشرين أَربع شياه ، وفى كل أَربعين من البقر بقرة ، وفى كل ثلاثين من البقر تَبِيع [جَذَع] أَو جَذَعة ، وفى كل أَربعين من الغنم سائمة وحدَها شاةٌ ، فإنها فريضة الله تعالى التى افترض على المؤمنين فى الصدقة ، فمن زاد خيرا فهو خير له . وأَنه من أَسلم من يهودى أَو نصرانى إسلاما خالصا من نفسه ، ودان بدين الإسلام ، فإنه من المؤمنين ، له مثل مالهم ، وعليه مثل ما عليهم ، ومن كان على نَصرانيته أَو يَهوديته فإنه لا يُرَدُّ عنها ، وعلى كُلِّ حالِمٍ ذكرٍ أَو أُنثى ، حرٍّ أَو عبدٍ دينارٌ وافٍ أَو عوضه ثيابا ، فمن أَدَّى ذلك فإن له ذِمَّةَ الله وذمةَ رسوله ، ومن منع فإنه عدو لله ولرسوله وللمؤمنين جميعاً ، صلوات الله على محمد والسلام عليه ورحمة الله وبركاته .

---

(1) العقار بضم العين : خيار الكلأ والعقار بفتح العين : النخل .

(2) الغرب : الدلو الكبيرة ويراد ما كان بعمل وسقى بالأيدى .

وعلى هـذا الأُسلوب

كتب أَمير المؤمنين علىٌّ بن أَبى طالب كرم الله وجهه عهدَ مالكِ الأَشتر[1] النَّخَعى ، حين ولَّاه مصر ، وهو من العهود البليغة ، جمع (١٩٣ ب) فيه بين معالم التقوى وسياسة الملك .

وهذه نسختـه[2]

هذا ما أَمر علىٌّ أَمير المؤمنين مالكَ بن الحارث الأَشتر فى عهـده إليه حين ولاه مصر : جباية خراجها ، وجهاد عدوها ، واستصلاح أَهلها ، وعمارة بلادها ، وأَمره بتقوى الله وإيثار طاعتـه ، واتباع ما أَمر به فى كتابه من فريضته[3] وسنته ، التى لا يسعد أَحد إلا باتباعها ، ولا يشقى إلا مع جحودها وإضاعتها ، وأَن ينصر الله تعالى بيده وقلبه ولسانه ، فإنه جل اسمه قد تـكفل بنصر من نصره ، وإعزاز من أَعزه . وأَمره أَن يـكسر من نفسه عند الشهوات ، ويَزَعَها عند الجَمَحات ، فإن النفس لأَمارة بالسوء إلا ما رحم الله .

(١) في الأصل « بن الأشتر »
(٢) صبح الأعشى حـ ١٠ ص ١٢
(٣) في صبح الأعشى : من فرائضه ، وسننه التي . . . . .

ثم اعلم يا مالك أنى قد وجهتُك إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك : من عــدل وجور ، وأن الناس يبصرون [1] من أُمورك [مثل] ما كنت تنظر فيه من أَمر الولاة قبلك ، ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم . وإنما يُستدل على الصالحين بما يُجْرِى الله لهم على أَلسن عباده ، فليــكن أَحب الذخائر إليك [2] العمل الصالح . فامْلِكْ هواك ، وشُحَّ بنفسك عما لا يحل لك ، فإن الشــح بالنفس الانتصافُ منها فيما أَحبت وكرهت ، وأَشعِرْ قلبك بالرحمة للرعية ، والمحبة لهم ، واللطف بهم ، ولا تــكونَنَّ عليهم سَبُعا ضاريا ، تغتنم أُكلهم ، فإنهم صنفان : إما أَخ لك فى الدين ، وإما نظير لك فى الخُلُق : يَفرُطُ منهم الزلل ، وتَعرض لهم العلل ، ويؤتى على أَيديهم فى العَمد والخطإ ، فأَعطهم من عفوك وصفحك مثل الذى تحب أَن يعطيك الله من عفوه وصفحه ، فإنك فوقهــم [3] ووالى الأَمر عليهم فوقك ، والله فوق من ولاَّك . وقد استكفاك أَمرهم ، (١٩٤ ا) وابتلاك بهم ، ولا تَنْصِبَنَّ نفسَك لحرب الله ،

---

(١) في صبح الأعشى : ينظرون .

(٢) في صبح الأعشى : فليكن أحب العمل إليك ذخيرةً العمل . . . .

(٣) في الأصل فإنك تريهم . والتصويب من صبح الأعشى .

فإنه لا يَدَ لَكَ[1] بنقمته ، ولا غنى بك عن عفوه ورحمته ، ولا تندمنَّ على عفو ، ولا تَبَجَّحَنَّ بعقوبة ، ولا تسرعن إلى زيادة [2] وجدت عنها مندوحة ، ولا تقولن إنى امرؤ آمر فأُطاع : فإن ذلك إدغال فى القلب ، ومهلكة فى الدين ، وتقرُّبٌ من الغَثَر[3] ، فإذا أَحدث لك ما أَنت فيه من سلطانك أُبهةً أَو مَخِيلة فانظر إلى عِظَم مُلْك الله تعالى فوقك ، وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك ، فإن ذلك يُطامن إليك من طماحك ، ويكف عنك من غِرَّتك [4] ويفىء إليك بما عَزُب عنك من عقلك ، وإياك ومساماة الله فى عظمته ، والتشبه به فى جبروته ، فإن اللهَ يُذِلّ كلَّ جبار ، ويهين كل مختال .

أَنصف الله وأَنصف الناس من نفسك ومن خاصة أَهلك ، ومَنْ لك فيه هوًى من رعيَّتك ، فإنك إلاَّ تفعلْ تَظْلِمْ ، ومن ظلم عبادَ الله كان الله خصمه دون عباده ، ومن خاصمه الله أَدحض الله حجته ، وكان لله حربا حتى

---

(1) في صبح الأعشى : لايدى لك بنقمته .

(2) في صبح الأعشى : ولا تسرعن إلى بادرة .

(3) في صبح الأعشى : وتقرب من الغِيَر .

(4) في صبح الأعشى : من غربك .

ينزع ويتوب ، وليس شيء أَدْعى إلى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من إقامة على ظلم [فإن الله سميع يسمع دعوة المظلومين وهو للظالمين بالمرصاد] وليكن أَحب الأُمور إليك أَوسطها في الحق وأَعملها في العدل[1] ، وأَجمعها لرضى الرعية ، فإن سخط العامة يجحف برضى الخاصة ، وإن سخط الخاصة يُغتفر مع رضى العامة ، وليس أَحد من الرعية أَثقل على الوالي مؤونة في الرخاء ، وأَقل معونة له في البلاء ، وأَكثر للانتصاف[2] واسأَل بالإلحاف ، وأَقلّ شكرا عند الإعطاء ، وأَبطأَ عذرا عند المنع ، وأَضعف صبرا عند ملمات الدهر ، من أَهل الخاصة ؛ وإنما عمودُ الدين ، وجِماعُ المسلمين ، والعُدّةُ للأَعداءِ ، العامَّةُ من الأُمة ، فليكن صفوك لهم ، وميلك معهم ، وليكن أَبعدُ رعيتك منك ، وأَشنأُهم عندك ، أَطلبَهم لمعايب الناس : فإن للناس عيوبا والوالي أَحقُّ بسترها ، فلا تكشفنَّ عما غاب عنك منها ، فإنما عليك تطهير ما ظهر [لك] ، والله يحكم على ما غاب عنك (١٩٤ ب) منها ، فاستُر العورة

---

(١) في صبح الأعشى : وأعمها .

(٢) في صبح الأعشى : « وأكره للإنصاف » وهو الأصوب المناسب للمقام .

ما استطعتَ يستر الله ما تحب ستره من عيبك .

أطلق عن الناس عُقدة كل حِقد ، واقطع عنهم سبب كل وتْر ، وتَجَافَ عن كلّ ما لاَ يَصِحُّ لك ، ولا تعجلنّ إلى تصديق ساع ، فإن الساعيَ غاشٌّ وإن تشبَّه بالناصحين ، ولا تُدخِلَنَّ فى مشورتك بخيلا يَعْدل بك عن الفضل ، ويعدك الفقر ، ولا جبانا يُضعفك عن الأُمور ، ولا حريصاً يزين لك الشَّرَهَ بالجور ، فإن البخل والجبن والحرص غرائز شتَّى يجمعها سوء الظن بالله .

شر وزرائك من كان للأَشرار قبلك وزيرا ، ومن شاركهم فى الآثام ، فلا يكونُنَّ لك بطانة ، فإنهم أعوان الأَثَمَة ، وإخوان الظلمة ، وأنت واجد منهم خير الخلفِ ، من له مثلُ آرائهم ونفاذهم ، وليس عليه مثل آصارهم وأوزارهم ، ممن لم يعاونْ ظالماً على ظلمه ، ولا آثما على إثمهِ ، أُولئك أَخفُّ عليك مئونة ، وأَحسن لك معونة ، وأَحنى عليك عطفا ، وأَقل لغيّك[1] إلفا ، فاتخذ أُولئك خاصَّة لخلواتك [وحفلاتك] ، ثم ليكن آثرهم عندك أَقْولهم [لك] بمرّ الحقّ ، وأَقّلهم مساعدة فيما يكون

(١) في صبح الأعشى : « لغيرك » وهى أليق .

منك مما كره الله لأَوليائه ، واقعا ذلك من هواك حيث وقَع ، والْصق بأَهـــل الصدق والورع ، ثم رُضْهُم عـلى أَن لا يَضُرُّوك [1] ولا يبجحوك بباطل لم تفعله ، فإن كثرة الإِصغاء[2] تحدث الزَّهْو ، وتُدْنى من الغِرَّة ، ولا يكونَنَّ المحسنُ عندك والمسيء بمنزلة واحدة ، فإن فى ذلك تَرْهِيبا لأَهل الإِحسان ، وتدريبا لأَهل الإِساءة [3]

وإنك لا تدرى إذا جـــاء ســائـــل
أأَنت بما تُعطيه أَم هُـــــو أَسْعَـــدُ

عسى سائـــلٌ ذو حـــاجـــة إن منعته
من اليوم سُؤْلاً أَنْ يــكون له غَـــدُ

وفى كثرة الأَيدِى عن الجهل زاجـــر
ولَلْحِلْمُ أَبقـــى للرجال وأَعْـــــودُ

---

(١) في صبح الأعشى : « ألاّ يُطْروك » وهى أحسن .

(٢) في صبح الأعشى : الإطراء .

(٣) في صبح الأعشى تزهيداً لأهل الإحسان [في الإحسان] وتدريبا لأهل الإساءة [في الإساءة] هذا وزيادة ما بين الأقواس هى نقل عن كتاب مفتاح الأفكار وشرح نهج البلاغة أما أصل صبح الأعشى فخال من الزيادة .

(١٩٥ ا)   وعلى هذا النمط

كتب أبو إسحاق الصابى عن الخليفة الطائع ، لفخر الدولة بن ركن الدولة بن بويه فى جمادى الأُولى سنة ست وستين وثلاثمائة .

وهذه نسخته [١]

هذا ما عَهِدَ عبد الله عبد الكريم [الإمام] الطائع [٢] لله أَميرُ المؤمنين إلى فخر الدولة أَبى [الحسن بن ركن الدولةِ أَبى] علىّ مولى أَمير المؤمنين حين عرف غناءه وبلاءه واستنصح دينَه ويقينَه ، ورعى قديمَه وحديثَه ، واستنجب عُودَه ونِجارَه ، وأَثنى عز الدولة أَبو منصور بنُ معز الدولة أَبى الحسين مولى أَمير المؤمنين [أَيده الله] [٣] عليه ، وأَشار بالمزيد فى الصنيعة إليه ، وأَعلم أَمير المؤمنين اقتداءه به فى كل مذهب ذهب فيه فى الخدمة ، وغرض رمى إليه من النصيحة ، دخولا فى زمرة الأَولياء [٤] ، وتصرفا على

---

(١) صبح الأعشى ﺣـ ١٠ ص ١٥

(٢) أضيف في صبح الأعشى نقلا عن رسائل الصابى والمثل السائر لفظة [الإمام] الطائع .

(٣) أضيف في صبح الأعشى نقلا عن رسائل الصابى والمثل السائر عبارة [أيده الله] .

(٤) أضيف في صبح الأعشى نقلا عن رسائل الصابى والمثل السائر عبارة [المنصورة ، وخروجا عن جماعة الأعداء المدحورة].

•وجبات البيعة التى هى بعز الدولة أبى منصور منوطة ، وعلى سائر من يتلوه ويتبعه ظاهرة [1] مشروطة ، فقلده الصلاةَ وأعمالَ الحرب ، والمَعاونَ والأَحداثَ ، والخَراجَ ، والأَعشار ، والضِّياعَ ، والجَهْبَذَةَ ، والصدقات ، والجوالىَ ، وسائر وجوه الجبايات [والعَرْض] والعطاء [2] والنفقة فى الأَولياء [والمظالم وأسواق الرقيق] [3] والغيار فى دور الضرب والطُّرُز والحِسْبة بِكُوَر هَمَذَانَ ، وأَسْتَراباذَ ، والدِّينَوَر ، وَقَرْمِيسِينَ ، والإيغَارَيْن ، [وأعمال] أَذربيجان [4] وأَرَّان ، والسَّحانِين ، ومُوقانَ . واثقا منه باستبقاء النعمة واستدامتها ، والاستزادة بالشكر منها ، والتجنب لغَمْطِها وجُحودها ، والتنكُّب لإيحاشها وتنفيرها ، والتعمد لما مَكَّنَ له الحُظْوَةَ والزلفى ، وحرس عليه الأُثرةَ والقربى ، بما يظهره ويضمره من الوفاء الصحيح ، والولاء الصريح ، والغيب الأَمين ، والصدر السليم ، والمقاطعة لكل من قاطع العُصبة ، وفارق الجملة ،

---

(١) في صبح الأعشى مأخوذة مشروطة .

(٢) أضيف في صبح الأعشى نقلا عن رسائل الصابى والمثل السائر [والعرض] والعطاء .

(٧) الزيادة عن صبح الأعشى نقلا عن رسائل الصابى والمثل السائر .

(٤) أضيف في صبح الأعشى نقلا عن رسائل الصابى والمثل السائر لفظة [وأعمال] أذربيجان .

والمواصلة لـكل (١٩٥ ب) من حَمَى البيضـةَ وأخلص النية ـ والـكونِ تحت ظل أمير المؤمنين وذمته ، ومـع عز دولتـه أبى منصور فى حوزته ، والله جل اسمهُ يعرِّف لأمير المؤمنين حسن العقبى فيما أبرم ونقض ، وسدادَ الرأى فيمن رفـع وخفض ، ويجعـل عزائمه مقرونة بالسلامة ، محجوبة عن موارد الندامة ، وحسب أمير المؤمنين الله ونعم الوكيل .

أَمَره بتقوى الله التى هى العصمة المتينة ، والجنـة الحصينة ، والطود الأرفـع ، والمعاذ الأمنـع ، والجانب الأعز ، والملجـأُ الأحرز ، وأن يستشعرها سرا وجهـرا ، ويستعملهـا قولا وفعـلا ، ويتخذها ذخرا نافعا [(١)] لنوائب القدر ، وكهفا حاميا من حوادث الغِير ، فإنها أوجب الوسائل ، وأقرب الذرائع ، وأَعْوَدُها على العبد بمصالحه ، وأدعاها إلى كل مناجحه [(٢)] وأولاها بالاستمرار عـلى هدايتـه ، والنجاة من غوايتـه ، والسلامة فى دنياه ، حين تُوبِقُ موبقاتُها ، وتردى مردياتها ، وفى آخرته حين

---

(١) في صبح الأعشى : ردْءًا دافعا .

(٢) في صبح الأعشى : سبل مناجحه .

تروّع رائعاتها ، وتخيف مُخيفاتها ، وأن يتأدب بآداب الله فى التواضع والإخبات ، والسكينة والوقار ، وصدق اللهجة إذا رمق ، وكظم الغيظ إذا حَنِق [١] ، وحفظ اللسان [٢] إذا غضب ، وكف اليد عن المآثم ، وصون النفس عن المحارم ، وأن يذكر الموت الذى هو نازل به ، والموقف الذى هو صائر إليه ، ويعلم أنه مسئول عما اكتسب ، مَجْزِىٌّ عما تزمَّك [٣] واحتقب ، ويتزود من هذا الممر ، لذاك المقر ، ويستكثر من أعمال الخير لتنفعه ، ومن مساعى البرّ لتنقذه ، ويأْتمر بالصالحات قبل أن يَأْمُرَ بها ، ويزدجر عن السيئات قبل أن يَزْجُرَ عنها ، ويبتدئ بإصلاح نفسه قبل إصلاح رعيّته ، فلا يبعثهم على ما يأْتى ضده ، ولا ينهاهم عما يقترف مثله ، ويجعل ربه رقيبا عليه فى خلواته ، ومروءته مانعة من شهواته ، فإن أحق من غلب سلطان الشهوة ، وأولى من صرع أعداءَ الحَمِيّة ، من (١٩٦ ا) مَلَكَ أَزِمّة الأمور ،

(١) في صبح الأعشى : وكظم الغيظ إذا أحفظ .

(٢) في صبح الأعشى : وضبط اللسان . . . .

(٣) في صبح الأعشى: ترمك وفي هامشه أنه في رسائل الصابي : تزمل . هذا وتزمك من زمك القربة ملأها .

واقتدر على سياسة الجمهور ، وكان مطاعا فيما يرَى ، متَّبَعا فيما يشاء ، يلي عـــلى الناس ولا يَلْون عليه ، ويقتصُّ منهم ولا يقتصُّون منه [1] ، فإذا اطلع الله منه على نقاء جيبه ، وطهارة ذيله ، وصحة سريرته ، واستقامة سيرته ، أعانه على حفظ ما استحفظه ، وأنهضه بثقل ما حمّله ، وجعل له مخلصاً من الشبهة ومخرجا من الحَيْرة ، فقد قال تعالى ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً . وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ ﴾ [2] وقال عزَّ من قائل ﴿ يأَيُّهـــا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقاتِهِ ولاَ تَمُوتُنَّ إلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [3] وقال ﴿ اتَّقُوا اللهَ وكُونُوا مَعَ الصّادِقِينَ ﴾ [4] إلى آيٍ كثيرة حضّنا بها عـــلى أكرم الخلق ، وأسلم الطرق ، فالسعيد من نصبها إزاء ناظره ، والشقيُّ من نبذها وراء ظهره ، وأشقى منهما من بَعَثَ عليها وهو صادفٌ عنها ، وأهاب إليها وهو بعيد منها ، وله ولأمثاله يقول الله تعالى ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالبِرِّ وتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وأَنْتُم تَتْلُونَ

---

(١) في الأصل ويقبض منهم ولايقبضون منه .

(٢) سورة الطلاق الآية ٢ و٣

(٣) سورة آل عمران الآية ١٠٢

(٤) سورة التوبة الآية ١١٩

الْـكِتَابَ أَفلاَ تَعْقِلُونَ﴾ (١) وأمره أن يتخذ كتاب الله إماما متبعا ، وطريقا مُتَوَقَّعا (٢) ويكثر من تلاوته إذا خلا بفكره ، ويملأ بتأمله أرجاءَ صدره ، فيذهب معه فيما أباح وحَظَر ، ويقتدى [به] إذا نهى وأمر ، ويستبين ببيانه إذا استغلقت دونه المعضلات ، ويستضىء بمصابيحه إذا غُمّ عليه فى المشكلات ، فإنه عُرْوة الإسلام الوثقى ، ومحجّته الوسطى ، ودليله المُقنع ، وبرهانه المرشد ، والكاشف لظُلَم الخطوب ، والشافى من مرض القلوب ، والهادى لمن ضلّ ، والمتلافى لمن زلّ ، فمن نجا (٣) به فقد فاز وسلم ، ومن لَهَا عنه فقد خاب وندم ، قال الله تعالى ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ . لا يَأْتِيهِ الْباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ولا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (٤) . وأمره أن يحافظ على الصلوات ، ويدخل فيها فى حقائق الأَوقات ، قائماً على حدودها ، (١٩٦ب) متبعاً لرسومها ، جامعا فيما بين نيته ولفظه ، متوقيا

(١) سورة البقرة الآية ٤٤.

(٢) كذا هى في أصول صبح الأعشى والأصل الذى بين أيدينا والمثل السائر أما في اللسان فيقال طريق موقع «على وزن معظم» : مذلل .

(٣) في صبح الأعشى : فمن لهج به .

(٤) سورة فصلت الآيتان ٤١ ، ٤٢

لمطامح سهوه ولحظه ، منقطعا إليها عن كل قاطع لها ، مشغولا بها عن كل شاغل عنهـا ، متثبتاً فى ركوعهـا وسجودها ، مستوفيا عدد مفروضها ومسنونها ، موفِّرا عليها ذهنه ، صارفا إليهـا همه ، عالما بأنه واقف بين يدى خالقه ورازقه ، ومحييه ومميته ، ومعاقبـه ومثيبه ، لا يُسْتَرُ دونه خائنة الأَعين وما تخفى الصدور ، فإذا قضاها على [هذه السبيل] منذ تكبيرة الإحرام إلى خاتمة التسليم ، أَتْبَعَهَا بدعَاء يرتفـع بارتفاعها [ويُستمع باستماعها] [1] ولا يتعدى فيه مسائل الأَبرار ، ورغائب الأَخيـار ، من استصفاح واستغفار ، واستقالة واسترحام ، واستدعاء لصالح الدين والدنيا ، وعوائد الآخرة والأُولى ، فقد قال تعالى ﴿إِنَّ الصَّلاةَ كانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِين كِتَاباً مَوْقُوتا﴾ [2] وقال تعالى ﴿وأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ والْمُنْكَرِ﴾ [3] وأمره بالسعى فـى أَيام الجُمَـع فى المساجد الجامعة ، وفى الأعياد إلى المصليات الضاحية ، بعد التقدم فى فرشهـا وكسوتها ، وجمـع القُوّام والمؤذنين والمـكبرين فيها ،

---

(١) أضيف في صبح الأعشى نقلا عن رسائل الصابي المطبوعة [ويستمع باستماعها] .

(٢) سورة النساء الآية ١٠٣

(٣) سورة العنكبوت الآية ٤٥

واستسعاء الناس إليها ، وحضهم عليها ، آخذين الأُهبة ، متنظفين فى البِزَّة ، مؤدين لفرائض الطهارة ، وبالغين فى ذلك أقصى الاستقصاء [1] ، معتقدين خشية الله وخيفته ، مدَّرِعينَ تقواه ومراقبته ، مكثرين من دعائه - عز وجل - وسؤاله ، مصلين على محمد رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله ، بقلوب على اليقين موقوفة ؛ وهمم إلى الدين مصروفة ، وألسن بالتسبيح والتقديس فصيحة ، وآمال فى المغفرة والرحمة فسيحة ، فإن هذه المصلَّيات والمتعبَّدات بيوت الله التى فضلها ، ومناسكه التى شرفها ، وفيها يتلى القرآن [ومنها تُرتفع الأَعمال . وبها يلوذ اللائذون] ، [2] ويعوذ العائذون ، ويتَعبد المتعبدون ، ويتهجد المتهجدون ، وحقيق على المسلمين أَجمعين - من والٍ ومُوَلَّى عليه - أَن يصونوها ويعمروها ، ويواصلُوها ولا يهجروها ، (١٩٧ ا) وأن يقيموا الدعوة على منابرها لأَمير المؤمنين ثم لأَنفسهم على الرسم الجارى فيها ، قال الله تعالى فى هذه الصلاة ﴿يـأَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إذا نُودِىَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعةِ فَاسْعَوْا إِلَى

(١) في صبح الأعشى : أقصى الاستطاعة .

(٢) أضيفت هذه الزيادة في صبح الأعشى نقلا عن رسائل الصابي والمثل السائر .

ذِكْرِ اللهِ وذَرُوا الْبَيْعَ ﴾ [1] وقال فى عمارة المساجد ﴿ إِنَّما يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ والْيَوْمِ الْآخِرِ وأَقَامَ الصَّلاةَ وآتَى الزَّكاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللهَ فَعَسَى أُولئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ [2] .

وأمره أن يرعى أحوال من يليه ، من طبقات جند أمير المؤمنين ومواليه ، ويطلق لهم الأرزاق ، فى وقت الوجوب والاستحقاق ، وأن يحسن فى معاملتهم ، ويجمل فى استخدامهم ، ويتصرف فى سياستهم : بين رفق من غير ضعف ، وخشونة من غير عنف ، مثيباً لمحسنهم ما زاد بالإبانة [3] فى حُسْن الأَثر ، وسلم معها من دواعى الأَشَر ، ومتغمِّدا لمسيئهم ما كان التغمد له نافعا ، وفيه ناجعا ، فإن تكررت زلاته ، وتتابعت عثراته ، تناوله من عقوبته بما يكون له مصلحا ، ولغيره واعظا ، وأن يختص أكابرهم وأماثلهم وأهل الرأى والخطر منهم بالمشاورة فى العلم ، والاطلاع على بعض المهم ، مستخلصاً نخائل قلوبهم بالبسط والإدناء ، ومستشحذا بصائرهم بالإكرام والاحتفاء

(١) سورة الجمعة الآية ٩

(٢) سورة التوبة الآية ١٨

(٣) الكلمة في الأصل غير منقوطة وتبعنا صبح الأعشى .

فإن فى مشاورة هذه الطبقة استدلالا على مواقع الصواب وتحرزا من غلط الاستبداد ، وأخذا لمجامع الحزامة ، وأمنا من مفارقة الاستقامة ، وقد حض الله تعالى على الشورى فى قوله لرسوله صلى الله عليه وسلم ﴿ وشاوِرْهُمْ فى الْأَمْرِ فإذا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِين ﴾ [1].

وأمره أن يعمد لما يتصل بنواحيه من ثغور المسلمين ، ورباط المرابطين ، ويَقسم لها قسما وافرا من عنايته ، ويصرف إليها طَرَفاً بل شَطْرًا من رعايته ، ويختار لَها أهل الجَلَد والشدة ، وذوى البأْس والنجدة ، ممن عجمته الخطوب ، (١٩٧ ب) وعركته الحروب ، واكتسب دربة بخدع المتنازلين [2] ، وتجربة بمكائد المتقارعين ، وأن يستظهر بكشف عددهم ، واختيار عُددهم ، وانتخاب خيلهم ، واستجادة أسلحتهم ، غير مُجمِّر بَعْثاً إذا بَعَثَه ، ولا مستكرهه إذا وجَّهه ، بل يناوب بين رجاله مناوبة تريحهم ولا تملهم ، وترفههم ولا تَؤُودهم ، فإن ذلك من فائدة الإجمام ، والعدل فى الاستخدام ، وتنافس رجال

(١) سورة آل عمران الآية ١٥٩

(٢) فى صبح الأعشى : بخدع المتناوبين .

النوب فيما عاد عليهم بعد الظفر والنصر ، وبعد الصيت والذكر ، وإحراز النفـع والأجر ، ما يحق أن يكون الولاة به عاملين ، وللناس عليه حاملين ، وأن يكرر فى أسماعهم ، ويثبت فى قلوبهم ، مواعيد الله لمن صابر ورابط ، وسمح بالنفس وجاهد ، من حيث لا يقدمون على تورط غِرَّة ، ولا يحجمون عن انتهاز فرصة ، ولا ينـكصون عن تورد معركة ، ولا يلقون بأيديهم إلى التهلـكة ، فقد أخذ الله تعالى ذلك على خلقه والمرامين عن دينـه ، وأن يزيح العلة فيما يحتـاج إليه من راتب نفقات هذه الثغور وحادثها ، وبناء حصونها ومعاقلها ، واستطراق طرقها ومسالكها ، وإفاضة الأقوات والعلوفات للمتربين فيها وللمترددين إليها والحامين لها ، وأن يبـذل أمانَهُ لمن يطلبه ، ويعرضه على من لم يطلبه ، وَيفِيَ بالعهد إذا عاهد ، وبالعَقْد إذا عاقد ، غيرمُخْفر ذمة ، ولا جارح أمانة ، فقد أمر الله تعالى بالوَفاء فقال جل من قائل ﴿ يـأَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ [1] ونهـى عن النـكث فقال عز من قائل ﴿ فَمَنْ نَـكَثَ فَإِنَّما يَنْـكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾ [2] .

(١) سورة المائدة الآية ١

(٢) سورة الفتح الآية ١٠

وأمره أن يَعْرِضَ مَنْ فى حُبُوس عمله على مراتبهم [وإنعام النظر فى جناياتهم وجرائمهم] [1] فمن كان إقراره واجبا أقره ، ومن كان إطلاقه سائغا أطلقه ، وأن ينظر فى الشرطة والأحداث نظر عدل وإنصاف ، ويختار لها من الولاة من يخاف اللهَ تعالى ويتقيه ، ولا يُحابى ولا يراقب الله فيه ، ويتقدم إليهم بقمع الجُهّال ، وردع الضُّلاّل ، وتتبع الأشرار ، (١٩٨ ا) وطلب الدُّعّار ، مستدلين على أماكنهم ، متوغلين إلى مكامنهم ، متولِّجين عليهم فى مظانهم . متوثقين ممن يجدونه منهم ، منفذين أحكام الله تعالى فيهم، بحسب الذى يتبين من أُمورهم ، ويتضح من فعلهم ، فى كبيرة ارتكبوها ، وعظيمة احتقبوها ، ومهجة أفاضوها واستهلكوها ، وحرمة أباحوها وانتهكوها ، فمن استحق حدا من حدود الله المعلومة أقاموه عليه غير مخففين منه ، وأَحَلُّوه به غير مقصرين عنه ، بعد ألا يكون عليهم فى الذى يأتون به حجة ، ولا تعترضهم فى وجوبه شبهة ، فإن المستحب [2] فى الحدود أن تقام بالبينات ، وأن تدرأ

(١) أضيفت الزيادة من صبح الأعشى نقلا من رسائل الصابى . وفي صبح الأعشى على جرائرهم فمن كان إقراره .

(٢) في صبح الأعشى : فإن الواجب . . . . .

بالشبهات ، فأولى ما تَوَخّاه رعاةُ الرعايا فيها ألا يقدموا عليها مع نقصان ، ولا يتوقفوا عنها مع قيام دليل وبرهان ، ومن وجب عليه القتل احتاط عليه بمثل ما يُحتاط به على مثله : من الحبس الحصين ، والتوثق الشديد ، وكتب إلى أمير المؤمنين بخبره ، وشرْح جنايته ، وثبوتها بإقرار يكون منه ، أو شهادة تقع عليه ، ولينتظر من جوابه ما يكون عمله بحسبه ، فإن أمير المؤمنين لا يُطْلِق سفك دم مسلم أو معاهد إلا ما أحاط به علما ، وأتقنه فهما ، وكان ما يمضيه فيه عن بصيرة لا يخالطها شك ولا يشوبها ريب . ومن ألَمَّ بصغيرة من الصغائر ، ويسيرة من الجرائر ، من حيث لم يُعرف له مثلها ، ولم تتقدم له أختها ، وعظهُ وزجره ، ونهاه وحذره ، واستتابه وأقاله ، ما لم يكن عليه خصم فى ذلك يطالب بقصاص منه ، وجزاء له ، فإن عاد تناوله من التقويم والتهذيب ، والتغْرِيب [1] والتأْديب ، بما يرى أنه قد كفى فيما اجترم ، ووفَى فيما قدم ، فقد قال تعالى ﴿ومنْ يَتَعَدَّ

(١) في صبح الأعشى « التعزير » هذا والتعزير هو اللوم والتأديب وهو أصلح للمعنى ، وكلمة التغريب أيضا صالحة للمقام .

حُدُودَ اللهِ فَأُولٰئِـكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (١)

وأمره أن يُعَطِّل ما فى أعماله من الحانات والمواخير ، ويطهرها من القبائح والمناكير ، ويمنع من تجمع أهل الخنا فيها ، ويؤلف شملهم بها : فإنه (١٩٨ ب) شَمْلٌ يصلحه التشتيت ، وجمع يحفظه التفريق ، وما زالت هذه المواطن الذميمة ، والمطارح الدنية ، داعية لمن يأوى إليها ، ويعكف عليها ، إلى ترك الصلوات ، وركوب المنكرات ، واقتراف المحظورات ، وهى بيوت الشيطان التى فى عمارتها لله مغضبة ، وفى إخرابها للخير مجلبة ، والله تعالى يقول لنا معشر المؤمنين ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وتُؤْمِنُون بِاللهِ ﴾ (٢) ويقول عز من قائل لغيرنا من المذمومين ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضاعُوا الصَّلاَةَ واتَّبَعُوا الشَّهَواتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ (٣).

وأمره أن يُولِّى الحماية فى هذه الأعمالِ أَهْلَ الكفاية

(١) سورة البقرة الآية ٢٢٩

(٢) سورة آل عمران الآية ١١٠

(٣) سورة مريم الآية ٥٩

والغناء من الرجال ، وأن يضم إليهم كل من خف ركابه ، فأسرع عند الصريخ جوابه ، مرتّبا لهم فى المسالح ، وسادًّا بهم ثُغَرَ المسالك ، وأن يوصيهم بالتيقظ ، ويأخذهم بالتحفظ ، ويزيح عللَهم ، فى عُلُوفة خيلهم ، والمقرر من أزوادهم — وَمِيرِهم ، حتى لا يثقل لهم على البلاد وطأة ، ويدعوهم إلى تَحيُّفهم وتَلْمِهِم حاجة ، وأن يَحُوطوا السابلة بادئة وعائدة ، ويتداركوا القوافل صادرة وواردة ، ويحرسوا الطرق ليلا ونهارا ، ويتقصوها رواحا وإبكارا ، وينصبوا لأهل العبث الأَرصاد ، ويتمكنوا لهم بكل واد ، ويتفرقوا عليهم حيث يكون التفرق مضيقا لفضائهم ، ومؤدياً إلى انفضاضهم ، ويجتمعوا حيث يكون الاجتماع مطفئا لجمرتهم ، وصادعا لمرْوَتهم ، ولا يُخْلوا هذه السبل من حماة لها وسيّارة فيها : يترددون فى جواديها ، ويتعسفون فى عواديها ، حتى تكون الدماء محقونة ، والأموال مصونة ، والفتن محسومة ، والغارات مأمونة ، ومن حصل فى أيديهم من لص خاتل ، وصعلوك خارب ، ومخيف لسبيل ، ومنتهك لحريم ، امْتُثِل فيه أمر أمير المؤمنين الموافق لقول الله عز وجل ﴿ إِنَّما جَزاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِى الْأَرْضِ

فَسَادًا (١٩٩ ا) أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّع أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنْ الْأَرْضِ ذٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى الدُّنْيا ولَهُمْ فِى الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [١] .

وأمره أن يوضع الرصَد على من يَجْتاز فى أعماله من أُبَّاق العبيد، والاحتياط عليهم وعلى من يكون معهم، والبحث عن الأماكن التى فارقوها، والطرق التى استطرقوها، ومواليهم الذين أَبِقُوا منهم ونَشَزوا عنهم، وأن يردوهم عليهم قهرا، ويعيدوهم إليهم صُغْرا، وأن يُنشدوا الضالة بما أمكن أن تُنْشد، ويحفظوها على ربها بما جاز أن تحفظ، ويتجنبوا الامتطاء لظهورها والانتفاع بأوبارها وألبانها مما يُجَزّ ويحلب، وأن يُعرِّفوا اللُّقطَة ويتبعوا أثرها، ويُشيعوا خبرها، فإذا حضر صاحبها وعلم أنه مستوجبها سُلِّمت إليه، ولم يُعترض فيها عليه، فإن الله عز وجل يقول ﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِها ﴾ [٢] ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « ضالة المؤمن حَرَقُ النار » . [٣]

---

(١) سورة المائدة الآية ٣٣
(٢) سورة النساء الآية ٥٨
(٣) انظر النهاية لابن الأثير حـ ١ مادة حرق .

وأمره أن يوصى عماله بالشد على أيدى الحكام ، وتنفيذ ما يصدر عنهم من الأحكام ، وأن يحضروا مجالسهم حضور الموقِّرين لها ، الذابِّين عنها ، المقيمين لرُسُوم الهيبة وحدود الطاعة فيها ، ومن خرج عن ذلك من ذى عقل سخيف ، وحِلْم ضعيف ، نالوه بما يردعه ، وأحلُّوا به ما يَزَعُه ، ومتى تقاعس متقاعس عن حضورٍ مع خصم يستدعيه ، وأمرٍ يُوجِّه الحاكم إليه فيه ، أو التوى ملتوٍ بحق يحصل عليه ، ودين يستقر فى ذمته ، قادوه إلى ذلك بأَزمّة الصَّغار ، وخزائم الاضطرار ، وأن يُحبَسُوا ويطلقوا بقولهم ، ويثبتوا الأَيدى فى الأَملاك والفروج وينزعوها بقضاياهم ، فإنهم أُمناء الله فى فصل ما يفصلون ، وَبتِّ مَا يَبُتُّون ، وعن كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم يُوردون [ويُصدرون] وقد قال تعالى ﴿ يا داودُ إنَّا جَعَلْناكَ خَلِيفَةً فِى الْأَرْضِ فَاحْكُمْ (١٩٩ب) بَيْنَ النَّاسِ بالْحَقِّ ، ولا تتَّبع الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ إنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِما نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ (١) ، وأن يتوخى بمثل هذه المعاونة

---

(١) سورة ص الآية ٢٦

عمـــال الخراج فى استيفـــاء حقوق ما استعملوا عليه ، واستيصاف بقائهم [1] فيه ، والرياضة لمن تسوء طاعته من مُعامليهم ، وإحضارهم طائعين أو كارهين بين أيديهم ، فمن آداب الله تعالى للعبد الذى يَحق عليه أن يتخذها [أدبا] [2] ، ويجعلها إلى الرضى عنه سببا ، قوله تعالى ﴿ وتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ والتَّقْوَى ولا تَعَاوَنُوا عَـلَى الْإِثْمِ والعُدْوانِ واتَّقُوا اللهَ إنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [3] .

وأمره أن يجلس للرعية جلوساً عامًّا ، وينظر فى مظالمها نظرا تامًّا ، يساوى فى الحق بين خاصها وعامها ، ويوازىَ فى المجالس بين عزيزها وذليلها ، وينصف المظلوم من ظالمه ، والمغصوب من غاصبه ، بعد الفحص والتأمل والبحث والتبيين ، حتى لا يحـكم إلا بعدل ، ولا ينطق إلا بفصل ، ولا يُثَبِّت يدا إلا فيما وجب تثبتها فيه ، ولا يقبضها إلا عما وجب قبضهـا عنه ، وأن يسهـل الإذنَ لجماعتهم ، ويرفع الحجاب بينه وبينهم ، ويوليهم من حصانـة الـكَنَف ، ولين المُنْعَطَف ، والاشتمـال

---

(١) في صبح الأعشى : واستنطاف بقاياهم فيه .

(٢) الزيادة في صبح الأعشى نقلا عن رسائل الصابي المطبوعة والمثل السائر .

(٣) سورة المائدة الآية ٢

والعناية ، والصون والرعاية ، ما يتعادل به أقسامهم ، وتتوازى[1] منه أقساطهم ، ولا يصل المسكينُ منهم إلى استضامة من تأخر عنه ، ولا ذو السلطان إلى هضيمة من حلَّ دونه ، وأن يدعوهم إلى أحسن العادات [والخلائق] [2] ، ويحضهم على أَحمد [3] المذاهب والطرائق ، ويحمل عنهم كَلَّه ، ويمد عليهم ظِلَّه ، ولا يسومهم عسفا [4] ولا يُلحق بهم حيفا ، ولا يكلفهم شَطَطا ولا يجشِّمهم مضلعا ، ولا يَثْلِم لهم معيشة ، ولا يداخلهم فى جريمة ، ولا يأْخذ بريئا [منهم] بسقيم ، ولا حاضرا بعديم ، فإن الله عز وجل نهى أن تَزِرَ وازرةٌ وِزْرَ أُخرى ، وجَعَلَ كلَّ نفس (٢٠٠ ا) رهينة بمكسبها ، بريئة من مكاسب غيرها . ويرفعَ عن هذه الرعية ما عسى أن يكون سُنَّ عليها من سنة ظالمة ، وسُلِك بها من محجة جائرة ، ويستقرىَ آثار الولاة قبله عليها ، فيما أزجَوْه من خير أَو شر إليها ، فيُقرَّ من ذلك ما طاب وحسن ، ويزيل ما خَبُثَ وقبح :

(١) في صبح الأعشى : وتتوازن .

(٢) الزيادة من صبح الأعشى نقلا عن المثل السائر . وفي الأصل : ولا يصل إلى ركين منهم إلى استطامة ماتأخر عنه ولا ذا السلطان . . . .

(٣) في صبح الأعشى : أجمل .

(٤) في صبح الأعشى : خسفا .

فإن من يغرس الخير يحظى بمعسول ثمره ، ومن يزرع الشر يَصْلَى بممرور ريعه ، والله تعالى يقول : ﴿ والْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ والَّذِى خَبُثَ لا يَخْرُجُ إلا نَكِدًا كَذٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴾ (١).

وأمره أن يصون أموال الخراج وأثمان الغلات ووجوهَ الجبايات موفَّرا ، ويزيد ذلك مثمِّرا ، بما يستعمله من الإنصاف لأهلها ، وإجرائهم على صحيح الرسوم فيها : فإنه مالُ الله الذى به قوة عباده ، وحماية بلاده ، ودُرُور حَلَبِه ، واتصال مَدده ، وبه يحاط الحريم ، ويُدفع العظيم ، ويُحمى الذمار ، وتُذاد الأشرار ، وأن يجعل افتتاحه إياه بحسب إدراك أصنافه ، وعند حضور مواقيته وأحيانه ، غيرَ مستسلِف شيئا قبلها ، ولا مؤخِّر لها عنها ، وأن يخص أهل الطاعة والسلامة بالترْفيه لهم ، وأهل الاستصعاب والامتناع بالشدّ (٢) عليهم ، لئلا يقع إرهاق لمذعن ، أو إهمال لطامع . وعلى المتولى لذلك أن يضع كلاًّ من الأمر موضعه ، ويوقعه موقعه ، متجنبا

(١) سورة الأعراف الآية ٥٨

(٢) في صبح الأعشى : بالتشدد .

إحلال الغلظة من لا يستحقها ، وإعطاء الفسحة من ليس من أهلهـا ، والله تعالى يقول ﴿وأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسانِ إلاَّ ما سَعَى. وأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى . ثُمَّ يُجْزاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى﴾ (١)

وأمـره أن يتخيّرَ عمـاله عـلى الأعشار ، والخـراج ، والضياع ، والجهبذة ، والصدقات ، والجوالى ، من أهل الظَّلَف والنزاهة ، والضبط والصيانة ، والجَزالة والشهامة ، وأن يستظهر مع ذلك عليهم بوصية تعيها أسماعهم ، وعهود تتقلدها أعناقهم ، بأن لا يضيّعوها حقا ، ولا يأْكلوها سحتا (٢٠٠ ب) ولا يستعملوها ظلما ، ولا يقارفوا غَشْما ، وأن يقيموا العمارات ، ويحتاطوا [على الغلاّت] (٢) ويتحرزوا من ترك حق لازم ، أو تعطيل رسم عادل ، مؤدين فى جميع ذلك الأمانة ، متجنبين للخيانة ، وأن يأْخذوا جهابذتهم باستيفاء وزن المـال على تمامه ، واستجادة نقده على عياره ، واستعمال الصحة فى قبض ما يقبضون ، وإطلاق ما يطلقون ، وأن يوعزوا إلى سعاة الصدقات بأخذ الفرائض من سائمة مواشى المسلمين دون عاملتها ،

(١) سورة النجم الآيات ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١

(٢) أضيفت الزيادة في صبح الأعشى نقلا عن الرسائل والمثل السائر .

وكذلك الواجب فيهـا ، وأن لا يجمعوا فيهـا متفرقا ولا يفرقوا مجتمعا ، ولا يدخلوا فيهـا خارجا عنهـا ، ولا يضيفوا إليها ما ليس منها ، من فحل إبل أو أكولة راع ، أو عقيلة مال ، فإذا اجتبوها على حقها ، واستوفوها على رسمها ، أخرجوها في سلها ، وقسّموها على أهلها الذين ذكرهم الله في كتابه ، إلا المؤلفةَ قلوبهم الذين ذكرهم الله عز وجل في كتابه وسقط[1] سهمهم ، فإن الله تعالى يقول ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[2] وإلى جُباة [جماجم][3] أهل الذمة أن يأخذوا منهم الجزيةَ في المحرَّم من كل سنة [بحسب] منازلهم في الأحوال ، وذات أيديهم في الأموال ، وعلى الطبقات المطبقة فيها ، والحدود [المحدودة][4] المعهودة لها ،وأن لا يأخذوها من النساء ، ولا ممن لم يبلغ الحُلُمَ من الرجال ، ولا من ذي سن عالية ،

(١) هذه العبارة لم ترد في صبح الأعشى .
(٢) سورة التوبة الآية ٦٠
(٣) وردت الزيادة في صبح الأعشى نقلا عن رسائل الصابي .
(٤) وردت الزيادة في صبح الأعشى نقلا عن رسائل الصابي .

ولا ذى علة بادية ، ولا فقير معدم ، ولا مترهب متبتل ، وأن يراعِىَ جماعة هؤلاء العمال مراعاة يُسرّها ويظهرها ، ويلاحظهم ملاحظـة يخفيها ويبديها ، لئلا يزولوا [1] عن الحق الواجب ، أو يعدلوا عن السنن اللاحب ، فقد قال تعالى ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً ﴾ [2] .

وأمره أن يَنْدُبَ لعَرْض الرجال وإعطائهم ، وحفظ جراياتهم وأوقات إطعامهم ، من يعرفه بالثقة فى مُتَصَرَّفه ، (٢٠١ ا) والأمانة فيما يجرى على يده ، والبعد عن الإسفاف إلى الدنيّة ، والاتباع للدناءة ، وأن يبعثه على ضبط [حِلَى] الرجال وشيات الخيل ، وتجديد العرض بعد الاستحقاق ، وإيقاع الاحتياط فى الإنفاق ، فمن صحّ عرضه ولم يبق فى نفسه شيء منه : من شك يعرض له ، أو ريبة يتوهمها ، أطلق أموالهم موفورة ، وجعلها فى أيديهم غير مثلومة ، وأن يرد على بيت المـال أرزاق من سقط بالوفاة والإخلال ، ناسباً ذلك إلى جهته ، مورداً له على حقيقته ، وأن يطالب الرجال بإحضار الخيل المختارة ، والآلات والسكك

(١) في الأصل « يزرعوا » أو « يندعوا » والتصويب من صبح الأعشى .

(٢) سورة الإسراء الآية ٣٤

المستكملة [1] ، على ما يوجب منافع أرزاقهم [2] ، وحسب منازلهم ومراتبهم ، فإن أخمد [3] أحدُهم شيئاً من ذلك قاصّه به [4] من رزقه ، وأغرمه مثل قيمته ، فإن المقصر فيه خائن لأمير المؤمنين ، ومخالف لرب العالمين ، إذ يقول سبحانه ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [5] .

وأمره أن يعتمد فى أسواق الرقيق ودُورِ الضَّرْبِ والطُّرُز والحِسبة على من يجتمع فيه آلات هذه الولايات : من ثقة وأمانة ، وعلم وكفاية ، ومعرفة ودراية ، وتجربة وحُنْكَة ، وحصافة ومُسْكة ، فإنها أحوال تُضارع الحُكم وتناسبه ، وتدانيه وتقاربه ، وأن يتقدم إلى ولاة أسواق الرقيق بالتحفظ فيمن يطلقون بيعه ، ويمضون أمره ، والتحرز من وقوع تَخَوُّن فيه ، وإهمال له ، إذ كان ذلك عائدا بتحصين الفروج ، وتطهير الأنساب ،

(١) في صبح الأعشى جـ ١٠ ص ٢٩ والآلات المستكملة المستعملة .

(٢) في صبح الأعشى جـ ١٠ ص ٢٩ على ما توجبه مبالغ أرزاقهم .

(٣) في صبح الأعشى جـ ١٠ ص ٢٩ فإن أخر .

(٤) في الأصل قاصصه .

(٥) سورة الأنفال الآية ٦٠

وأن يَبعـدوا من أهل الريبة ، ويَقْربوا من أهل العفة ، ولا يُمضُوا بيعا على شبهة ، ولا عقدا على تهمة ، وإلى وُلاة العِيار بتخليص عين الدرهم والدينار ، ليـكونا مضروبَيْنِ على البراءَة من الغش ، والنزاهة مِنَ الزيف [1] وتخصيصه بالإمام [2] المقرّر بمدينة السلام ، وحراسة السكك من أن تتداولها الأَيدى المُدغِلة ، وتتناقلها الجهات المبطلة [3] (٢٠١ ب) وإثبات اسم أَمير المؤمنين عـلى [ما يضرب منها ذهبا وفضة ، وإجراء ذلك عـلى الرسم والسنة ، وإلى ولاة الطرز بأَن يجروا الاستعمال فى جميـع المناسج على أتم النيقة ، وأَسلم الطريقة ، وأَحـكم الصنعـة ، وأَفضل الصحة ، وأَن يثبتوا اسم أَمير المؤمنين] [4] على طرز الكُسا ، والفرش والأَعلام والبنود ، وإلى ولاة الحسبة أَن يتصفحوا أَحوال العوام فى حِرفهم ومتاجرهم ، ومجتمـع أَسواقهم ومعاملاتهم ، وأَن يعايروا الموازين ، والمـكاييل ، ويفرزوها على التعديل والتـكميل ، ومن

(١) في صبح الأعشى : من المش . وفسر بأنه الخلط حتى يذوب .

(٢) في صبح الأعشى : وبحسب الإمام .

(٣) في صبح الأعشى : الجهات الظنينة .

(٤) الزيادة وردت في صبح الأعشى .

اطلعوا منه على حيلة أو تلبيس ، أو نميلة أو تدليس ، أو بخس فيما يوفيه ، أو استفضال فيما يستوفيه ، نالوه بغليظ العقوبة وعظيمها ، وخصوه بوجيعها وأليمها ، واقفين به فى ذلك عند الحد الذى يرونه لذنبه مجازيا ، وفى تأْديبه كافيا ، فقد قال الله تعالى ﴿ وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ . الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ . وإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ (١) .

هذا عهد أَمير المؤمنين إليك ، وحجته عليك ، وقد وقفك به على سواء السبيل ، وأَرشدك فيه إلى واضح الدليل . وأَوسعك تعليما وتحكيما ، وأَقنعك تعريفاً وتفهيما ، ولم يأْلُكَ جهدا فيما عصمك وعصم على يدك ، ولم يدَّخرك ممكنا فيما أَصلح بك وأَصلحك ، ولا ترك لك عذرا فى غلط تغلطه ، ولا طريقاً إلى تورّط تتورطه ، بالغا بك فى الأَوامر والزواجر إلى حيث يلزم الأَئمة أَن يندبوا الناس إليه ، ويحثوهم عليه ، مقيما لك على منجيات المسالك ، صارفا بك عن مرديات المهالك ، مريدا فيك ما يسلِّمك فى دينك ودنياك ، ويعود بالحظ

(١) سورة المطففين ، الآيات ١ ، ٢ ، ٣

عليك فى آخرتك وأُولاك ، فإن اعتدلت وعدلت فقد فزت وغنمت ، وإن تجانفت واعوججت فقد خسرت وندمت ، والأَوْلَى بك عند أَمير المؤمنين مع مَغْرِسك الزاكِى ، ومنبتك النامى ، وعودك الأَنجب ، وعنصرك الأَطيب ، أَن تكون لظنه فيك محقِّقا ، ولِمَخِيلته فيك مصدِّقا ، وأَن تسنزيد [1] بالأَثر الجميل قُربا [من رب العالمين] [2] وثوابا يوم الدين ، وزلفى عند أَمير المؤمنين ، وثناء حسنا (١٢٠٢) من المسلمين ، فخذ ما نبذ إليك أَمير المؤمنين من معاذيره ، وأَمسكْ بيدك على ما أَعطى من مواثيقه ، واجعل عهده مثالا تحتذيه ، وإماما تقتفيه ، واستعن بالله يُعنك ، واستهده يَهدك ، وأَخلص إليه فى طاعته يُخلص لك الحظَّ من معونته ، ومهما أَشكل عليك من خَطْب ، أَو أَعضل عليــك من صَعْب ، أَو بهرك من باهر ، أَو بهظــك من باهظ ، فاكتب إلى أَمير المؤمنين مُنْهِيا ، وكن إلى ما يرد عليك منتهيا [3] إن شاءَ الله تعالى ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته

---

(١) في الأصل أن تسير.

(٢) الزيادة في صبح الأعشى نقلا عن رسائل الصابى المطبوعة .

(١) في صبح الأعشى حـ ١٠ ص ٣١ « .. به منهيا وكن على ما يرد عليك [من جوابه] منتهيا » والزيادة عن رسائل الصابى .

وعلى هذا النهج جرى الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي فيما كتب به للعادل كُتْبغا المنصورى عن الحاكم الأَول ، وهو الإمام الحاكم بأَمر الله أَحمد بن الحسين (١) .

وهذه نسخته (٢)

هذا عهد شريف فى كتاب مرقوم يشهده المقربون ، ويُفَوِّضه آل رسول الله صلى الله عليه وسلم الأَئمَّة الأَقربون. من عبد الله ووليه الإمامِ الحاكم بأَمر الله أَبي العباس أَحمد أَمير المؤمنين ، وسليل الخلفاء الراشدين ، والأَئمة المهدِيّين ، رضوان الله عليهم أَجمعين ، إلى السلطان الملك العادل ، زين الدنيا والدين كُتْبغا المنصورى أَعز الله سلطانه .

أَما بعد فإن أَمير المؤمنين يحمد إليك الله الذى جعل له منك سلطانا نصيرا ، وأَقام له بملكك على ما ولاه من أُمور خلقه عضدا وظهيرا ، وآتاك بما نهضت به من طاعته نعيما وملكا كبيرا ، وخوَّلك بإقامة ما وراءَ سريره من مصالح

(١) في صبح الأعشى بهامشه نقلا عن ابن إياس : هو أحمد بن على بن أبى بكر . وفي خطط المقريزى أحمد بن أبى على الحسن . أما في الأصل ج ٢ ص ١١٦ فهو كما أثبته هنا في الأصل صحيحا .

(٣) صبح الأعشى حـ ١٠ ص ٤٧

(٢٠٢ ب) الإسلام بكل أرض منبرا وسريرا ، وجاء بلك لإعانته على ما استخلفه الله فيه من أُمور عباده على قَدَر وكان ربك قديرا ، وجمع بك الأُمّة بعد أن كاد يَزيغ قلوبُ فريق منهم ، وعضدك لإقامة إمامته بأَولياء دولتك الذين رضى الله عنهم ، وخصك بأَنصار دينه الذين نهضوا بما أُمروا به من طاعتك وهم نازهون [١] ، وأظهرك على الذين ﴿ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاء الْحَقُّ وَظَهَر أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَارِهُون ﴾ [٢] واصطفاك لإقامة الدين وقد اختلفت الأَهواء فى تلك المدة ، ولمَّ بك شعث الأُمة بعد الاضطراب فكان موقفُك ثَمَّ موقفَ الصديق يوم الردة .

ويشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة حاكم بأَمره ، مستنزل لك بالإخلاص ملائكةَ تأْييده وأَعوان نَصْره ، مسترهِفٍ بها سَيْفَ عزمك على من جاهره بشركه وحاربه بكفره ، معتصمٍ بتوفيقه فى تفويضه إليك أمر سره الذى استُودِعه فى الأُمة وجهره ، ويصلى

(١) فى الأصل وهم كارهون والتصويب من صبح الأعشى . والنازه العفيف .

(٢) سورة التوبة الآية ٤٨

على سيدنا محمد رسوله الذى استخرجه الله من عنصره وذويه ، وشرّف به قَدْرَ جده بقوله فيه : « عَمُّ الرجل صِنْو أَبيه ».وأَسَرَّ إليه بأَن هذا الأَمر فُتح به ويُختم ببنيه ،وعلى آله وصحبه والخلفاء الراشدين من بعده ، الذين قَضَوْا بالحق وبه كانوا يعدلون ، وجاهدوا أَئمة الكفر الذين لا إيمان لهم والذين هم بربهم يعدلون ، وسلَّم تسليما كثيرا .

وإن أَمير المؤمنين لما آتاه الله من سر النبوة ، واستودعه من أَحكام الإمامة الموروثة عن شرف الأُبوة ، واختصه من الطاعة المفروضة على الأُمم ، وفرض عليه من النظر فى الأَخَصِّ من مصالح المسلمين والأَعم ، وعَصَمَ آراءه ببركة آبائه من الخَلَلِ ، وجعل سهم اجتهاده هو المصيبَ أَبدا فى القول والعمل ، وكان السلطان فلان هو الذى جمع اللهُ به كلمَة الإسلام وقد كادت ، (١٢٠٣) وثبَّت به الأَرضَ وقد اضطربت بالأَهواء ومادت ، ورفع به منار الدين بعد أَن شمخ الكفرُ بأَنفه ، وأَلّف به شمل المسلمين وقد

طمح العدو إلى افتراقه وطَمِع فى خُلْفه ، [وحفظ به فى الجهاد حكم الكتاب الذى ﴿ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ ﴾] (١) وحمى به الممالك الإسلامية فما شام الكفرُ منها برقَ ثغرٍ إلا رُمى من وَباله بوابل ، ولا أطلق عِنان طَرْفه إلى الأَطراف إلا وقع من سطوات جنوده فى كُفَّة حابل ، ولا اطمأَنوا فى بلادهم إلا أَتتهم سراياه من حيث لم يرتقبوا ، ولا ظنوا أَنهم مانعتهم حصونهم من الله إلا وأَتاهم جنوده من حيث لم يحتسبوا ، وأَلف جيوش الإسلام فأَصبحت على الأَعداء بيمنه يدا واحدة ، وقام بأُمور الأُمة فأَمست عيون الرعايا باستيقاظ سيوفه فى مهاد الأَمن راقدة ، وأَقام منار الشريعة المطهرة فهى حاكمة له وعليه ، نافذٌ أَمرُها على أمره فيما وضع اللهُ مقاليدَه فى يديه ، ونصره الله فى مواطن كثيرة ، وأَعانه على من أَضمر له الشقاق ﴿ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّها لَكَبِيرَةٌ ﴾ (٢) وأَظفره بمن بغى عليه فى يومه بعد حلمه عنه فى أَمسه ، وأَيده على الذين خانوا عهدَه ﴿ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ

(١) سورة فصلت الآية ٤٢ . والزيادة من صبح الأعشى .

(٢) سورة البقرة الآية ٤٥

نَــكَثَ فَإِنَّمَا يَنْــكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾[1] وتعيّن لمُلْكِ الإسلام فلم يك يصلح إلا له ، واختاره الله لذلك فبلغ به الدِّين آماله ، وضعضع بملكه عمود الشرك وأماله ،وأعاد بسلطانه على الممالك بهجتها وعلى الملك رونقه وجلاله ، وأخدمه النصرَ فما أضمر له أحد سوءًا إلا وَزلزل أقدامه وعجّل وبالَه ، ورده إليه وقد جعل من الرعب قيودَه ومن الذعر أغلالَه ، وأوطأَ جواده هامَ أعدائه وإن أَنِفَ أن تــكون نِعالَه .

عَهِد إليه حينئذ مولانا الإمام الحاكم بـأمر الله أميرُ المؤمنين فى كل ما وراء خلافته المقدسة ، وجميــع ما اقتضته أحــكام إمامته التى هى على التقوى مؤسّسة ، من إقامة شِعَار الملك الذى جمع الله (٢٠٣ ب) الإسلام عليه ، وظهرت أُبهة السلطنة التى أَلقى اللهُ وأَميرُ المؤمنين مقاليدها إليه ، ومن الحكم الخاص والعام ، فى سائر ممالك الإسلام ، وفى كل ما تقتضيه شريعة سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ، وفى خزائن الأَموال وإنفاقها ، ومِلْك الرقاب وإعتاقها ، واعتقال الجناة وإطلاقها ، وفى كل ما هو فى يد

(١) سورة الفتح الآية ١٠

الملّة الإسلامية أو يفتحه الله بيده عليها ، وفى جميع ما هو من ضَوالٍّ الممالك الإسلامية التى سيرجعها الله بجهاده إليها ، وفى تقليد الملوك والوزراء ، وتَقْدِمة الجيوش وتأمير الأُمراء ، وفى الأَمصار ، يُقِرُّ بها من شاء من الجنود ، ويبعث إليها ومنها ما شاء من البعوث والحشود ، ويحكم فى أَمرها بما أَراه الله من الذَّبِّ عن حريمها ، ويتحكم بالعدل الذى وسم الله به لظاعنها ومقيمها ، وفى تقديم حديثها واستحداث قديمها ، وتشييد ثغورها ، وإمضاء ما عرّفه الله به وَجِهله سواه من أُمورها ، وإقرار من شاء من حكّامها ، وإمضاء ما شاء من إتقان القواعد بالعدل وإحكامها ، وفى إقطاع خواصها ، واقتلاع ما اقتضته المصلحة من عمائرها وعمارة ما شاء من قلاعها ، وفى إقامة الجهاد بنفسه الشريفة وكتائبه ، ولِقاء الأَعداء كيف شاء من [تسيير] (١) سراياه وبعث مواكبه ، وفى مُصَافَّة العدوِّ وحصاره ، ومقارعة شيعته (٢) وأَنصاره ، وغزوه كيف أَ.اه الله فى أَطراف بلاده وفى عقر داره ، وفى المَنِّ والفداء والإِرْقاق ،

(١) الزيادة من صبح الأعشى .

(٢) في صبح الأعشى : وفي مضايقة العدو وحصاره ، ومصابرته وإنظاره وغزوه . . وفي الأصل ومقاربة شيعته .

وضرب الهُدَن التى تَسْأَلُها العِدَا وهى خاضعة الأعناق ، وأخذ مُجاوِرِى العدو المخذول بما رآه الله من النكاية إذا أمكن من نواصيهم ، وحكَّم عفوه فى طائعهم وبأسه فى عاصيهم ، وإنزال ﴿ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِم ﴾ [1] وفى الجيوش التى أَلِف الأعداء فتكاتِ أُلُوفِها ، وعرفوا أن أرواحهم ودائع سيوفها ، وصبّحتهم سرايا رعبها المبثوثة إليهم ، وتركهم خوفُها ﴿ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ (١٢٠٤) يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ﴾ [2] وهم الذين ضاقت بمواكبهم إلى العِدَا سَعَةُ الفِجاج ، وقاسمت رماحهم الأعداء شر قِسْمة ففى أيديهم كعوبها وفى صدور أولئك الزِّجاج ، وأذهبت عن الثغور الإسلامية رِجْس الكفر وطَهّرت من ذلك ما جاور العذب الفراتَ والمِلحَ الأُجاجَ ، وعُرفوا فى الحروب بتسرع الإقدام ، وثبات الأَقدام ، وادّخر الله لأَيامه الشريفة أن يُرْدِفَها بهم .[3] دار السلام إلى ملك الإسلام : فيُدِرّ عليهم ما شاء من إنعامه الذى يؤكد طاعتهم ، ويجدد استطاعتهم ،

(١) سورة الأحزاب الأمة ٢٦

(٣) سورة المنافقون الآية ٤

(٣) في صبح الأعشى : وادّخر الله لأيامه الشريفة أن يرد بنهابهم دار السلام .

ويضاعف أعدادهم ، ويجعل بصفاء النيات ملائكة الله أمدادهم ، ويحملهم على الثبات إذا لقوا الذين كفروا زحفا ، ويجعلهم فى التعاضد على اللقاء كالبنيان المرصوص فإن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا ، وفى أمر الشرع وتولية قضاته وحكامه ، وإمضاء ما فرض الله عليه وعلى الأمة من الوقوف عند حدوده والمشى مع أحكامه ، فإنه لواء الله الممدود فى أرضه ، وحبله المتين الذى لا نقض لإبرامه ولا إبرام لنقضه ، وسنن نبيه الذى لا حظّ عند الله فى الإسلام لغير متمسك بسنته وفرضه ، وهو أعز الله سلطانه سَيفُ الله المشهور على الذين غَدَوْا وهم من أحكام الله مارقون ، ويده المبسوطة فى إمضاء الحكم بما أنزل الله ﴿ ومَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللهُ فَأُولئِكَ هُمُ الفاسِقُونَ ﴾ (١) وفى مصالح الحرمين الشريفين وثالثهما الذى تُشَدّ أيضا إليه الرحال ، وإقامة سبل الحجيج الذين يفدون على الله بما أصحبهم (٢) من بِرِّه وعنايته فى الإقامة والارتحال ، وفى عمارة البيوت التى ﴿أذن الله أن تُرفع ويذكر فيها اسمُه يُسبح له فيها بالغُدُوّ والآصال . رجالٌ﴾ (٣) ، وفى إقامة الخطب على المنابر ، واقتران اسمه الشريف

(١) سورة المائدة الآية ٤٧
(٢) في صبح الأعشى : يفدون على الله بما منحهم . . . .
(٣) سورة النور الآية ٣٦ ، ٣٧

مع اسمه بين كل باد وحاضر ، والاقتصار على هـذه التثنية [1] فى أقطار الأرض فإن القائل بالتثليث كافر ، وفى سائر ما (٢٠٤ ب) تشمله الممالك الإسلامية ومن تشتمل عليه شرقا وغربا ، وبعدا وقربا ، وبرا وبحرا ، وشاما ومصرا ، وحجازا وَيَمَناً ، ومن يستقر بذلك إقامة وظعنا ، وفوض إليه ذلك جميعه وكل ما هو من لوازم خلافتـه لله فى أرضه ، ما ذكر ومالم يذكر تفويضاً لازما ، وإمضاء جازما ، وعهـدا محكماً ، وعقدا فى مصالح ملك الإسلام مُحَكَّما ، وتقليدا مؤبَّدا ، وتقريرا على كر الجديدين مُجَدَّدا ، وأثبت ذلك وهو الحاكم حقيقة بما علمه من استحقاقه والحاكم بعلمه ، وأشهد اللهَ وملائكته على نفوذ حكمه بذلك ﴿ واللهُ يَحْكُمُ لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ﴾ [2] . وذلك لما صح عنده من نُهوض مُلْكه بإعباء ما حَمَّله الله من الخلافة ، وأدى به الأمانة عنه فيما كتب الله عليه من الرحمة اللازمة والرافة ، واستقلاله بأمور الجهاد الذى أقام الله به الدين ، واختصاصه وجنوده بعموم ما أمر الله به الأُمة من قوله تعالى ﴿ قاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمْ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ

(١) في الأصل هذا التنبيه .

(٢) سورة الرعد الآية ٤١

ويُخْزِهِمْ ويَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾ [1] وأنه فى الجهاد سهمه المصيب وله به أجر الرامى المسدّد ، وسيفه الذى جرّده على أعداء الدين وله من فتكاته حظُّ المُرْهَفِ المُجَرَّد ، وظل الله فى الأرض الذى مده بيمن يمينه . وآية نصره الذى اختاره الله لمصالح دنياه وصلاح دينه . الناهضُ بفرض الجهاد وهو فى مستقر خلافته وادع ، والراكض عنه بخَيْله وخَيَاله إلى العدوِّ الذى ليس له غير فتكات سيوفه [2] رادع ، والمؤدِّى عنه فرضَ النفير فى سبيل الله كلما تعيَّن ، والمنتقم له من أهل الشقاق الذين يجادلون فى الحق بعد ما تبين ، والقائم بأمر الفتوح التى تَرُدُّ بِيَعَ الكفر مساجدَ يذكر فيها اسم الله واسمُه ، ويرفع على منابرها شعارُه الشريف ورسمه ، وتُمثَّل له بإقامة دعوته صورةُ الفتح كأنه ينظر إليها ، والناظر عنه فى عموم مصالح (١٢٠٥) الإسلام وخصوصها تعظيما لقدره ، وترفيها لسره ، وتفخيما لشرفه ، وتكريما لجلالة بيته النبوى وسلفه ، وقياما له بما عهد إليه ، ووفاء

(١) سورة التوبة آية ١٤

(٢) فى صبح الأعشى : إلى العدو الذى ليس لفتكات سيوفه رادع .

من أُمور الدين والدنيـــا بما وضع مقاليـــده فى يده .

وليدل على عظيم سيرته المقدسة بـــكريم سَيْره ، وينبّه على كمال سعادته إذ قد كُفى به فى أُمور خلق الله تعالى ، والسعيد من كُفِى بغَيْره ، لم يجعل أَمير المؤمنين على يده يدا فى ذلك ، ولا فسّح لأَحد غيره فى أَقطار الأَرض أَن يُدعى بملِك ولا مالك ، بل بسط حكمه وتحَــكُّمه فى شرق البلاد [1] وغربها وما بين ذلك ، وقد فَرَض طاعته على سائر الأُمم ، وحــكَمَ بوجوبها على الخاص والعــام ، ومن ينقض حــكم الحاكم إذا حــكم ، وهو يعلم أَن الله تعــالى قد أَودع مولانـــا السلطان سرًّا يُستضاء بأَنواره ، ويُهْتدى فى مصالح المُلْك والممالك بمناره ، فجعل له أَن يفعل فى ذلك كل ما هدى اللهُ قلبَه إليه ، وبعثه بالتأْييد الإِلهى عليه ، واكتفى عن الوصايـــا بأَن الله تعـــالى تـــكفل له بالتأْييد ، وخصه من كل خير بالمزيد ، وجعل خُلُقَه التقوى وكلُّ خير فَرْعٌ عليها ، ونوّر بصيرته بالهدى فما يَدُلُّ على حسنة من أُمور الدنيا والآخرة إلا وهو السابق إليها ، والله تعالى يجعل أَيامه مؤرَّخة بالفتوح ، ويؤيده

(١) فى صبح الأعشى : شرق الأرض وغربها.

بالملائكة والرُّوح ، على من يَدَّعى الأَب والابن والرُّوح ، ويجعل أَسباب النصر معقودة بسببه ، والمُلْكَ ﴿ كَلِمَةً بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِ ﴾ (١) .

ويشهد بهذا العهد الشريف من شهده مع الملائكة المقرّبين ، كل من حضر تلاوته من سائر الناس أَجمعين : لتكون حجَّةُ الله على خلقه أَسبق ، وعهدُ أَمير المؤمنين بثبوته أَوثق ، وطاعة سلطان الأَرض قد زادها الله على خلقه بذلك توكيدا ، وشهد [الله] (٢) وملائكته على الخلق بذلك وكفى بالله شهيدا ، والاعتماد على الخط الحاكمىّ أَعلاه حجة به ، إن شاء الله تعالى .

(٢٠٥ ب) وعلى ذلك جرى الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي أَيضاً .

فيما كتب به للملك المنصور حسام الدين لاجين ، عن الحاكم الثانى وهو الحاكم بأَمر الله بن الحسين (٣) المقدّم ذكره .

---

(١) سورة الزخرف الآية ٢٨

(٢) هى أيضا مزادة في صبح الأعشى وخلا منها أصله .

(٣) في صبح الأعشى حـ ١٠ ص ٥٣ « الحاكم بأمر الله بن أبي الربيع سليمان المتقدم ذكره» وفي الهامش اعتراض على هذا .

وهذه نسخته [1]

هذا عهد شريف تشهد به الأَملاك لأَشرف الملوك ، وتسلك فيه من قواعد العهود المقدسة أَحسنَ السلوك ، من عبد الله ووليه الإمام الحاكم بأَمر الله أَمير المؤمنين ، للسلطان الملك المنصور حسام الدنيا والدين ، أبى الفتح لاجِين المنصوريّ ، أَعز الله سلطانَه .

أَما بعد فالحمد لله مؤتى الملكِ من يشاء من عباده ، ومعطى النصر من يجاهد فيه حقَّ جهاده ، ومرهفِ حسامِ انتقامه على من جاهر بعناده ، ومفوض أَمر هذا الخلق إلى من أَودعه سرَّ رأْفته فى محبته ومراد نقمته فى مراده ، وجامع كلمة الإيمان بمن اجتباه لإقامة دينه وارتضاه ليرفع عماده ، ومقر الحقِّ فى يد من منع سيفَه المجَّردَ فى سبيل الله أَن يَقِرَّ فى أَغماده ، وناصرِ من لم تزل كلمة الفتوح مستكنّة، فى صدور سيوفه جارية على أَلسنة صِعاده ، وجاعِل مُلْكِ الإسلام من حقوق مَنْ إذا عُدَّ أَهْلُ الأَرض على اجتماعهم كان هو المتعيِّنَ على انفراده ، الذى شرَّف

(1) صبح الأعشى حـ ١٠ ص ٥٣

أَسِرَّةَ مُلْكِ الإسلام باستيلاء حسام دينه عليها ، وزلزل ممالك أعدائه بما بعث من سرايا رُعْبه إليها ، وثبَّت به أركان الأَرض التى ستَحْتوى مُلْكَه فى طَرَفَيْها ، وضعضع بسلطانه قواعد ملوك الكفر فَودَّعَتْ ما كان مُودَعا لأيامه من ممالك الإسلام فى يَديْها ، وأَقامه وليَّه بأَمره فلم يختلف عليه اثنان من خلقه ، وقلّده أَمر بريّته لما أَقدره عليه من (٢٠٦ ا) النهوض بحقهم وحقه ، وأَظهره على من نصب له الغوائل ﴿ وَاللهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِه ﴾ [١] ، ونصره فى مواطن كثيرة ، لما قدّره فى القدم من رفعة شأْنه وإعلاء قَدْره ، وجعل عدوَّه وإن أَعرض عن طلبه بجيوش الرعب محصورا ، وكفاه بنصره على الأَعداء التوغلَ فى سفك الدماء فلم ﴿ يُسْرِفْ فِى الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورا ﴾ [٢] ونقل إليه المُلْكَ بسيفه والدماء مصونة ، وحكّمه فيما كان بيد غيره من الأَرض والبلاد آمنة والفتن مأْمونة ، فكان أمر من ذهب سحابة صَيْف ، أَو خَلْسَة [٣] طيف ، لم تَحُلَّ له روعة فى القلوب ، ولم يُذْعِرْها — وقد أَلبسه الله ما نَزَع

(١) سورة يوسف الآية ٢١

(٢) سورة الإسراء الآية ٣٣

(٣) فى صبح الأعشى : أو جلسة ضيف .

عن سواه ــ سالبٌ ولا مسلوب ، إجراءً لهذه الأُمة على عوائد فضله العميم ، واختصاصا بما آتاه من ملــكه ﴿ واللهُ يُؤْتِى مُلْــكَهُ مَنْ يَشَاءُ واللهُ واسِــعٌ عَلِيم ﴾ (١) .

يحمده أمير المؤمنين على ما منــح فى أيامه الدينَ من اعتضاده بحُسامه ، والاعتماد فى ملك المسلمين على من يجعل جِبَاهَ ملوكِ الشرك تحت أَقدامه ، والاعتداد بمساعى مَنْ حصونُه فى الجهاد ظهورُ جياده وقصوره أَطراف حسامِه.

ويشهد أَن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةَ حاكمٍ بما أَرَاه ، حامدٍ له فى ملك الإسلام على ما يَسَّرَ ما وطّده ودَفَــع ما عَدَاه (٢) مُعتصِمٍ به فى كل ما أَثبتهْ بالحق من قواعد الدين وأَوثقه بالتقوى من عُرَاه ، مُستمِدٍّ ملائكة نصره لمن أَغنته عزائمه فى جهاد أَعداء الدين عن سَيْره فى ذلك وسُراه (٣) ، وأَن محمدا عبده ورسوله الذى جعله من عَصَبَتَه الشريفة وعُصْبَته ، وشرّفه بوراثة خلافته فى أُمته قَدْرَ رتبته ، (٤) وقَصَره على إقامة من يُرهِب العِدا بنشر

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٤٧

(٢) في صبح الأعشى : على تَيَسُّر ما وطّده ودفع ما عراه .

(٣) في صبح الأعشى : معتصم به في كل ما أثبته الحق من قواعد الدين في جهاد أعداء الدين . . .

(٤) في صبح الأعشى أضاف المحققون على الأصل : « في أمته [ورفع] قدر » .

دعوته فى الآفاق [مع] مواقع رغبته . ويسأله أن يصلى عليه صلاة تفتح له فى الدنيا إلى العصمة طريقا ، وتجعله فى الأُخرى معه ومع الذين أنعم الله عليهم من آبائه الشهداء والصالحين ﴿وَحَسُنَ أُولٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [1] وسلَّم تسليما كثيرا (٢٠٦ ب) وإن أمير المؤمنين لما اختصه الله به من السر [2] المودع فى قلبه ، والنور الذى أصبح فيه على بينة من ربه ، والتأييد المنتقل إليه عمن شرُف بقربه ، والنص الذى أسره رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جده العباس من بقاء هذا الأمر فى ورثته دون أقاربه وصحبه ، لم يزل يرغب إلى الله تعالى ويستخيره فى إقامة من ينهض فى ملك الإسلام حق النهوض ، ويفوض أمر الأُمة [3] إلى من يرى أداء الأمانة فيهم من آكد الفروض ، ومن إذا قال النفير يا خيل الله اركبى سابقت خيلُه خيالَه ، وجازت عزائمه نِصالَه ، وأخذ عدوَّ الدين من مأْمنه ، وغالب بسيفه [4] الأجلَ على انتزاع روحه من بدنه ، وقاتل

(١) سورة النساء الآية ٦٩

(٢) في صبح الأعشى : البر .

(٣) في صبح الأعشى : أمر الأمانة .

(٤) في صبح الأعشى : وغالب سفه .

لتـكون كلمة الله هى العليا ، وجاهد لإقامة منار الإسلام لا للتعرض إلى عَرَض الدنيا ، وقـدَّمت له ملوك الدنيـا حصونَها ، وبذلت له مع الطاعةِ مصُونَها ، وأُقيم له بكل قُطر منبر وسرير ، وجمـع ملوكَ العِدا فى رق طاعته مَنْ هو عـلى جمعهم إذا يشاء قدير ، ومن يقيم العدل عـلى ما شُرع ، والشرع على ما أُخذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وسُمع ، ويميت البِدَع بإحياءِ السنن ، ويعلم أن الله جعل لخلقه على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم سَنَنا ولا يعدل بهم عن ذلك السنن .

ولمـا كان السلطان الملك المنصور حسام الدنيا والدين أبو الفتـح « لاچين المنصورى » - خلد الله سلطانه - هو الذى جعل [الله] [1] صلاح الأُمة على يديه ، واختاره لإقامة دينه فساق مُلْكَ الإسلام عَنْوَةً إليه ، وأنهضـه بذلك وقد أمده بجنود نصره ، وأنزل سكينته عليه ، وجمع قلوب أهل الإسلام على حبـه ، وفرّق أعداء الدِّين خوفُ حربه ، وجعل النصرَ حيث توجه من أشياعه [2] وحزبه ،

(١) الزيادة من صبح الأعشى .

(٢) في صبح الأعشى : أشياخه .

وعضده لنصرة الإسلام بملائكة سمائه ، وأقام به عمودَ الدين الذى بالسيف قام ولا غرو [1] فإن الحسام من أسمائه . وأقبلتْ إليه طوائف (٢٠٧ ا) جيوش الإسلام مذعنين ، وأدى فى كرامتهم حقوق طاعة الله الذى أيده بنصره وبالمؤمنين ، وتلقاهم بشير كرامته ونعمه وقال : ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين ، وطارت مخلقات البشائر بملكه فى الآفاق ، وأُغصّ العدا بسلطانه فما توهموا فى أمر الإسلام الاختلاف حتى تحققوا بحمد الله ويمن أيامه الوفاق ، واختالت المنابر الإسلامية بذكر أمير المؤمنين وذكره . وأعلنت الأُمة المحمدية بحمد الله الذى أقرَّ به الحق فى مركزه وردَّ به شارد الملك إلى وكْره ، وتحقق أمير المؤمنين أنه المكنون فى طويته والمستكن فى إضماره [2] والقائم فى عمارة بيته النبوى وسلامته مقام سلمانه وعمَّاره . فعهد إليه حينئذ فى كل ما تقتضيه أحكام إمامته فى أُمة نبيه ، وجعله فى التصرف المطلق عنه قائما مقام وصيه فى الملة ووليه ، وقلده أمر ملك الإسلام تقليدا عاما ، وفوض إليه حكم السلطنة الشريفة تفويضاً تاما ،

---

(١) فى الأصل : ولا فرق .

(٢) فى صبح الأعشى : والمستكن فى صدره .

وألبسه من ذلك ما خلعه عن سواه ، ونشر عليه لواء المُلك الذى زوى ظلَّه عن غيره وطواه ، وحكّمه فى كل ما تقتضيه خلافته المقدسة ، وتمضية إمامته التى هى على التقوى مؤسسة : من إقامة منار الإسلام ، والحكم العام ، فى أمة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ، وفى تقليد الملوك والوزراء ، وتقدمة الجيوش وتأمير الأُمراء ، وفى تجهيز العساكر والسرايا ، وإرسال الطلائع والروايا ، وتجريد الجنود الذين ما ندبهم إلى العدا إلا أتوا بالنهاب وبالسبايا ، وفى غزو العدوّ كيف أراه الله إن شاءَ بنفسه أو جنده ، وفى استنزال [1] النصر بالثبات والصبر ، فإن الله يجزى الصابرين وما النصر إلا من عنده ، وفى محاصرة العدو ومصابرته ، وإنظاره ومناظرته ، وإنزالهم على ما شرع الله فيهم من الأَحكام ، والتوخى فى ذلك ما حكم به سعد بن معاذ فى زمن الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام ؛(٢٠٧ ب) وفى ضرب الهُدَن وإمضائها ، والوفاء بالعقود المشروعة إلى انتهاء مددها وانقضائها ، وفى إرضاء السيوف ممن نكث ولم يُتِمَّ عهده إلى مدته ، فإن إسخاط الكفر فى

(١) فى صبح الأعشى : وفى استرسال . . . . .

إرضائها ، وفى الأَمصار يقرُّ بها من شاء من الجنود ، ويبعث إليها ما شاء من البعوث والحشود ، وفى سداد الثغور بالرجال الذين تفترُّ بهم عن شنَب النصر ، وتأْمن بهم أَعدادُها من غوائل الحصر ، وتوفر سهامها من سهام القوة التى ترمى العِدَا بشرر كالقصر ، وإمداد بحرها بالشوانى المجرَّبة المجردة [1] ، والسفن التى كأَنهـــا القصور الممهدة ، على الصروح الممردة ، فلا تزال تدبّ إليهم من ذوات الأَرجل عقاربها ، وتخطف غربانَهم الطائرةَ بأَجنحة القلوع مخالبُها ، وفى تقدمة الأُلوف وتنفيذ السرايا ، التى لا تزال أَسنتها إلى نحور الأَعداء مقوّمة ، وإنفاق ما يراه فى مصالح الإسلام من القناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسوّمة ، وفى إعلاء منار الشرع الشريف والانقياد إليه ، والمسارعة إلى نفوذ حكمه فيما له وعليه ، وتقوية يد حكامه على كل أَمير ومأْمور أَقر الشرعُ فى يده شيئا أَو انتزعه من يديه ، وتفويض الحكم إلى كل من يتعين لذلك من أَئمة الأُمة ، وإقامة الشرع الشريف على قواعده الأَربـــع فإن اتفاق العلماء حجة واختلافهم رحمة ، وفى

(١) فى صبح الأعشى : المجربة المجودة .

مصالح الحرمين الشريفين وثالثهما الذى تُشد الرحال أيضا إليه ، وفى إقامة سبل الحجيج الذى دعاهم الله فلبوه واستدعاهم فقدموا عليه ، وفوض [إليه] كلّ ما هو من لوازم خلافته لله فى أرضه : ما ذُكر وما لم يُذكر ، تفويضا لازما ، وتقليدا جازما ، وعقدا محكما ، وعهدا فى مصالح الإسلام والمسلمين مُحكَّما ، واكتفى عن الوصايا بما جُبل عليه خلقه الشريف من التقوى ، وهَدْىِ نفسه النفيسة إليه من التمسك بالسبيل الأَقوم [1] والسبب الأَقوى ، فما يُنبَّه على حسنة إلا وهو (٢٠٨ ا) أَسبق إليها ، ولا يُدل على معدلة [2] إلا وفكره الشريف أَسرع من فكر الدال عليها ، وقد وثق ببراءة الذمة من حق قوم أَضحوا لفضل مثله راجين ، وتحقيق حلول النعمة على أُمة أَبدا إلى «لاچين» لاجين [3] ، وقد استخار أَمير المؤمنين الله تعالى فى ذلك كثيرا ، ولجأَ إلى الله فى توفيقه وتوقيفه على الصواب مما يجده فى الحكم بذلك هاديا ونصيرا ، وسارع إلى التسليم لأَمر الله تعالى فيما فوض إليه من أُمور عباده

(١) فى صبح الأعشى : بالسند الأقوم والسبب الأقوى .

(٢) فى صبح الأعشى : ولا يدل على خلة . . . .

(٣) فى صبح الأعشى : وتحقق حلول النعمة على أمة أمسوا إلى « لاجين » لاجين .

إنه كان بعباده خبيرا بصيرا ، وأشهد الله وملائكته ومن حضره من المؤمنين على نفسه بما تضمنه هذا العهد الكريم ؛ وحَكَمَ بمقتضاه على الأُمة ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ . والخط الشريف الإمامى الحاكمى أعلاه ، حجة بمقتضاه ، إن شاء الله تعالى .

وعلى مثل ذلك كتب المولى شمس الدين إبراهيم بن القيسرى .

عهد السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون عن الحاكم بأمر الله أحمد بن الحسين [1] المقدم ذكره فى سلطنته الثانية عند عوده من الكرك بعد خلع المنصور لاجين

وهذه نسخته [2]

هذا عهد يعمر بك للإسلام المَعَاهد ، وينصر منك الاعتزام فتغنَى عن المُوالى والمُعاهِد [3] ، ويلقى إليك

---

(١) في صبح الأعشى حـ ١٠ ص ٥٩ : القاضى شمس الدين إبراهيم بن القيسرانى . . . . بأمر الله أحمد بن أبي الربيع سليمان.

(٢) صبح الأعشى حـ ١٠ ص ٥٩

(٣) في صبح الأعشى : والمعاضد .

مقاليدَ الأمور : لتجتهد فى مراضى الله وتجاهد ، ويبعثك على العمل بالكتاب والسنة : ليكونا شاهِدَيْنِ لك عند الله فى أعظم المَشاهد ، فخذ كتاب أمير المؤمنين بقوة تبركا بأَخْذ يحيى عليه السلام الكتاب ، وحاسب نفسك محاسبة تجد نفعها يوم يقوم الحساب ، واعمل صالحا (٢٠٨ ب) فالذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب .

من عبد الله ووليه الإمام الحاكم بأَمر الله أَبى العباس أَحمد أَمير المؤمنين : إلى السلطان الأَجل ، العالم ، العادل ، المجاهد ، المرابط ، المظفر ، الملك ، الناصر ، ناصر الدنيا والدين ، سلطان الإسلام والمسلمين ، سيد الملوك والسلاطين ، فاتح الأَمصار ، مبيد الأَرمن والفرنج والتتار ، وارث الملك ، سلطان العرب والعجم والترك ، خادم الحرمين ، صاحب القبلتين ، أَبى الفتح محمد [قسيم] (١) أمير المؤمنين أَعز الله سلطانه ، ولد السلطان الشهيد الملك المنصور سيف الدين قلاوون ، قدس الله روحه .

أَما بعد ، فالحمد لله الذى أَقام ناصر الإسلام وأَهله

(١) الزيادة من صبح الأعشى . فقد حدث في الأصل خرق أو قطع .

بخير ناصر ، وأحل فى السلطنة المعظمة من استحقها بذاته الشريفة وشَرَفِ العناصر ، ووضع الإِصْرَ بمن كثرت منه ومن سلفه الكريم على الرعايا والأَواصر ، وعقد لواء المُلْك لمن هو واحد فى الجود أَلفٌ فى الوغى ففى حاليه تُعقد عليه الخناصر ، وجمع كلمة الأُمة بمتفرد فى المعالى متوحِّد فى المفاخر ، متّصف بمناقبَ أَربى بها على أَربابها من الملوك الأَوائل والأَواخر ، وأَقرّ النواظر والخواطر بمن أَشرق عليهما نوره الباهر ، وظهر آثار وجود وجوده على البواطن والظواهر ، وأَعاد شبيبة الأَيام فى اقتبال سر السرائر ، وسارت بشائر مقدمه فى الآفاق سير المثل وما ظنك بالمثل السائر ، وفعلت مهابته فى التمهيد والتشييد فعل القنا المتشاجر ، وشَفَتِ الصدور بوجود الاتفاق وعدم الشقاق بعد أَن بلغت القلوبُ الحناجر ، وأَورث البلاد والعباد صفوة ذرية ورثوا السيادة كابرا عن كابر ، وسرى سِرُّهُ إِذا ولد المولود منهم تهللت الأَرض واهتزت إِليه المنابر .

والحمد لله الذى اجتبى سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم من أَشرف بيت وقبيلة ، ومنح الأُمة برسالته من خيرى

الدنيا (٢٠٩ ا) والآخرة الوسيلة ؛ وأوجب الشفاعة لمن سأل الله له أعلى درجة لا ينالها إلا رجل واحد وهي الوسيلة ، وجعل شملهم بمبايعته ومتابعته فى الهداية نظيما ؛ وحض على ذلك بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبايِعُونَكَ إِنَّما يُبايِعُونَ اللهَ يدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّما يَنْكُثُ عَلَى نفسِهِ ومنْ أَوْفَى بِما عاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيماً ﴾ [١] وبلّغهم به من السعادة غاية مطلوبهم ، وأيده بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم ، وزان شريعته المطهرة بمحاسن أبهى منظرا ومخبرا من العقود ، وفرض على المؤمنين أن يُوفُوا بالعهود والعقود . وأقدرهم على حمل الأمانة التى أشفقت السموات والأرض والجبال من حملها ، وأنزل فى كتابه العزيز : ﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ﴾ [٢] .

والحمد لله الذى اختار أمير المؤمنين من سلالة عم نبيه العباس ، واصطفى بيته المبارك من خير أمة أُخرجت للناس ، وقوى به جأش المسلمين وجيوش الموحدين على

(١) سورة الفتح الآية ١٠

(٢) سورة النساء الآية ٥٨

الملحدين ، وآتاه بسيادةِ جدّه وسعادة جَدِّه ما لم يُؤْتِ أحدا من العالمين ، وحفظ به للمؤمنين ذماما ، وجعله للمتقين إماما ، وخصه بمزيد الشرفَين : نسبِه ومنصبِه ، وجعل مزية الرتبتين كلمة باقية فى عقبه ، وصان به حوزة الدين صيانة العرين بالأُسود ، وصيّر الأَيدى البيض مشكورة لحاملى راياته السود .

يحمده أَمير المؤمنين حمد من اختاره من السماء فاستخلفه فى الأَرض ، وجعل إمرته على المؤمنين فرضاً لتقام به السنة والفرض ، ويشهد أَن لا إلٓه إلا الله وحده لا شريك له ﴿ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِه لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمسْجِدِ الْأَقْصَى ﴾ [1] وبلّغ الأُمةَ به من النجاة والنجاح الغرض الأَقصى [2] ، ويشهد أَن محمدا عبده ورسوله الذى كشف بمبعثه عن القلوب حجب الغىّ ، (٢٠٩ ب) وأَشرقت أَنوار نبوته فأَضاءَ بها يوم دخوله المدينة كلّ شىّ ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين منهم من أَقامه فى الإمامة مُقامه وأَشار إلى الاقتداء به

(١) سورة الإسراء الآية ١

(٢) « وبلغ الأمة . . . . . . الغرض الأقصى » غير موجودة في صبح الأعشى .

من بعده ، ومنهم من أعز الله به الإسلام فى كل قطر مع قربه وبعده ، ومنهم من كانت اليد الشريفة النبوية فى بيعة الرضوان خيرا له من يده ، ومنهم من أمر الله تعالى بالمباهلة بالأبناء والنفوس فباهل خاتَم الأنبياء صلى الله عليه وسلم به وبزوجه وولده ، وعلى بقية العشرة ، الذين غدت بهم دعوة الحق مشتهرة منتشرة ، وعلى عمّيه أسدِ الله وأسدِ رسوله عليه السلام ، وجد الأئمة المهديين أمراء المؤمنين وخلفاء الإسلام ، وسلّم تسليما كثيرا .

وإن الله تعالى جعل سجية الأيام الشريفة الإمامية الحاكمية أدام الله إشراقها ، وقسم بها بين الأولياء والأعداء آجالها وأرزاقها ، ردَّ الحقوق إلى نصابها ، وإعادتها إلى مستحقيها ولو تمادت الأيام على اغتصابها ، وإقرارها عند من هو من دون الورى أولى بها ، ليحقق أن نسبه الشريف أظهر علي أوامره دلائلَ الإعجاز ، وحَلَّى كلماتها بالإيجاز وهباتِها بالإنجاز ، وإن الله جعل الاسم الشريف الحاكميّ فى الحكم بأمره على خير مُسَمّى ، وقوَّى منه فى تَأْييد كلمة الحق جناناً وعزما ، ولم يخرج من أحكامه عن اتباع أمرِ الله قضيةً ولا حُكْما .

وكنتَ أيها السيد العالم ، العادل ، السلطان ، الملك ،

الناصر . ناصر الدنيا والدين ، أبو الفتـح محمد بن السلطان الشهيد الملك المنصور ، سيف الدين قلاوون — قدس الله روحه — أولى الأولياء بالملك الشريف ، لمـا لسلفك من الحقوق ، وما أسلفوه من فضل لا يَحْسُنُ له التناسى ولا العقوق ، ولِمَـا أوجب لك عـلى العساكر الإسلامية سابقُ الأيمان ، وصادقُ الإيمان : ولأنك جمعت فى المجـد بين طارف وتالد ، وفُقْتَ بزكى نفس وأخ ووالد ، وجَلالة ، ما ورثْتها عن كلالة ، وخلال ، (٢١٠ ا) ما لها بالسيادة إخلال ، ومفاخر ، تُـكاثر البحـرَ الزاخر ، ومآثر ، أعجز وصفُها الناظمَ والناثِر ، وكان ركابك العالى قد سار إلى الـكَرَكِ المحروس ، وقعدتْ عنك الأجسام وسافرت معك النفوس ، ووثقت الخواطر بأنك إلى السلطنة تعود ، وأن الله يجدد لك صعودا إلى مراتب السعود ، وأقمت بها وذكرك فى الآفاق سائر ، والآمال مبشرة بأنك إلى كرسى مملتك صائر ، فلما احتاج الملك الشريف فى هذه المدة إلى ملك [1] يَسُرُّ سَرِيرَه ، وسلطان تغدو باستقراره عيون الأنام والأيام قريرة ، لمـا للمسلمين فى ذلك من

(١) فى الأصل فى هذه الملك إلى ملك .

تيسير أَوطار وتعمير أَوطان ، ولأَنهم لا ينفذون فى المصالح الإِسلامية إلا بسلطان ، لم يَدُرْ فى الأَذهان ، ولا خطر لقاصٍ ولا دانٍ ، إلا أَنك أَحق الناس بالسلطنة الشريفة ، وأَولاهم برتبتها المنيفة ، ولا ذكر أَحد إلا حقوق بيتك [(1)] وفضلها ، ولا قال عنكم إلا بقول الله تعالى ﴿ وكانُوا أَحقَّ بِها وأَهْلَهَا ﴾ [(2)] لأَن البلاد فتوحات سيوفكم ، ورعاياها فيما هم فيه من الأَمن والخير بمنزلة ضيوفكم ، ولأَن العساكر الإِسلامية استرقهم ولاؤك ، ووالوك لأَنهم أَرقاؤك ، فلم يقل أَحد : أَنَّى له الملك علينا ؟ بل أَقر كلٌّ منهم لك باليد وقرّ بولايتك عينا ، وأَخلصوا فى موالاتك العقائد ، واستبشروا منك بمُبارَك الوجه ماجدٍ جائد ، ولم يغب غائبٌ خليفتُه جيشُ أَبيه وجدُّه الصاعد ، ورفَعت الممالك يد الضراعة سائلة وراغبة ، وخَطَبَتْك لعقائلها ومعاقلها والخطباء على المنابر لك خاطبة ، وبدعائك مخاطبة ، وقصدت لذلك أَبوابك التى لا تزال تُقصد ، ودُعيت لِلعَوْد المبارك وعَودُ محمد للأُمة المحمدية أَحمد ، وفعلت الجيوشُ المنصورة من طاعتك كلَّ ما سَرَّ ، وأَربت

(1) في صبح الأعشى : حقوق بينك .

(2) سورة الفتح الآية ٢٦

فى صدق النيات وبرِّها علي كل من بَرَّ . (٢١٠ ب)

ولو أَن مشتاقا تـكلَّف فوق ما

فى وُسْعِـه لَسَعَى إليـك المنبرُ

فما ضرّ بحمد الله بعدُ الدار والآمال لساكنها مطيفة ، بل كان لك الذكرى فى قلب الخليفة نعم الخليفة ، وكنت لديه – وإن غِبْتَ – حاضرا بجميل الذِّكر ، ونـأَيت دارا فقربك إليه حسنُ التصوير فى الفِـكر ، وكان أَمير المؤمنين قد شاهـدك يافعا ، وشهـد خاطره أَن ستصير للمسلمين نافعا ، وتـأَمّل منك أَمائر أَضحى لها لترقيك آملا ، وهلالا دلته كرامته – ولا تُنْـكَرُ له الـكرامة – على أَن سيكون بدرا كاملا ، وبلَغه عنك من العـدل والإِحسان ، ما أَعجز وصفُهُ بلاغَتَى القلم واللسان ، فناداك نَدَاهُ [١] على بعد المزار ، ولم يجد لك نظيرا فأَطال وأَطاب لِمَقْدمك السعيد الانتظار ، إلى أَن أَقدمتَ إقدام الليث ، وقَدِمْت إلى البلاد المتعطشة إلى نظرك الشريف قدومَ الغيـث ، فلاح بك على الوجود دليلُ الفلاح ، وحمد الرعايا سُراكِ عند الصباح والاستصباح ، وشاهدوا منك أَسدا فاق

(١) في صبح الأعشى : نداه .

بوثباته وثَباتِه الأُوَلَ ، وشخصا لا يصلح إلا لإدالة دول ، ولا تصلح إلا لمثله الدول ، وقامت باختبارك على اختيارك الدلائل ، وعرفك سرير الملك وعرف فيك من أَبيك شمائل ، ورأى أَمير المؤمنين من نجابتك فوق ما أَخبرتْ به مُساءلةُ الركبان ، ومن مهابتك ما دل علـى خفض الشانئ ورفع الشان ، ومن محامدك كلَّ ما صغَّر الخَبَرَ عنها الخُبْر ، وأَعلنتْ أَلسنة الأَقدار بأَنه لم يبق عن تقليدك الممالكَ الإسلامية بحمد الله تعالى عذر ، فاختارك على علم عـلى العالمين ، واجتباك للذبِّ عن الإسلام والمسلمين ، واستخار الله تعالى فى ذلك فخار ، وأَفاض عليك من بيعته المباركة مع فخرك المشتهر حُلَلَ الفَخار ، وعهد إليك فى كل ما اشتملت عليه دعوة إمامته المعظمة ، وأَحكام خلافته التى لم تزل بها عقود الممالك فى الطاعة منظمة ، وفوَّض (٢١١ ا) إليك سلطنةَ الممالك الإسلامية برا وبحرا ، شاما ومصرا ، قربا وبعدا ، غورا ونجدا ، وما سيفتحه الله عليك من البلاد ، وتستنقذه من أَيدى ذوى الإلحاد ، وتقليـد الملوك والوزراء ، وقضاة الحـكم العزيز وتأْمير الأُمراء ، وتجهيز العساكر والبعوث للجهاد فى سبيل الله ومحاربة من

ترى محاربته من الأعداء ، ومهادنة من ترى مهادنتـه منهم ، وجَعلَ إليك فى ذلك كله العَقْدَ والحَلّ ، والإبرام والنقض ، والولاية والعزل ، وقلدك ذلك كله تقليدا يقوم فى تسليم الممالك إليك مقامَ الإقليد ، ويقضى لقريبها ويعيدها بمشيئة الله تعالى بمزيد التمهيد والتشييد ، لتعلم أن الله قد جعل الأيام الشريفة الحاكمية ـ أدامها الله تعالى ـ فلكا أبْدى سالفا من البيت الشريف المنصورى أقمارا ، وأطلع منهم آنفا بدرا ملأ الخافقين أنوارا ، فكلما ظهر لسلفه بدت مآثر خَلَفه أظهر ، ومن شاهدهم وشاهد شمس سعادته المنزَّهة عن الأُفول : قال : هذا أكبر ، وكلما ذُكر لأحدهم فضلٌ عَلِم أنه فى أيامه مُتَزَيِّد ، وأنه إن مضى منهم سيد فى سبيله فقد قام بأطراف الأسنة منهم سيّد ، وصير الدولة الشريفة الخليفية غابا إن غاب منهم أُسود ، خَلَفَهُمْ شِبْلٌ بشّرت مخائلُه أنه عليها يسود ، فليتقلّد السلطان الملك الناصر ما قلَّده أميرُ المؤمنين ، وليكن لدعوته الهادية من الملبِّين ، وعليها من المؤمِّنين ، ولْيترقَّ إلى هذه الرتبة التى استحقها بحسبه ، واسترقّها بنسبه ، وليباشرها مستبشرا ، ويظهر من شكر الله عليها ما يغدو به

مستظهرا ، فقد أراد أمير المؤمنين القيام فى نصرة الدين الحنيف فأقامك أنت مُقامه ، وصَرَّف بك بين أهل الطاعة والعصيان إكرامه وانتقامه ، رعاية لعهد سلفك الكريم ، ولما استوجَبَتْه نفسك النفيسة من وُفُور التعظيم والتكريم ، وعنايةً بالعساكر (٢١١ ب) المؤيّدة الذين وجهوا وجوه آمالهم إليك ، وأبت كلمتهم التى صانها الله عن التفرق أن تجتمع فى الطاعة والخدمة إلا عليك ولديك ، ومنة عليهم بسلطان ما برحوا من الله تعالى يطلبونه ، ومُلْكٍ نشأُوا بأبوابه العالية فلهذا يحبهم ويحبونه ، فاحمد الله الذى جعل لك فى إعادة الملك أُسوة بسليمان عليه السلام ، ورده إليك ردا لا انفصال لعروته ولا انفصام ، فأضحيت لأُمور عباده سَدادا ، ولثغور بلاده سِدادا ، وللخليفة عضُدا فى الخليقة ، وفى الدهر سامى الحقيقة حامى الحقيقة ، وللملك وارثا ، ورقّاك رقيا أصبحت به فى السلطنة واحدا وللخلافة المعظمة ثانيا وللقمرين ثالثا .

وبُشْراك ، أن الله أبرم سببَ تأْكيدك إبراما لا تصل الأَيدى إلى نقضه ، وأنك سئلت عن أمر طالما أتعب

غيرَك سؤالَه فى بعضه ، وأن الله يحسن لك العون وبلك الصون ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا عبدَ الرحمن بن سَمُرة ، لا تسأَل الإمارة فإنك إن أُعْطِيتَها عن مسأَلة وُكِلْتَ إليها . وإن أُعْطِيتَها عن غير مسأَلة أُعِنْتَ عليها » .

وبشراك أَنَّ أَمير المؤمنين خصك بمزيد الاعتناء ، وأَقامك مُقامَه فى حسن الغَناء ، وحقق أَن السعادةفى أَيامه موصولة منكم بالآباء والأَبناء ، وبلغك بهذا التقليد الشريف الأَمانى ، وتوَّجه بيمينٍ قريبةٍ عهد باستلام الركن اليَمانى ، واصطفاك بقلب أَظهر له الكُشُوفَ إشراقُ تلك الستور ، وغدا مغمورا بالهداية ببركة البيت المعمور ، ونظرٍ زادته مشاهدة الحرم الشريف النبوى نورا على نور ، وقابل [1] ذلك بالقيام فى مُهِمَّات الإسلام ، وتدقيق النظر فى مصالح الخاص والعام ، واجتهد فى صيانة الممالك اجتهادا يحرس منها الأَوساطَ والأَطراف ، وتنتظم به أَحوالُها أَجَلَّ انتظام وتأْتلف أَجملَ ائتلاف ، والوصايا كثيرة وأَولاها (٢١٢ ا) تقوى الله فليجعلها حلية لأَوقاته ، ويحافظ عليها

(١) فى صبح الأعشى : فقابل .

محافظة من يتقيه حق تَقاته ، ويتخذها نجيَّ فكره وأنيسَ قلبه ، ويعظم حُرُماتِ الله ﴿ ومَنْ يُعَظِّمْ حُرُماتِ اللهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ ﴾[1] .

والشرع الشريف فهو لِعِقْدِ الإسلام نظام ، وللدين القيم قِوام ، فتجتهد فى اقتفاء سَنَنِه ، والعمل بفروضه وسُنَنِه ، وتكريم أهله وقضاته ، والتوسل بذلك إلى الله فى ابتغاء مرضاته .

وأُمراء دولتك فهم أنصار سلفك الصالح ، وذوو النصائح فيما آثروه من المصالح ، وخلصاء طاعتهم فى السر والنجوى ، وأعوانهم على البر والتقوى ، وهمْ الذين أَحلهم والدك من العناية المحلَّ الأَسْنَى ، والذين سَبَقَتْ لهم بحسن الطاعة من الله الحُسْنَى ، ولو لم يكن لهم إلا حُسْنُ الوفاء ، لكفاهم عندك فى مزيد الاعتماد والاستكفاء ، فإنهم جادلوا فى إقامة دولتك وجالدوا ، ووفوا بالعهد فهم الموفون بعهدهم إذا عاهدوا ، وهم للوصايا بخدمتك واعون ، وفيما ائتمنتهم عليه لأَمانتهم وعهدهم راعون ، قد أَصْفَوْا لك النِّيّاتِ بظهر الغيب ، وأَخلصوا

(١) سورة الحج الآية ٣٠

الطويات إخلاصا لاشك معه ولا ريب ، ونابوا عنك أَحسن مناب ، وكَفُّوا كَفَّ العدو فما طال له لافتراس ولا اختلاس ظُفْرٌ ولا ناب ، واتخذوا لهم بذلك عند الله وعندك يدا ، وأَثَّلوا لهم به مجدا يبقى حَدِيثُه الحَسَن الصحيح عنهم مُسْنَدًا .

فاستوصِ بهم وبسائر عساكرك المنصورة خيرا ، وأَجْمِلْ لهم سريرة وفيهم سَيْرا ، وأَحْمِدْهم عقبى هذه الخدمة ، وأوردهم منهل إحسان يضاعف لهم النِّعْمة والنَّعْمة : لتؤكد طاعتك على كل إنسان ، ويثقوا بحسن المكافأَة : و﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسانِ إلاَّ الْإِحْسَانُ ﴾ [1] ولتزداد أَوامرك ونواهيك امتثالا ، ولا يجدوا عن محبة أَيامك الشريفة انتقالا ، وليقال فى حسن خِدَمِهم وإحسانك : هكذا هكذا وإلا فلا لا .

وأَما الغزو (٢١٢ ب) والجهاد فى سبيل الله تعالى ، وما أَوجبه فيهما قولُه ﴿انْفِرُوا خِفَافاً وثِقالاً ﴾ [2] ، فأَقل ما يُجزئ فرضَ الكفاية منه مرةٌ فى كل عام ، وأَما فرض العين فوجوبه على ذوى الاستطاعة من المسلمين عامّ ، وقد

(١) سورة الرحمن الآية ٦٠
(٢) سورة التوبة الآية ٤١

عرفت سنن السلطانين الشهيدين ، والدِك وأخيكَ - قدس الله روحيهما - فى الاعتناء بجهاد الكفار ، وغزوهم فى عُقْر الدار ، وموقفَ أَحدهما فى موطن زلت فيه الأَقدام عن الإِقدام ، واجتمع فيه الكفر على الإِسلام ، وشاب من هوله الوليد ، ومصابرتَه تُجاه سيف من سيوف الله تعالى الإمام خالد بن الوليد ، واستنقاذا لآخر البلاد الساحلية التى أَنقذها الله من أَيدى المشركين على يد الصَّلاحَيْن ، وفتح لهما أَبواب الجنة ببركة الافتتاحَيْن ، وأَن والدك وأَخاك سدًّا على المشركين الفِجاج ، وطهَّرا من أَرجاسهم العذبَ الفرَات والملحَ الأُجاج ، فالكتائب المنصورة ، أَبانت [1] التتار بالسيوف المَشْرَفية ، والممالك الإسلامية زَهَتْ نظاما بالفتوحات الأَشرفية ، فاجتهِدْ فى إعلاء كلمة الدين أَتم اجتهاد ، وعزِّزهما منك بثالث فى الغزو والجهاد .

والرعايا [2] بعيدهم وقريبهم ، ومستوطِنهم وغريبهم ، فيوفِّيهم من الرعاية حظهم ، ويجزل صيانتهم وحفظهم ، وكما يرى الحقَّ له فَلْيَرَ الحقَّ عليه ، ويحسن إلى رعاياه كما أَحسن الله إليه .

(١) فى صبح الأعشى : « أبادت التتار » وفى الأصل أبانت .

(٢) فى صبح الأعشى : وأما الرعايا . . . .

وأما العدل فإنه للبلاد عِمارة ، وللسعادة أمارة ، وللآخرة مَنْجاة من النفس الأَمَّارة ، فليكن له شعارا ودثارا ، ويظهر لسجيّته الزكيّة فيه آثارا [1] ، ولْيؤكّدْ مراسمَه فى الأمر بالمعـروف والنهـى عن المنـكر ، والمحافظة من ذلك على ما يُذكر به عند الله ويُشـكر .

والحدود الشرعيـة فَلْيُحَلِّ بإقامتهـا لسانَه وطِرْسَه ، ولا يتَعَدَّها بنقص ولا زيادة ﴿ ومنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾ [2] ، والله يخلد له رتبة المُلْك التى أَعلى بها مَقامه ، ويديمه ناصرا للدين الحنيف (٢١٣ ا) فأَنصاره لا يزالون ظاهرين إلى يوم القيامة ، ويجعل سبب هـذا العهد الشريف مدى الأيام متينا ، ويجدد له فى كل وقت نصرا قريباً وفتحـاً مبينا .

والخط الشريف الحاكمى أعلاه حجة بمقتضاه إن شاءَ الله تعالى [3]

---

(١) جملة : « ويظهر لسجيته الزكية فيه آثاراً » غير موجودة في صبح الأعشى .

(٢) سورة الطلاق الآية ١

(٣) بعده في صبح الأعشى ج ١٠ ص ٦٨ : الحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد وآله وسلامه ، حسبنا الله ونعم الوكيل .

المذهب الثـــانى

فى افتتاح عهود الملوك عن الخلفاء أن يفتتـــح العهد بقوله : من فلان إلى فلان ، كما يبتدأ فى المــكاتبات ، ثم يأْتى بعد ذلك بقوله : أما بعد ، ثم تارة يأْتى بعـــد البعـــدية بتحميد ، مثل أن يقول : أما بعد فالحمد لله . ويخلص من ذلك إلى ذكر أمر الولاية وما ينخرط فى سلكها ، وتارة يأْتى بعد البعدية بخطاب المولى والدعاء له ، ويتخلص منه إلى مقاصد العهد من الوصايا وغيرها .

وعلى هذه الطريقـــة

كتب به عن الطائع لله للملك الأَشرف شِيرز [١] بن عضد الدولة

وهذه نسخته [٢]

من عبد الله عبد الــكريم الإمام الطائع لله أمير المؤمنين إلى شيرز بن عضد الدولة وتاج الملة أبى شجاع مولى أمير المؤمنين ، سلام عليـــك ، فإن أمير المؤمنين يحمد إليك

(١) في صبح الأعشى جـ ١٠ ص ٧٥ : شير زيك وكذلك في أول الخطاب .

(٢) صبح الأعشى جـ ١٠ ص ٧٥

الله الذى لا إله إلا هو ، ويسأله (٢١٣ ب) أن يصلى على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم .

أما بعد أطال الله بقاءك وأدام عزك وتأييدك ، وسعادتك ونعمتك ، وأمتع أمير المؤمنين بك وبالموهبة فيك وعندك ، فإن أمير المؤمنين يرى أن يحفظ على كلّ ولىٍّ أحمد مذاهبه وأرضى ضرائبه ، وانصرف عن الدنيا متمسكا بطاعته ، متدينا بمشايعته ، حقوقه المتوحدة ، وحرماته المتمهدة ، فيمن يخلفه بعده من وَلَدٍ أَمَّل فيه أن يرث عنه محلَّه ، ويقوم فيه مقامه ، وفاء لأهل الولاية ، وتصرفا على أحكام الرعاية ، وسياقة للصنيعة ، من سالف إلى خالف ، وإمضائها من تالد إلى طارف ، هذا على الأمر الجامع ، والعموم الشامل ، فإذا اتفق أن تنتهى وراثة القرب إليه ، والمنازل لديه ، إلى النجباء الأفاضل ، والحُصفاء الأماثل ، الذين يستحبون استئناف الاصطناع لهم ، واستقبال التفويض إليهم بالمناقب الموجودة فيهم ، لو انفردت عما حازوه عن آبائهم وأوليائهم ، أجرى أمير المؤمنين ما يفيضه عليهم من الأيادى ، ويُرَقِّيهم إليه من هضبات المعالى ، مُجْرَى الأمر الواجب الذى كثرت الدواعى إليه .

واتفق الرأى والهدى عليه ، وتطابق الإيثار والاختيار فيه ، واقترن الصواب والسداد به ، واشترك المسلمون فى استثمار فائدته وعائدته ، والانتفاع بتأديته وعاقبته ، والله يُخِير لأمير المؤمنين فيما يمضيه من العزائم ، ويَبنيه من الدعائم ، ويعتمده من المصالح ، ويتوخّاه من المناجح ، إنه على ذلك قدير ، وبه جدير ، وهو حسب أمير المؤمنين ونعم الوكيل .

وقد علمتَ أدام الله عزك ، وأمتع المؤمنين بك ، أن شجرة بيتك ، التى تمكنت من الخدمة أُصولها ، ونشأت على الطاعة فروعها . شجرةٌ لم تزل النجابة صاحبة لها[1] ، والفضيلة منوطة بها ، وأسباب التمام والدوام مجتمعة فيها ، فلذلك (٢١٤ ا) سبغت النعمة عليكم ، وامتد ظلها إليكم ، وتقلَّب فيها قِداحُكم[2] وتوفّرت منها حظوظكم ، فتداولتموها بينكم كابرا عن كابر ، بمساعيكم الصالحة ، ومناهجكم الواضحة ، وتعاضدكم على ما لمَّ شعث الدولة الجامعة ، وطَرف عنها الأعين الحاسدة ،

(١) من قوله : « ونشأت على الطاعة . . . » ساقط من صبح الأعشى .

(١) في صبح الأعشى ونُقِّلت فيها أقداحكم .

وكان شيخك عضد الدولة ، وتاج الملة ، أبو شجاع رضوان الله عليه ، صاحبَ الرتبة العظمى (١) عند أمير المؤمنين وهمامَها والممتطى غاربها وسنامها ، فعاش ما عاش مشكورا محمودا ، ثم انقلب إلى لقاء ربه سعيدا رشيدا ، وأوجب أمير المؤمنين لك وله فيك الحلولَ بمكانه ، وحيازة خطره وشانــه ، إذ كنت أظفر ولده ، وأول المستحقين لوراثته ، وكانت فيك مع ذلك الأدوات المقتضِيات لأن يُفوِّض الأُمور إليك ، ويعتمد فيها عليك ، من كفايــة وغَناء ، واستقــلال ووفاء ، وسياسة وتدبير ، وشهــامة وتشمير ، وتصرف على طاعة أمير المؤمنين ، وإشبال (٢) على إخوتك أجمعين ، وحسنِ أثرٍ فيما أُنفِذَ أمرُك فيه ، وإفاضةِ أَمْنٍ فيمن مَضَتْ ولايتك عليه ، وإحاطةٍ بدلائل الجزالة (٣) ، ومخــايل الأصالة ، بمثلهــا تُنال الغايات الأقــاصى ، وتُفْترع الذوائب والنواصــى ، فنوّلك أمير المؤمنين تلك الأُثْرةَ ، وخوَّلك تلك الفَخْرة (٤) وجعــل

---

(١) في صبح الأعشى : الزعمى .

(٢) الإشبال : التعطف .

(٣) في صبح الأعشى : الحوالة .

(٤) في صبح الأعشى : المأثرة وخولك تلك المفخرة .

أخاك صمصامَ الدولة وشمسَ المِلَّة أَبا كاليجـار ـ أمتـع الله أمير المؤمنين بك ـ ثانيك وتاليك [1] ، والمتقدم بعدك على ولد أَبيك ، وأَجراكما فى التطبيق بينكما ، والتقرير لمنازلـكما ، على مثل ما جرى الأَمر عليه بين ركن الدولة أَبى علىّ ومعز الدولة أَبى الحسين سالفا ، ثم بين عضُد الدولة وتاج الملة أَبى شجاع ومؤيّد الدولة أَبى منصور آنفا ، تولاَّهم الله بالرحمة ، ونفعهم بما قبضهم عليه من وثائق العصمة ، وخصّك أَميرُ المؤمنين بعد ذلك بما يَخُص به ذا القَدْر الشامخ ، والفخر الباذخ ، والقدم السابقة (٢١٤ ب) والمَحَلَّة السامية ، فذَكَرك بالتَّكْنيَة ، ورفعك عن التسمية ، ولقّبك لقبين : أَحدهما شرف الدولة . لتشريفه بك أَولياءه الذين أَوطأَهم عقبك ، وأَعلقهم سبيلك [2] ، والآخر زين الملة ، لزينة أَيامـه بمعاليك ، وتضاعف جمالها بمساعيك ، وعقد لك بيده لواءين يَلْوِيان إليك الأَعناق بالطوع ممن سَرَّاه وأَبهجاه ، والـكَرْه ممن راعاه فأَزعجاه ، وأَمر بـأَن تقام لك الدعوة على منابر مدينة السلام ، وما يجرى معها من الأَعمال بين

(١) في صبح الأعشى : أبا كاليجار ـ بك تأييده والمتقدم .
(٢) في صبح الأعشى : حبلك .

الدَّعوة لأَمير المؤمنين وبين الدّعوة لصمام الدولة وشمس الملة ، أَمتــع الله أَمير المؤمنين بــكما وأَحسن الدفاع له عنــكما ، إلحاقاً لك وله بعدك بأَبيــكما ، فيما كان شُرِّف به من هذه الحال التى لم ينلها [١] غيره ، ولا أُهِّل لها أَحد قبله ، وأَن يُثبت ذكرك باللقب والــكنية فيما يُنقش من سـكك العَيْنِ والوَرِق فى دور الضرب باديا ، وذكر صمصام الدولة ـ كلأَكما الله ـ تاليا ، وحبــاك أَمير المؤمنين مع ذلك بخلع تامَّةٍ تُفاض عليك ، وفرسين من جياد خيله يُقادَانِ إليك ، بمركبى ذهب من خاصّ مراكبه ، وسيف ماض من خيار أَسيافه ، يُعِزُّ الله منكبيكَ بِنِجَادَيْه ، ويُذِل مناكب أَعــدائكَ بِغرارَيْــه ، وطوق وسِوَارين ، وأَن تُجرى فى المــكاتبة عنه إلى الغاية التى أُجرِىَ أَبوك رحمه الله إليها ، وهــذا الــكتاب ناطق بها ودالٌّ عليهــا ، وندب لإيصال الجميــع إليك عــلىَّ بنَ الحسين الهاشمىّ الزينبى [٢] وأَحمد بن نصر العباسىّ ، حاجبه ، ودجى [٣] خادِمَه ، فتلقَّ شرف الدولة ، وزين

---

(١) فى صبح الأعشى : يبلغها .

(٢) فى صبح الأعشى : الزينى .

(٣) فى صبح الأعشى : ووحى .

الملة ، وأبا الفوارس – أدام الله عزك – بما يحقّ عليك ، من تقوى الله فى سرّك وجهرك ، ومراقبته فى قولك وعملك ، وابتغاء رضاه فى مُخْتَلِج خطراتك وفكرك ، واتِّباع طاعته فى مخارج أمرك ونهيك ، وقابل ما أَنعم به عليك ، وأَحسن فيه إليك ، بالشكر الذى موقعه من النعمة موقع القِرَى من (٢١٥ ا) الضيف إن وجده لم يذم ، وإن فقده لم يُقم ، وامددْ على من وُلِّيت عليه من الخاصة والعامة ظِلّكَ ، ووطئْ لهم كَنَفك ، واغمرهم بطَوْلك ، وسُسْهم سياسة يكون بها صلاحهم مضمونا ، وحريمهم مصونا ، وبلادهم معمورة ، ومنافعهم موفورة ، وحَلَبُهم دَارّا ، وعيشهم رغدا ، وثغورهم مسدودة ، وأَعاديهم مَذُودة ، ومسالكهم مَحميَّة ، ومساكنهم مَرعيّة ، ومُرْهم بالمعروف ، وانههم عن المنكر ، وابعثهم على الحسنات ، واكففهم عن السيئات ، وسَاوِ فى الحق بين شريفهم ومشروفهم ، وقويهم وضعيفهم ، وقريبهم وغريبهم ، ومِلِّيِّهم وذِمِّيِّهمْ ، وقوِّم سفهاءهم وجهالهم ، وانْف دُعَّارهم وخُرَّابَهُمْ ، وأَكرم صلحاءهم وحلماءهم ، وشاور فضلاءهم وعقلاءهم ، وجالسْ أَدنياءهم وأَعلياءهم ، ورتِّبهم [1]

(١) فى صبح الأعشى : وأنلهم مراتبهم .

مراتبهم ، ونزِّلهم منازلهم ، وأَرِهم تمسُّكك بالدين ليقتدوا بك فيه ، ورغبتك فى الخير ليتقربوا إليك به . وخذ الحقّ وأعطه ، وابسُطِ العدل وقُلْ به ، وادرأ الحدود بالشبهات ، واقْمَعْهَا (1) وأَمضها بالبينات ، لتكون الرغبة إليك فى رَهَب ، والرَّهبة منك فى رغب (2) ، وبالجملة فاحْمِل الناس على كتاب الله جل وعز وآدابِه ، وسنة الرسول وما جَا بِه .

واعلم أن أُمير المؤمنين قد جعل كتابه هذا عهدا إليك ، وحجة لك وعليك ، وأن الأَوامر والنواهى فى العهود تكون كثيرة ، وإنما قصَّر فيه عن استيفائها ، لارتفاع طبقتك عن الحاجة إلى استقصائها ، وللخروج إلى الله من الحق فى تضمينه هذه الجمل منها ، فإذا وصل ذلك إليك مع كرامات أَمير المؤمنين المقدَّم ذكرها لك ، فالبس خِلَعَه ، وتقلّد سيفه ، وتحلَّ بِحِلاَه ، وابرُز لمن يليك على حُمْلانِه (3) ، وأَظهر لهم ضروب إحسانه وامتنانه ، وانصب أَمامك اللواءَين ، وتكَنَّ وتلقَّب باللقبين ، وكاتِبْ من

---

(1) في صبح الأعشى : وأقمها .

(2) في صبح الأعشى: لتكون الرغبة إليك في رغب والرهبة منك في رهب .

(3) الحملان : ما يحمل عليه من الدواب في الهبة .

طبقات الناس متلَقِّبا بهما متكنيا ، إلا أَمير المؤمنين فإن (٢١٥ ب) الأَدب أَن لا تكاتبه متلقبا بل مُتسمِّيا ، وليس ذلك ناقصا لك فيما أُعطيته ، ولا مرتجعا شيئا مما حُبِيته ، ولـكنه الأَمر بالمعروف ، والرسم المأْلوف ، وصِلْ ما بينك وبين أَخيك صمصام الدولة وشمس الملة ـ أَدام الله الإمتاع بـكما ـ بالمودة ، كما وصله الله بالأُخُوّة ، وكونا جميعا يدا فى طاعة أَمير المؤمنين ، واستقيما على كلمة سواء فى رعاية المسلمين ، واتّفقا على مسالمة المسالمين ، وتعاضدا فى محاربة المحاربين ، فان ذلك أَرأَبُ للصدع ، وأَضمُّ للنشر [1] ، وأَنظم للشمل ، وأَليق بالأَهل ، وأَقمْ الدعوة لنفسك على منابر الممالك بعد إقامتها لأَمير المؤمنين ، وكاتِبْ أَمير المؤمنين بأَخبارك ، وطالِعْه بآثارك ، واستدع أَمره فأَمره فيما استعجم من التدبير عليك ، ورأْيه فيما استبهم من الأُمور دونك ، واسترشده إلى الحظّ يُرشدك ، واستهده فى الخطوب يَهْدِك ، واستمدّه من المعونة يمددك ، واشكر آلاءه يَزِدْك ، إن شاء الله تعالى .

---

(١) في صبح الأعشى : وأحتم للبشر .

أطال الله بقاءك ، وأدام عزك وتأييدك ، وسعادتك ونعمتك ، وأمتع أمير المؤمنين بك وبالموهبة [1] فيك وعندك ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

المذهب الثالث

أن يفتتح العهد بلفظ : إن أولى ، أو إن أحق ، وما أشبه ذلك ، وهي طريقة غريبة خارجة عن أصول الكتابة ، من حيث إن رتبة الملوك فيما يكتب لهم التعظيم ، ومثل هذا الافتتاح إنما يكتب لأصحاب الرتب السافلة التى لا تقارب رتبة الملك ولا ما دونها .

على أنه قد كُتب بذلك عن ديوان الخلافة ببغداد للسلطان صلاح الدين يوسف على جلالة قدره بتقليد الديار المصرية والبلاد الشامية واليمنية فى بعض الأحيان (٢١٦ ا) وكان ذلك إنما وقع حين كان الخليفة الناصر لدين الله مُتغيِّرا عليه حين تلقّب بالملك الناصر ، لما فى ذلك من مضاهاة لقب الخليفة .

وهذه نسخة العهد المكتوب به على هذه الطريقة [2]

(١) في صبح الأعشى : وبالرغبة فيك .

(١) صبح الأعشى حـ ١٠ ص ١٤٥

إنَّ أَولى من جادت رِباعه سُحبُ الاصطناع ، وخُصَّ من الاصطفاء والاحتباء بالصفايا والمِرباع ، من تُوسِّم فيه انْتهاجُ[1] الجَدَدِ القَويم ، والطريق الواضح المستقيم ، واعتلاق من الأَولياء بأَوثق عِصَمِهِ وحباله ، والفِناء الذى يهتدى بأَنواره فى متصرَّفاته وأَعماله ، والتحلى بجميل الذكر فى سيرته ، وخلوص الاعتناء بأُمور عطيته [2] ، وكان راغبا فى اقتناء حميد الخلال ، مجتهدا فى طاعة الله بمايفيضه [3] من العدل الممتد الظِّلال ، عاملا فيما يُناط به بما يتضوَّع نَشْرُ مُخْتبره [4] ، ويُجتنى بحسن صنعه يانع ثمره ، باذلا وُسعه فى الصلاح ، مُؤْذِنة مساعيه بفوز القِدَاح .

ولما كان الملك الأَجل السيد صلاح الدين ، ناصر الإِسلام ، عمادُ الدولة ، جمال الأُمة [5] ، فخر الملة ، صفِيّ الخلافة ، تاج الملوك والسلاطين ، قامع الكفرة

(١) في صبح الأعشى : من ترسم انتهاج الجدد .

(٢) في صبح الأعشى : بأمور رعيته .

(٣) في صبح الأعشى : بما يرضيه .

(٤) في صبح الأعشى : نشر خيره .

(٥) في صبح الأعشى : جمال الملك .

والمشركين ،قاهر الخوارج والمتمرّدين ، عز المجاهدين ألْب غازى، بك بن يوسف[1] بن أيوب – أدام الله علوه – على هذه السجايا مُقبلا ، وبصفاتها الكاملة مشتملا ، مؤثرا تضاعف المأثُرات ، مثابرا متأثرا على ما تَزْكو به الأعمال الصالحات ،مُتَحَلِّياً بالمحامد الرائقة ، مستبدا بالمناقب التى هى لجميل أفعاله موافقة مطابقة ، محصِّلا من رِضا الله تعالى ما يؤثره ويرومه من طاعة الدار العزيزة – لازالت مشيدة البناء ، سابغة النعماء ، دائمة الاستبشار ، عزيزة الأنصار – من استمرار الظفر ما يستديمه .

اقتضتِ الآراء الشريفة – لا زال التوفيق قرينهـا ، والتأييد مظافرها ومعينها – إمضاء تصرّفه ، وإنفاذ حكمه فى بلاد (٢١٦ ب) مصر وأعمالها ، والصعيد الأعلى والإسكندرية ، وما يفتحه من بلاد الغرب والساحل ، وبلاد اليمن وما افتتحه منها ، واستخلصه بعدُ من ولايتها ، والتعويل فى هذه الولايات عليه واستنقاذ[2] ما استولى عليه الكفار من البلاد ، وإعزاز كلّ من أذلوه واضطهدوه من العباد ، لتعود الثغور بيمن نقيبته ضاحكة المباسم ، وبإصابة رأيه قائمة المواسم .

(١) لعلها : غازى بك يوسف

(٢) في الأصل : «واستعاد» وصوبنا من صبح الأعشى حـ ١٠ ص ١٤٦

أمره بادئاً بتقوى الله التى هى الجُنَّة الواقية ، والذخيرة الباقية ، والعصمة الكافية ، والزاد إذا أنفض وفْدُ الآخرة وأرملوا [١] ، والعتادُ النافع إذا وجدوا شاهدا لهم وعليهم ما عملوا ، فإنها العَلَم المنصوب للرَّشَد ، قال الله تعالى ﴿ يـٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَد ﴾ [٢] .

وأمره أن يتخذ كتاب الله لزواجره ومواعظه ، ويعتبر بتخويفه وملاحظه ، ويصغى إليه بسمعه وقلبه ، وجوارحه ولبه [ويعمل بأوامره المحكمة ، ويقف عند نواهيه المبرمة] ويتدبر ما حوته آياته من الوعد والوعيد ، والزجر والتهديد ، قال الله عز وجل ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ . لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [٣] .

وأمره أن يكون على صلاته محافظا ، ولنفسه عن الإخلال والتقصير فى أداء فرضها واعظا ، فيغتنم الاستعداد

---

(١) أنفضوا: هلكت أموالهم وفنى زادهم . وأرمل القوم بمعنى أنفضوا نفد زادهم وافتقروا .

(٢) سورة الحشر الآية ١٨

(٣) سورة فصلت الآية ٤١ ، ٤٢

أمام أَوقاتها للأَداء ، ويحترز من فواتها والحاجة إلى القضاء ، مُوفِّيا حقّها من الركوع والسُّجود ، على الوصف الواجب المحدود ، مخلصاً سره عند الدخول فيها ، وناهياً نفسه عما يصدها بالأَفكار ويُلْهيها ، مجتهدا فى نفى الفكر والوسواس عن قلبه ، منتصباً فى إخلاص العبادة لربه ، ليغدو بوصف الأَبرار منعوتا ، قال الله تعالى ﴿ إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً ﴾ [1].

وأَمره بقصد المساجد الجامعة فى أَيام الجمع ، امتثالا لأَمر الله المتّبع ، بعزيمة فى الخير صادقة ، ونيّة للعبادة موافقة ، وفى الأَعياد إلى المُصَلّيات (٢١٧ ا) المُصحرة المجمَّلة بالمنابر الحالية ، التى هى من الأَدناس مطهرة نابية ، فإنها من مواضع العبادة ومواطنها ، ومظان تلاوة القرآن المأمور بحفظ آدابها وسننها ، فقد وصف الله تعالى من وفّقه لتجميل بيوته بالعمارة ، بما أَوضح فيه الإشارة ، وشرَّفه بوضع سمة الإيمان عليه بالإكرام الفاخر فقال ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمنَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الْآخِرِ﴾ [2]

(١) سورة النساء الآية ١٠٣

(٢) سورة التوبة الآية ١٨

فيقيم الدعوة الهادية على المنابر على عادة من تقدّمه، ومنتهياً فيها إلى أحسن ما عهده وعلمه .

وأمره بلزوم نزاهة الحُرمات ، واجتناب المحرمات ، والتحلى من العفاف والورع بأجمل القلائد الرائقة ، والتقمُّص بملابس التقوى التى هى بأمثاله لائقة ، وسلوك مناهج الصلاح الذى يجمل به فعله ، ويصفو له عَلُّه ونَهلُه ، وأن يمنع نفسه من الغضب ، ويردّها عما يأمر به من سوء المُكتسب ، ويأْخذها بآداب الله سبحانه فى نهيها عن الهوى، وحملها على التقوى ، ورَدْعها عن التورط فى المهاوى والشُّبه ، وكلّ أمر يلتبس فيه الحق ويشتبه ، ويلزمها الأَخذَ بالعفو والصفح ، والتأَمُّلَ لمكان الأَعمال فيه واللَّمح ، قال الله [تعالى] ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (1) .

وأمره بإحسان السيرة فى الرعايا بتلك البلاد ، واختصاصهم بالصَّوْن الرائح والغَاد ، ونشر جناح الرِّعاية على البعيد منهم والقريب ، وإحلال كل منهم محله على القاعدة والترتيب ، وإشاعة المعدَلة فيهم ،

(1) سورة الأعراف الآية ١٩٩

وإسهام دانيهم من وافر مُلاحظته وقاصيهم ، وأن يحمى سرْحهم من كل داعر ، ويذود عنهم كلَّ مُوارب بالفساد ومُظاهر ، حتى تصفو لهم من الأَمن الشرائع ، وتَضْفُوَ عليهم من بركة ولايته المدارع ، وتستنير بضوء العدل منهم المطالع ، ويحترم أَكابرهم ، ويحنو على أَصاغرهم ، ويشملهم بكنفه ودِرْعه ، وينتهى فى مصالحهم إلى غاية وُسْعِه ، ولا يأْلوهم (٢١٧ ب) فى النصح جُهدا ، ولا يخلف لهم فى الخير وعدا ، ويشاورهم فى أَمره ، فإن المشورة داعية إلى الفلاح ، ومفتاح باب الصلاح ، قال الله تعالى ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وشَاوِرْهُمْ فِى الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ علَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (١)

وأَمره بإظهار العدل فى الرعية التى تضُمها جميع الأَكناف والأَطراف ، والتحلِّى مِن النَّصَفَةِ بأَكمل الأَوصاف ، وحمْل كافَّتهم على أَقوم جَدَد ، وعصيان الهوى فى تقويم كلِّ أَوَد ، والمساواة بين الفاضل والمفضول فى الحق إذا ظهر صدقُ دليله ، والاشتمال عليهم بالأَمن الذى يعذب لهم بَرْدُ مَقِيله ، وكشف ظلامة من انبسطت

(١) سورة آل عمران الآية ١٥٩

إلى تَحَيُّفه الأَيدى والأَطماع ، وأَعجزته النُّصرة لنفسه والدِّفاع ، وتصفُّح أَحوالهم بعين لا ترنو إلى هوًى يميل بها عن الواجب ، وسمع [1] لا يُصغى إلى مقاله مائن ولا كاذب ، ولا يغفل عن مصلحة تعود إليهم ؛ ويرجع نفعها عليهم ، ولا عن كشف ظلامات بعضهم من بعض ، وردهم إلى الحق فى كل رفع من أَحوالهم وخفض ، فلا يُرى إلا بالحق عاملا ، وللأُمور على سنن الشريعة حاملا ؛ مجتنباً إغفال مصالحهم وإهمالها ؛ وحارسا نظامها على تتابع الأَيام واتصالها ، ليكون ذلك إلى وفور الأَجر داعيا ، وَبِحُسن الأُحدوثة قاضيا ، مقتديا بما نطق به القرآن ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ ﴾ [2] .

وَأَمَره أَن يأْمر بالمعروف ويقيم مناره ؛ وينهى عن المنكر ويمحو آثاره ، فلا يترك مُمكنا من إظهار الحق وإعلانه ، وقمع الباطل وإخماد نيرانه ، ويعتمد مساعدة كلِّ مُرْشِدٍ إلى الطريق الأَقصد ، وناهٍ عن التظاهر بالمحظور فى كل مشهد ، فإنه تُضْحِى مَعُونَتُه مُشاركةً فى إحراز

(١) في الأصل : ونجع .

(٢) سورة النحل الآية ٩٠

المثوبة ومساهمة ، ومساومةً فى إقتناء الأَجر ومُقاسمة ، وأن يُوعز بإزالة مظانِّ الريب والفساد فى الدانى [من الأَعمال] والقاصى ، فإنها مواطن الشيطان وأَماكن المعاصى ، وأن يشُدَّ على أَيدى (٢١٨ ا) الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ، ويعينهم على ذلك بما يطيب ذكره فى كل مشهد ومحضر ، ويجتهد فى إزالة كل محظور ومنكر ، مُقَدَّم فى الباطل ومُؤَخَّر ، قال الله تعالى ﴿ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ (١) .

وأَمره أَن يقدم الاحتياط فى حفظ الثغور ومجاوريها من الكفار ، ويستعمل غاية التيقظ فى ذلك والاستظهار ، ليأْمن عليها غوائل المكائد ، ويفوز من التوفيق لذلك بأَنواع المحامد ، ويتجرد لجهاد أَعداء الدين ، والانتقام من الكفرة المارقين ، أَخذا بقول رب العالمين ﴿ انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ اللهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٢) وأَن يعمل فيما يحصل من الغنائم عند فلِّ جموعهم ، وافتتاح بلادهم وربوعهم ، بقول الله وما أَمر به فى قَسْمِها [وإيفاءِ كل

(١) سورة لقمان الآية ١٧
(٢) سورة التوبة الآية ٤١

صاحب حصة منها] ســالــكا سبيل من غدا لآثار الصلاح مقتفيا ، وللفَرض فى ذلك مُؤَدِّيا ، وبهُدى ذوى الرشــد مُهتديا ، قال الله تعالى فى محــكم التنزيل ﴿ واعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ (١)

وأمره أن يجيب إلى الأَمان لمن طلبه (٢) ، ويــكون وفاؤه مقترنا بما تضمّنَه ، غيرَ مُضمرٍ خلاف ما يعطى به صَفْقَةَ أمانه ، ولا مخالف باطنُه ما أَظهره من مقاربته إلى عقد الهدن وإتيانه (٣) ، ويجتنب الغدر وما فيه من العار ، وإسخاط الملك الجبار ، قال الله عز وجــل ﴿ وَأَوْفُــوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلاَ تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ (٤)

[وأمره بأن يأمر أصحاب المَعاون بمساعدة القضاة والحكام ومعونتهم بما يقضى بلم شمل الصلاحِ فى تنفيذ القضايا والانتظام ، وأخذ الخصوم بإجابة الداعى إذا استحضروا

---

(١) سورة الأنفال الآية ٤١

(٢) في صبح الأعشى : من طلبه منه .

(٣) جملة « ولا مخالف ... » ليست في صبح الأعشى

(٤) سورة النحل الآية ٩١

إلى أَبوابهم للإنصاف ، والمسارعة إلى الحق الواجب عليهم من غير خلاف ، قال الله تعالى ﴿ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كارِهُونَ ﴾ [1]]

وأَمره بالتعويل فى المظالم وأَسواق الرقيق ودور الضرب والحِسبة على من يَأْوِى إلى عفاف ودين ، وعلم بأَحكام الشريعة وصحَّة يقين ، لا يخفى عليه ما حرّمه الله تعالى وأَحلَّه ، ولا يلتبس على علمه ما أَوضح إلى الحق الواضح سُبُلَه ، وإلى من يتولّى المظالم بإيصال الخصوم إليه ، وإنصافهم كما أَوجبه الله [تعالى] عليه ، واستماع ظلاماتهم ، وإحسان النظر فى مشاجراتهم [2] .

وأَمره أَن يتلقى النعمة التى أُفرِغت عليه ، وانساقت إليه ، بشكر ينطق به لسانه ، ويترجم عنه بيانه ، ليستديم بذلك الإكرام ، ويقترن الإحسان عنده بالالتئام ، وأَن يوفيها حقَّها من دوام الحمد ، (٢١٨ ب) والقصد إلى شكرها والعمد [3] قال الله تعالى ﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّما يَشْكُرُ لِنَفْسِه ﴾ [4] .

---

(١) سورة المؤمنون الآية ٧٠

(٢) في صبح الأعشى زيادة عشرة أسطر بعد هذه .

(٣) في الأصل : « والفضائل إلى شكرها والحمد » . انظر صبح الأعشى جـ ١٠ ص ١٥١ ، فالتصويب منه .

(٤) سورة النمل الآية ٤٠

وليعلم أنه قد بيّن له من الصلاح ما اتضحت أعلامه ، وأُثبتت فى المرامى سهامُه ، وأُرشد إلى ما أُودَع هذا المنشور من جَدَد الفوز بمرضاة الله تعالى وشكر عباده ، عاملا فى ذلك بمقتضى جِدّه واجتهاده ، ليُحْرِزَ السبق فى دنياه وعقباه ، ويتوفَّر عنده ما مُنح به مما أرهف عزمه وحباه ، وغدا بمكانه رافلا فى ملابس الفخر والبهاء ، نائلاً منه [1] ما طال به مناكِبَ القُرناء ، واختصّ بما أعلى درجته فتقاعست عنه آمال حاسديه ، وتفرّد بالمكانة عن مقام من يباريه ويُناويه ، وأُولِيَ من الإنعام ما أَمَّن به سِرْب النعمة عنده ، وأَصْفَى من مناهل الإحسان وِرْده ، وأَهدى إليه من المواعظ ما يجب أن يُودِعَه وَاعِيةَ الأَسمَاع ، ويأْخذ بالعمل به كل راع ، فينهج - أدام الله علوه - محاجَّ الولاء ، الذى عُهِد من أمثاله من الأَولياء ، متنزها عن تقصير منه فى عامة الأَوقات ، ومراعيا أَفعاله فى جميع التصرفات ، ويعلم أَنه مسئول عن كل ما يَلْفِظ به لسانه ناطقا ، ونَظَر طَرْفُهُ إليه رامقا ، قبل أَن يجانب هواه ، ويَبقى رهينا بما اكتسبت يداه ، ولا يغترّ من الدنيا

(١) فى الأصل : منى وكذلك فى صبح الأعشى .

وزخرفها بغرّار ليس الوفاء من طباعه ، ومُعِيرٍ ما أقصر مدّةَ ارتجاعه ، وسبيلُ كافة القضاة والأعيان ومقدمى العساكر والأجناد ، ورؤساء البلاد ، متابعتُه وموافقتُه ، وطلب مصالحهم من جانبه ، والتصرّف على استصوابه ، وقد أُكِّدَتْ وَصَاتُه فى الرفق بهم [والاشتمال عليهم] والإحسان إليهم وإجمال السيرة فيهم ، وكلّما أشكل عليه أمر من المتجددات [1] يطالع به الديوان العزيز مجّده الله تعالى ليُنْهِج له السبيل إلى فتح رِتاجه ، وسلوك منهاجه ، والله ولى التوفيق والهداية ، وجمع الكلمة فى كل إعادة وبداية ، والمعونة على العصمة من الزلل ، والتأييد فى القول والعمل ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

قلت : وقد عاب الوزير ضياء الدين بن الأثير هذا التقليد فى كتابه «المثل السائر» وغض منه وعارضه بتقليد أنشأه ، وقد ذكرته فى كتاب صبح الأعشى فى كتابة الإنشا [2] لإتساعه وبسط القول فيه ، افتتحه بقوله : أما بعد ، فإن أمير المؤمنين يبدأ بحمد الله الذى يكون

(١) فى الأصل : المتجدفات .

(٢) انظر حـ ١٠ ص ١٣٥ إلى ص ١٤٤ والمثل السائر ص ٩١

لكلٍّ خطبة قيادا ، ولكلٍّ أمر مهادا .

أهملت ذكره فى هذا الكتاب لكونه لم يكتب به لأَحد .

(٢١٩ ا) المذهب الرابع

فى عهود الملوك أَن يفتتح العهد بالحمد لله ، وهو الذى استقر عليه عمل المتأَخرين من كتاب الديار المصرية ، على أَن المقرّ الشهابى بن فضل الله قد أَنكر على الصاحب فخر الدين بن لقمان حيث افتتح العهد الذى كتب به للظاهر بيبرس بالحمد وقال : ليس ابن لقمان بحجة ، ثم قال : على أَن القاضى[1] محيى الدين قد تبعه فيما كتب به للمنصور قلاوون ، ولا وجه لإنكاره على ابن لقمان ، فقد كُتب بمثل ذلك من ديوان الخلافة ببغداد عن الإمام المستنصر بالله بن الظاهر بأَمر الله بن الناصر لدين الله العباسى للسلطان الملك الكامل نصير الدين محمد بن العادل أَبى بكر ، من إنشاء الوزير أَبى الأَزهر أَحمد بن الناقد بخط العدل ناصر بن رشيد الخرنومى ، فى شهر رجب الفرد سنة ثلاثين وستمائة ، إلا أَنه جرى فيه على

(١) في الأصل « الفاضل » وانظر ص ١٢٩

الأُسلوب القديم من قولهم فى أَوامر الخلافة : أَمره بكذا وأَمره بكذا .

وهذه نسخته فيما ذكره البورى فى « تاريخه » [1]

الحمد لله الذى اطمأَنت القلوب بذكره ، ووجب على الخلائق جزيل حمده وشكره ، ووسعت كل شيء رحمته ، وظهرت فى كل أَمر حكمته ، ودلّ على وحدانيته بعجائب ما أَحكم صنعا وتدبيرا ، وخلق كل شيء فقدره تقديرا ، مُمِدّ الشاكرين بنعمائه [2] التى لا تحصى عددا ، وعالم الغيب الذى لا يظهر على غيبه أَحدا ، لا معقب لحكمه فى الإبرام والنقض ، ولا يؤوده حفظ السموات والأَرض ، تعالى أَن يحيط به الضمير [3] وجلَّ أَن يبلغ وصفه البيان والتفسير ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ (٢١٩ ب) الْبَصِيرِ﴾ [4] والحمد لله الذى أَرسل محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق بشيرا ونذيرا ﴿وَدَاعِياً إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً

(١) صبح الأعشى حـ ١٠ ص ٩٩

(٢) في صبح الأعشى : بنعمه .

(٣) في صبح الأعشى : بحكمه الضمير .

(٤) سورة الشورى الآية ١١

مُنِيرًا﴾ (1) وابْتعثه هاديا للخلق ، وأوضح به مناهج الرشد وسبل الحق ، واصطفاه من أشرف الأنساب وأعز القبائل ، واجتباه لإيضاح البراهين والدلائل ، وجعله لديه أعظم الشفعاء وأقرب الوسائل ، فقذف صلى الله عليه وسلم بالحق على الباطل ، وحمل الناس بشريعته الهادية على المحجــه البيضاء والسنن العادل ، حتى استقام اعوجاجُ كلِّ زائغ ورجــع إلى الحق كل جاحد عنه ومائل ، وسجد لله كل شيء ﴿يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ﴾ (2) صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الكرام الأفاضل ، صلاة مستمرة بالغدوات والأصائل ، خصوصاً على عمه وصنو أبيه العباس ابن عبد المطلب الذى اشتهرت مناقبه فى المجامع والمحافل ، ودرّت ببركة الاستسقاء به أخْلاف السحب الهواطل ، وفاز من تنصيص الرسول على عقبه فى الخلافة المعظمة بما لم يفز به أحد من الأوائل .

والحمد لله الذى حاز مواريث النبوة والإمامة ، ووفّر جزيل الأقسام من الفضل والكرامة ، لعبده وخليفته ، ووارث نبيه ومحيي شريعته ، الذى أحلّه الله عز وجل من معارج الشرف والجلال فى أرفــع ذِرْوة ، وأعلقه من حسن

(1) سورة الأحزاب الآية ٤٦

(2) سورة النحل الآية ٤٨

التوفيق الإلٰهي بأمتن عِصمة وأوثق عُرْوة ، واستخرجه من أشرف نجارٍ وعنصر ، واختصه بأزكى منحة وأعظم مفخر ، ونصبه للمؤمنين علما ، واختاره للمسلمين إماما وحكما ، وناط به أمر دينه الحنيف ، وجعله قائما بالعدل والإنصاف بين القوى والضعيف ، إمام المسلمين ، وخليفة رب العالمين ، أبي جعفر المنصور المستنصر بالله أمير المؤمنين ، بن الإمام السعيد النقيّ أبي نصر محمد الظاهر بأمر الله ، بن الإمام الوفى أبي العباس أحمد الناصر لدين الله ، بن الإمام السعيد الزكى أبي محمد الحسن المستضيء بأمر الله أمير المؤمنين (١٢٢٠) صلوات الله عليهم أجمعين ، وعلى آبائه الطاهرين ، الأئمة المهديين ، الذين قضوا بالحق وبه كانوا يَعْدِلون ، ولقوا الله تعالى وهو عنهم راض وهم عنه راضون .

وبعد ، فبحسب ما أفاضه الله تعالى على أمير المؤمنين صلوات الله عليه وسلامه ، من خلافته فى الأرض ، وفوّضه إلى نظره المقدس فى الأمور من الإبرام والنقض ، واستخلصه له من حياطة بلاده وعباده ، ووكله إلى شريف نظرة ومُقدَّس اجتهاده ، لا يزال — صلوات الله عليه — يكلأ

العبـــاد بعين الرعاية ، ويسلك بهم فى المصـــالح العامة والخاصة مذاهب الرشد وسبيل الهداية ، وينشر عليهم جناحَىْ عدله وإحسانه ، ويُنعم لهم النظر فى إرشاد [(١)] الأُمناء الصلحـــاء من خلصـــاء أكفائه وأعوانه ، متخيِّرا للاسترعاء من استحمد إليه بمشـــكور المساعى ، وتعرّف إليه فى سياسة الرَّعايا بجميـــل الأَسباب والدواعى ، وسلك فى مفروض [(٢)] الطاعة الواجبة على الخلائق قصد السبيل ، وعلم منه حسن الاضطلاع فى مصالح المسلمين بالعبء الثقيل ، والله عز وجل يؤيد آراء أَمير المؤمنين – صلوات الله عليه – بالتأْييـــد والتسديد ، ويُمـــده أَبدا من أَقسام التوفيق الإِلٰهـــى بالموفور والمزيد ، ويقرن عزائمه الشريفة باليمن والنجاح ، ويُسَنِّى له فيما يأْتى ويذر أَسباب الخير والصـــلاح ، وما توفيق أَمير المؤمنين إلاَّ بـــالله عليه يتوكل وإليه ينيب .

ولمـــا وفّق الله تعـــالى نصير الدين [(٣)] محمـــد بن سيف الدين أَبى بـــكر بن أَيوب من الطاعة المشهورة ،

(١) في صبح الأعشى : في ارتياد .

(٢) في صبح الأعشى . في مفترض .

(٣) في هامش صبح الأعشى : المشهور ناصر الدين .

والخِدم المشـكورة ، والحُظْوة فى جهـاد أعـداء الدين بالمساعى الصالحة ، والفوز من المراضى الشريفةِ ، الإمامية — أَجَلَّهَا الله تعالى — بالمغانم الجزيلة والصفقة الرابحـة ، لمـا وصل فيه سالفَ شريفِ الاختصاص بآنفه ، وشفـع تالده فى تحصيل مأْثور الاستخلاص بطارفة ، واستوجب بسلوكه من الطاعة المفروضة مزيد الإكرام والتفضيل (٢٢٠ ب) وضرع فى الإنْعام عليه بمنشور شريف إمامىّ يسلك فى اتّباعه هُدَاه والعمل بمراشده سواء الصراط وقصد السبيل ، اقتضت الآراء الشريفة المقدسة — زادها الله تعالى جلالا متـأَلِّق الأَنوار ، وقدسا يتساوى فى تعظيمه من هو مستخف بالليل وسارِب بالنهار — الإيعازَ بإجابته إلى ما وجّه أمله إلى الإنافة فيه به إليه ، والجذب بِضَبْعه إلى ذروة الاجتباء الذى تظهر أشعة أنواره الباهرة عليه ، فقلّده — على خِيرَةِ الله تعالى — الزعامـة والغلات [١] ، وأعمال الحرب والمعاون والأَحداث والخراج والضِّياعَ والصدقات ، والجوالِيَ وسائرَ وجوه الجبايات ، والعرض والعطاء ، والنفقه فى الأَولياء ، والمظالم والحِسبة فى بلاده ، وما يفتحه

(١) فى الأصل : والصلاة .

ويستولى عليه من بلاد الفرنج الملاعين [1] ، وبلاد من تَبْرُز إليه الأوامر الشريفة بقصـده من المارقين [2] عن الإجماع المنعقد من المسلمين ، ويتعدى حدود الله تعالى بمخالفة من حصل من الأعمال الصالحات بولائه المفروض على الخلائق مَقبولة ، وطاعته ضاعف الله جلاله بطاعته وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم موصولة ، حيث قال عز من قائل ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ [3] واعتمد - صلوات الله عليه وسلامه - فى ذلك على حُسن نظره ومدد رعايته ، وألقى مقاليد التفويض إلى وفور اجتهاده وكمال سياسته ، وخصّه من هذا الإنعام الجزيل بما يبقى له على تعاقب الدهر واستمراره ، ويُخلد على ممرّ الزمان حسن ذكره وجزيلَ فخاره ، وحباه بتقليد يُوطّد له قواعد الممالك ، ويفتح بإقليده رِتاج الأبواب والمسالك ، ويفيد قاعدته فى بلاده زيادة تقرير وتمهيد ، ويطير به صيته فى كل قريب وبعيد ، ووسمه بالملك الأجل ، السيد الكامل

---

(١) في صبح الأعشى : المُلاَحِين .

(٢) في صبح الأعشى : الشاذين .

(٣) سورة النساء الآية ٥٩

المجاهد المرابط نصير الدين . (٢٢١ ا) ركن الإسلام ، أثير الأنام تاج الملوك والسلاطين ، قامع الكفرة والمشركين ، قاهر الخوارج والمتمردين ، ألب غازى بك محمد بن أبى بكر ابن أيوب ، معين أمير المؤمنين ، رعايةً لسوابق خِدَمه وخِدَم أسلافه وآبائه ، عن وفور اجتبائه ، وكمال ازدلافه ، وإنافةً من ذروة القرب إلى محل كريم ، واختصاصا له بالإحسان الذى لا يُلقَّاهُ إلا من هو كما قال تعالى ﴿ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[1] وثوقا بصحة ديانته التى يسلك فيها سواء سبيله ، واستنامةً إلى أمانته فى الخدمة التى ينصح فيها لله تعالى ولرسوله ؛ وركوناً إلى الإنعام عليه موضوعاً بحمد الله تعالى فى أحسن موضع ، واقعا به لديه فى خير مستَقرٍّ ومستَوْدَع.

وأمير المؤمنين – صلوات الله عليه – لا زالت الخِيرَةُ موصوله بآرائه ، والتأييد الإلٰهى مقرونا بإنفاذه وإمضائه ؛ يستمدّ من الله عز وجل حسن الإعانة فى اصطفائه الذى اقتضاه نظره الشريف واعتماده ، وأدّى إليه ارتياده المقدس الإمامى واجتهاده ، وحسبُ أمير المؤمنين اللهُ ونعم الوكيل .

---

(١) سورة فصلت الآية ٣٥

وأمره بتقوى الله تعالى التى هى الجُنَّة الواقية ، والنعمة الباقية ، والملجأ المَنيع ، والعماد الرفيع ، والذخيرة النافعة فى السر والنجوى ، والجَذوة المقتبسة من قوله تعالى ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ﴾ [1] وأن يدَّرِع بشعارها ، فى جميع الأقوال والأفعال ، ويهتدى بأنوارها ، فى مشكلات الأُمور والأحوال ، وأن يعمل بها سرا وجهرا ، ويشرح للقيام بحدودها الواجبة صدرا ، قال الله تعالى ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴾ [2]

وأمره بتلاوة كتاب الله متدبّرا غوامض عجائبه ، سالكا سبل الرشاد والهداية فى العمل به . وأن يجعله مثالا يتبعه ويقتفيه ، ودليلا يهتدى بمراشده الواضحة فى أوامره ونواهيه ، فإنه (٢٢١ ب) الثَّقَل الأعظم ، وسبب الله المحكم ، والدِّين [3] الذى يهدى به إلى التى هى أقوم ، ضرب الله تعالى فيه لعباده جوامع الأمثال ، وبيّن له بهُداه الرشد والضلال ، وفرّق بدلائله الواضحة بين الحرام والحلال ، فقال عز من قائل ﴿ هٰذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى

(١) سورة البقرة الآية ١٩٧

(٢) سورة الطلاق الآية ٥

(٣) فى صبح الأعشى : والنور الذى .

وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [1] وقال تعالى ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [2] .

وأمره بالمحافظة على مفروض الصلوات والدخول فيها على أكمل هيئة من قوانين الخشوع والإخبات ، وأن يكون نظره فى موضع نجواه [3] من الأرض ، وأن يُمَثِّل لنفسه فى ذلك موقفه بين يدى الله تعالى يوم العرض ، قال الله تعالى ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ . الَّذِينَ هُمْ فِى صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ [4] وقال تعالى ﴿ إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾ [5] وأن لا يشتغل بشاغل عن أداء فروضها الواجبة ، ولا يلهو بسبب عن إقامة سُنَنها الراتبة ، فإنها عماد الدين الذى نَمَتْ أعاليه ، ومهاد الشرع الذى رَسَتْ قواعده ومبانيه ، قال الله تعالى ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاَةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ [6] وقال سبحانه ﴿ إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٣٨

(٢) سورة ص الآية ٢٩

(٣) في صبح الأعشى : في موضع سجوده .

(٤) سورة المؤمنون الآية ١ ، ٢

(٥) سورة النساء الآية ١٠٣

(٦) سورة البقرة الآية ٢٣٨

عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنْــكَرِ ﴾ [1] .

وأمره أن يسعى إلى صلوات الجُمع والأعياد ، ويقوم فى ذلك بما فرضه الله تعالى عليه وعلى العباد ، وأن يتوجّه إلى الجوامع والمساجد متواضعا ، ويبرز إلى المُصَلَّيات الضاحية فى الأعياد خاشعا ، وأن يحافظ فى تشييد قواعد الإسلام على الواجب والمندوب ، ويعظم باعتماد ذلك شعائرَ الله التى هى من تقوى القلوب ، وأن يشمل بوافر اهتمامه واعتنائه ، وكمال نظره وإرعائه ، بيوتَ الله التى هى محالُّ البركات ، ومواطنُ العبادات ، والمساجدَ التى تــأَكَّد فى تعظيمها وإجلالهــا حُــكْمه ، والبيوتَ التى أَذِن اللهُ أن تُرفــع ويُذ كر فيها اسمه ، وأن يُرتِّب لها من الخدم من يتبتّل لإزالة أدناسها ، (٢٢٢ ا) ويتصدّى لإذكاء مصابيحها فى الظلام وإيناسها ، ويقوم لها بما يحتاج إليه من أسباب الصلاح والعمارات ، ويحضر إليها ما يليق من الفرش والــكسوات .

وأمره باتباع سنة النبي صلى الله عليه وسلم التى أوضح جَدَدَها ، وثقّف أوَدَها ، وأن يعتمد فيها على الأسانيد التى

---

(١) سورة العنكبوت الآية ٤٥

نقلها الثّقات ، والأَحاديث التى صحت بالطرق السليمة والروايات ، وأَن يقتضى بما جاءت به من مــكارم الأَخلاق التى ندب صلى الله عليه وسلم إلى التمسك بسببها ، ورغَّب أُمتــه فى الأَخــذ بهــا والعمــل بآدَابِها ، قــال الله تعالى ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [1] وقال سبحانه وتعالى ﴿مَنْ يُطِـعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ﴾ [2]

وأَمره بمجالسة أَهل العلم والدين، وأُولى الإِخلاص فى طاعــة الله والمتقين [3] والاستشــارة فى عوارض الشك والالتباس ، والعمل بآرائهم فى التمثيل والقياس ، فإِن الاستشارة لهم عين الهداية ، وأَمْنٌ من الضلال والغَواية ، وبها تُلْقَــحُ عُقُم الأَفهام والأَلباب ، ويُقتَدح زناد الرّشد والصواب ، قال الله تعالى فى الإِرشاد إلى فضلها ، والأَمر فى التمسك بحبلها ﴿وشَاوِرْهُمْ فِــى الْأَمْرِ﴾ [4] .

وأَمره بمراعاة أَحوال الجند والعســكر فى ثغوره ، وأَنيشملهم بحسن نظره الجميل وجميل تدبيره ، مُستصلحا

(١) سورة الحشر الآية ٧

(٢) سورة النساء الآية ٨٠

(٣) في صبح الأعشى : واليقين .

(٤) سورة آل عمران الآية ١٥٩

نياتهم بإدامة التلطف والتعهُّد ، مستوضحـاً أحوالهم بمواصلة التفحُّص والتفقد ، وأن يسوسهم سياسة تبعثهم على سلوك المنهـج السليم ، ويهديهم فى انتظامها واتّساقها إلى الصراط المستقيم ، ويحملهم على القيام بشرائط الخِدَم ، والتلزُّم[1] بها بأَقوى الأَسباب وأمتن العِصَم ، ويدعوهم إلى مصلحة التواصل والائتلاف ، ويصدهم عن موجبات التخاذل والاختلاف ، وأن يعتمد فيهم شرائط الحَزْم فى الإعطاء والمنـع ، وما تقتضيه مصلحة أحوالهم من أسباب الخفض والرفـع ، وأن يُثيب (٢٢٢ ب) المحسن عـلى إحسانه ، ويُسبل على المسيء ما وسعه العفو واحتمله الأَمرُ ذَيْلَ صفحه وامتنانه ، وأن يأْخذ برأْى ذوى التجارِب منهم والحكمة ،[2] ويجتنى بمشاورتهم فى الأَمر ثمرَ الشركة إذ فى ذلك أَمن من خطإِ الانفراد ، وتزحزح عن مقام الزيـغ والاستبداد .

وأمره بالتبتل بما يليه من البلاد ، ويتصـل بنواحيـه من ثغور أُولى الشرك والعناد ، وأن يصرف مجامع الالتفاف[3]

---

(١) في صبح الأعشى : التمسك .

(٢) في صبح الأعشى : والحنكة .

(٣) في صبح الأعشى : الالتفات

إليها ويخصها بوفور الاهتمام بها والتطلع عليها ، وأن يشمل ما ببلاده من الحصون والمعاقل بالإحكام والإتقان ، وينتهي في أسباب مصالحها إلى غاية الوسع ونهاية الإمكان . وأن يَشْحَنَها بالمِيرة الكثيرة والذخائر ، ويُمدّها من الأسلحة والآلات بالعدد المستصلح الوافر ، وأن يتخيّر حُرَّاسها من الأمناء الثُّقَاة ، ويسدَّها بمن ينتخبه من الشجعان الكُماة ، وأن يتأكد عليهم في استعمال النَّفقاتِ الحفظة والاستظهار [1] ، ويوقظهم للاحتراس من غوائل الغفلة والاغترار ، وأن يكون المشارُ إليهم ممن رُبُوا في ممارسة الحروب على مكافحة الشدائد ، وتدَرَّبوا [2] في نصب الحبائل للمشركين والأخذ عليهم بالمراصد ، وأن يعتمد هذا القبيل بمواصلة المدد ، وكثرة العَدَد ، والتوسعة في النفقة والعطاء ، والعمل معهم بما يقتضيه حالهم وتفاوتهم في التقصير والغناء . إذ في ذلك حسم لمادَّة الأطماع في بلاد الإسلام ، وردٌّ لكيد المعانِدين من عبدة الأصنام ، فمعلوم أن هذا الغرض أولى ما وُجِّهت إليه العنايات وصُرِفت ، وأحق ما قُصِرت عليه الهممُ ووُقفتْ ، فإن الله تعالى جعله من

(١) في صبح الأعشى : في استعمال أسباب الحفظة والاستظهار .
(٢) في الأصل : بن يربو في ممارسة الحروب على مكافأة الشدائد ويدرأ في نصب. . . .

أهم الفُروض التى كرَّم فيها القيام بحقه ، وأكبر الواجبات التى كتب [العمل] بها على خلقه ، فقال سبحانه وتعالى هادياً فى ذلك إلى سبيل الرشاد ، ومحرّضا لعباده على قيامهم بفروض الجهاد ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ وَلاَ (١٢٢٣) مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ اللهِ وَلاَ يَطَئُونَ مَوْطِئاً يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ . وَلاَ يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً وَلاَ يَقْطَعُونَ وَادياً إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمْ اللهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١) وقال تعالى ﴿ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ﴾ (٢) وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « مَنْ نزل منزلا يُخيف فيه المشركين ويُخيفونه كان له كأجر ساجد لا يرفَعُ رأسه إلى يوم القيامة ، وأجر قائم لا يقعد إلى يوم القيامة ، وأجر صائم لا يُفطر » . وقال عليه السلام : « غَدْوَةٌ فى سبيل الله أورَوْحةٌ خيرٌ مما طلعت عليه الشمس » . هذا قوله صلى الله عليه وسلم فى حقّ من سمع هذه المقالة فوقف لديها ، فكيف بمن

(١) سورة التوبة الآية ١٢٠ ، ١٢١

(٢) سورة البقرة ١٩١ وسورة النساء ٩١

كان كما قال عليه السلام: « أَلاَ أُخبركم بخير الناس ؟ ممسكٌ بعنان فرسه كلما سَمِع هَيْعةً طار إليها » .

وأَمره باقتفاء أَوامر الله تعالى فى رعاياه ، والاهتداء إلى رعاية العدل والإِنصاف والإِحسان بمراشده الواضحة ووصاياه ، وأَن يسلك فى السياسة سبل الصلاح ، ويشملهم بلين الكَنَف وخَفض الجناح ، ويمدّ ظلّ رعايته على مسلمهم ومعاهَدِهم ، ويُزحزح الأَقذاء والشوائب عن مناهلهم فى العدل وموارده ، فينظر فى مصالحهم نظرا يُساوى فيه بين الضعيف والقوىّ ، ويقوم بأَوَدِهم قياماً يهتدى به ويهديهم فيه إلى الصراط السَّوىّ ، قال الله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (١)

وأَمره باعتبار أَسباب الاستظهار والأَمَنة ، واستقصاء الطاعة المستطاعة والقدرة الممكنة ، فى المساعدة على قَضاء تَفَثِ حُجَّاج بيت الله الحرام ، وزوّار نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام ، وأَن يُمِدّهم بالإِعانة فى ذلك على تحقيق الرجاء وبلوغ المرام ، ويحرسهم من التخطُّف

(١) سورة النحل الآية ٩٠

والأَذى فى (٢٢٣ ب) حالتى الظَّعن والمُقام ، فإن الحج أَحد أَركان الدين المشيّدة ، وفروضه الواجبة المؤكدة ، قال الله تعالى ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ ﴾ (١)

وأَمره بتقوية أَيدى العاملين بحكم الشرع فى الرعايا ، وتنفيذ ما يصدر عنهم من الأَحكام والقضايا ، والعمل بأَقوالهم فى ما يثبت لذوى الاستحقاق ، والشدّ على أَيديهم فيما يرونه من المنع والإِطلاق ، وأَنه متى تأَخر أَحد الخصمين عن إجابة داعى الحُكْم ، أَو تقاعس فى ذلك لما يلزم من الأَداءِ والعُدْم ، جذبه بعتان القَسْر إلى مجلس الشَّرع ، واضطره بقوّة الإِنصاف إلى الأَداء بعد المنع ، وأَن يتوخى عُمَّال الوقوف التى تقرَّب المتقرِّبون بها ، واستمسكوا فى ثواب الله بمتين حبلها ، وأَن يُمِدّهم بجميل المعاونة والمساعدة ، وحسن المؤازرة والمعاضدة ، فى الأَسباب التى تؤذن بالعِمارة والاستنماء ، وتعود عليها بالمصلحة والاستخلاص والاستيفاء ، قال الله تعالى ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾ (٢).

---

(١) سورة آل عمران الآية ٩٧

(٢) سورة المائدة الآية ٢

وأمره أن يتخير من أُولى الـكِفاية [1] والنزاهة من يستخلصه للخِدَم والأعمال ، والقيام بالواجب من أداء الأمانة والحـراسة والتمييز لبيت المـال ، وأن يـكونوا من ذوى الاضطلاع بشرائط الخِدَم المعينـة وأمورها ، والمهتدين إلى مسالك صلاحها وتدبيرها ، وأن يتقدم إليهم بأخذ الحقوق من وجوهها المُتَيَقَّنَة ، وجبايتهـا فى أوقاتها المُعيّنة ، إذ ذاك من لوازم مصالح الجند ووفور الاستظهار ، وموجبات قوة الشـوكة له بـكثير الأعوان والأنصار ، وأسباب الحِيطَة [2] التى تُحمى بهـا البلاد والأمصار ، ويأمرهم بالجرى فى الطُّسُوق [3] والشروط على النمط المعتاد ، والقيام فى مصالح الأعمال على أقدام الجدّ والاجتهاد ، وإلى العاملين على الصّدقات بأخذ الزّكَوات على مشروع السُّنَن المَهْيَـع ، وقصد الصّراط المُتَّبَـع ، من غير عدول فى ذلك عن المنهاج الشرعىّ ، أو تساهل فى تبديل (٢٢٤ ا) حكمهـا المفروض وقانونها المَرْعِىّ ، فإذا أُخذت من أربابها ، الذين [4] يُطَهَّرون ويُزَكُّون بها ، كان

(١) في صبح الأعشى : الكفاءة .
(٢) في صبح الأعشى : الحفظة .
(٣) الطسوق جمع طسق وهو شبه الخراج له مقدار معلوم .
(٤) في الأصل : أبوابها والتصويب من صبح الأعشى حـ١٠ ص١٠٩

العمل [1] فى صرفها إلى مستحقيها بحكم الشريعة النبوية وموجبها ، وإلى جُباة الجزية من أهل الذمة بالمطالبة بأدائها فى أوَّل السنة ، واستيفائها منهم على حسب أحوالهم بحكم العادة فى الثروة والمَسْكَنة ، إجراء فى ذلك على حكم الاستمرار والانتظام ، ومحافظة على عظيم شعائر الإسلام .

وأمره أن يتطلع على أحوال كل من يستعمله فى أمر من الأمور ، ويُصرِّفه فى مصلحة من مصالح الجمهور ، تطلعا يقتضى الوقوف على حقائق آماناتهم ، ويوجب تهذيبهم فى حركاتهم وسكناتهم ، ذهابا مع النصح لله تعالى فى بَرِيَّتِه ، وعملا فيه بقول النبى صلى الله عليه وسلم : « كُلُّكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته » . وأمره أن يستصلح من ذوى الاضطلاع والغَناء من يرتِّب العرض [2] والعطاء ، والنفقة فى الأَولياء ، وأن يكونوا من المشهورين بالحزم والبصيرة ، والموسومين فى المناصحة بإخلاص الطوية وإصفاء السريرة ، حالينَ من الأَمانة والصَّون بما يَزين ،

(١) في الأصل : كما في العمل .

(٢) في الأصل : ويرتب العرض .

ناكبين عن مظانّ الشبه والطمع الذى يَصِمُ وَيشِين ، وأن يأْمرهم باتباع عادات أمثالهم فى [ضبط] أَسماء الرجال ، وتحلية الأَشخاص والأَشكال ، واعتبار ، شيات الخيول وإثبات أَعدادها ، وتحريض الجند على تخيُّرها واقتناء جيادها ، وبذْل الجهد فى قيامهم من الْكُرَاع واليَزَك والسِّلاح بما يلزمهم ، والعمل بقوله تعالى ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُم اللهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ (١) فإذا نطقت جرائد الجند المذكورين بما أُثبت لديهم ، وحقَّق الاعتبارُ والعِيانُ قيامَهم بما أُوجب عليهم ، أُطلِقتْ لهم المعايش والأَرزاق بحسب إقراراتهم (٢٢٤ب) وأُوصلت إليهم بمقتضى واجباتهم واستحقاقاتهم ، فإن هذا الحال أَصل حراسة البلاد والعباد ، وقيام (٢) الأَمر فيما أَوجبه الله تعالى من الاستعداد بفرض الجهاد ، قال الله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٣).

---

(١) سورة الأنفال الآية ٦٠

(٢) في الأصل : ويقام .

(٣) سورة العنكبوت الآية ٦٩

وأمره بتفويض أمر الحسبة إلى من يكون بأمرها مضطلعا ، وللسنة النبوية فى إقامة حدودها متبعا ، فيعتمد فى الكشف عن أحوال العامة فى تصرفاتها الواجب . ويسلك فى التطلع إلى معاملاتهم السبيل الواضح والسَّنَن اللاَّحِب [1] ، وليهتمّ بالتطواف [فى الأسواق] لاختبار المكاييل والموازين ، ويقيمه فى مؤاخذة المطففين وتأْديبهم بما تقتضيه شريعة الدين ، ويحذِّرهم من تعدى حدود الإنصاف شدَّة نكاله ، ويقابل المستحقّ المؤاخذة بما يرتدع به الجمع الكثير من أمثاله ، قال الله تعالى ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلاَ تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ . وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ . وَلاَ تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلاَ تَعْثَوْا فِى الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [2] وقال سبحانه ﴿ وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ . الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ . وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ . أَلاَ يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ . لِيَوْمٍ عَظِيمٍ . يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [3] .

(١) اللاحب : الواضح .

(٢) سورة الشعراء الآيات ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣

(٣) سورة المطففين الآيات ١ – ٦

فليتوَلَّ الملك السيد ، الكامل ، المجاهد ، المرابط ، نصير الدين ، ركن الإسلام ، أثير الإمام ، جمال الأَنام ، جلال الدولة ، فخر المِلّة ، عز الأُمة ، سند الخلافة ، تاج الملوك والسلاطين ، قامع الكفرة والمشركين ، قاهر الخوارج والمتمرِّدين ، أَمير المجاهدين ، غازى بك مُعين أَمير المؤمنين ، ما قلده عبدُ الله وخليفته [فى أَرضه] القائم له بحقه الواجب وفرضه ، أَبو جعفر المنصور المستنصر(١) بالله أَمير المؤمنين ، تقليدَ مُطْمئنٍّ بالإيمان ، وينصح لله ولرسوله — صلوات الله عليه — وخليفته فى السر والإعلان ، وليشرحْ بما فُوِّض إليه من هذه الأُمور صدرا ، وليقُم بالواجب عليه من شكر هذا (٢٢٥ ا) الإنعام الجزيل سرًّا وجهرا ، وليعمل بهذه الوصايا الشريفة الإمامية ، وليَقْفُ آثار مراشدها المقدسة النبوية ، وليُظهر من أَثر الجِدِّ فى هذا الأَمر والاجتهاد . وتحقيق النظر الجميل لله والإرشاد ، ما يكون دليلا على تأْييد الرأْى الأَشرف المقدس — أَجلَّه الله تعالى — فى اصطناعه واستكفائِه (٢) وإصابة مواقع النجح

(١) فى الأصل : بن المستنصر
(٢) فى الأصل : « واستكتابه » .

والرشـد فى التفويض إلى حسن قيامه وكمال اعتنائه [1] فليقدُرِ النعمةَ عليه فى هذه الحـال [حق] قدرها ، وليكثر بأداء الواجب بما غلب عليه من جزيل الشكر بسرّها [2] وليطالع مع الأوقات بما يشـكل عليه من الأمور الغوامض ، وليُنْهِ إلى العلوم الشريفة المقدسة - أجَلَّها الله تعالى - ما يلتبس عليه من الشـكوك والعوارض ، ليَرِدَ عليـه من الأمثلة ما يوضـح له وجه الصواب فى الأمور ، ويستمد من المراشد الشريفة التى هى شفاء لمـا فى الصدور ، بما يكون وروده عليه وتتابعه إليه نورا علي نور ، إن شاء الله تعالى .

وهذه نسخة العهد الذى كُتب به للملك الظاهر بيبرس عن الحاكم بأمر الله أبى العباس أحمد بن الحسين ثانى الخلفاء بالديار المصرية من إنشاء الصاحب فخر الدين إبراهيم بن لقمان .

وهذه نسختـه [3]

الحمد لله الذى أضفى [4] ملابس الشرف ، وأظهر

(١) فى الأصل : وكمال عنايه .
(٢) فى صبح الأعشى : وليبتر بأداء الواجب . . . غزير دُرِّها .
(٣) صبح الأعشى جـ ١٠ ص ١١٢
(٤) فى صبح الأعشى أضاف المحققون كلمة أضفى [على الإسلام] .

درره وكانت خافيــة بما استحــكم عليها من الصــدف ، وشيّد ما وهى من علائه حتى أنسى ذكر ما سلف ، وقيّض لنصره ملوكا اتفق على طاعتهم من اختلف .

أَحمده على نعمه التى رتعت الأَعينُ منها فى الروض الأُنف ، والطاقة التى وقفت الشكرَ عليها فليس له عنها مُنصرف ، وأَشهد أَن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له شهادة توجب من المخاوف أَمْنا ، (٢٢٥ ب) وتسهل من الأُمور ما كان حَزْنا ، وأَشهد أَن محمدا عبده ورسوله الذى جبر من الدين وهنا . وصفيه (١) الذى أَظهر من المكارم فنونا لا فَنّا ، صـلى الله عليه وعـلى آله الذين أَضحت مناقبهم باقية لا تفنى ، وأَصحابه الذين أَحسنوا فى الدين فاستحقوا الزيادة من الحسنى .

وبعد فإن أَولى الأَولياء بتقديم ذكره ، وأَحقهم أَن يُصبـح القلم ساجدا راكعا فى تسطير مناقبـه وبِرّه ، من سعى فأَضحى بسعيه الجميل متقدما ، ودعا إلى طاعته

---

(١) في الأصل : وربسوله الذى .

فأَجاب من كان منجدا ومُتهما ، وما بدت يدٌ من المكرمات إلا كان لها زندا ومعْصما ، ولا استباح بسيفه حمى وغىً إلاَّ أَضرمه نارا وأَجراه دما .

ولما كانت هذه المناقب الشريفة مختصة بالمقام العالى المولوىّ السلطانىّ الملكىّ الظاهرىّ الركنىّ شرفه الله تعالى وأَعلاه ، ذكره الديوانُ العزيز النبوى الإِمامى المستنصرىُّ - أَعز الله تعالى سلطانه - تنويها بشريف قدره ، واعترافا بصنعه الذى تنفد العبارة المُسهَبَة ولا تقوم بشكره ، وكيف لا وقد أَقام الدولة العباسية بعد أَن أَقعدتها زَمانة الزمان ، وأَذهبت ما كان لها من محاسن وإِحسان ، وعتب[1] دهرها المسىء لها فأَعتب ، وأَرضى عنها زمانها وقد كان صال عليها صولة مغضب ، فأَعاده لها سلما بعد أَن كان عليها حربا ، وصرف اهتمامه فرجع كل متضايق من أُمورها واسعا رحبا ، ومنح أَميرَ المؤمنين عند القدوم عليه حُنُوًّا وعطفا ، وأَظهر له من الولاءِ رغبة فى ثواب الله ما لا يخفى ، وأَبدى من الاهتمام بالبيعة أَمرا لو رامه غيره لامتنع عليه ، ولو تمسّك بحبله

(١) في صبح الأعشى : واستعتب .

متمسك لانقطع به قبل الوصول إليه ، لكن الله ادّخر هذه الحسنة لِيُثَقِّل بها فى الميزان ثوابُه ، ويُخَفِّف بها يوم القيامة حسابُه ، فهذه مَنْقَبة أبى الله إلا أن يخلدها فى صحيفة صنعه ، (٢٢٦ ا) وتكرمة قضت لهذا البيت الشريف بجمعه بعد أن حصل الإياس من جمعه ، وأمير المؤمنين يشكر لك هذه الصنائع ، ويعرف أنه لولا اهتمامك لاتسع الخرق على الراقع ، وقد قلدك الديار المصرية والبلاد الشامية والديار البكرية والحجازية واليمنية والفراتية ، وما يتجدد من الفتوحات غورا ونَجْدا ، وفوض أمر جندها ورعاياها إليك حين أصبحت فى المكارم فَرْدا ، ولا جعل منها بلدا من البلاد ولا حصنا من الحصون مستثنى ، ولا جهة من الجهات تُعَدُّ فى الأعلى ولا الأدنى .

فلاحِظْ أمور الأُمة فقد أصبحت لها حاملا ، وخلّص نفسك من التبعات اليوم ففى غد تكون مسئولاً لا سائلا ، ودع الاغترار بالدنيا فما نال أحد منها طائلا ، وما رآها أحد بعين الحق إلا رآها خيالا زائلا ، فالسعيد من قطع آماله الموصولة ، وقدم لنفسه زاد التقوى فتقدمة غير

التقوى مردودة لا مقبولة ، وابسط يدك بالإحسان والعدل فقد أمر الله تعالى بالعدل والاحسان فى مواضع من القرآن ، وكفَّر به عن المرء ذنوباً وآثاما ، وجعل يوما واحدا فيه كعبادة العابد ستين عاما ، وما سلك أحد سبيل العدل والإحسان إلا واجتُنيت ثماره من أفنان ، ورجع الأمر به بعد أن تداعى أركانه وهو مُشَيَّد الأركان ، وتحصَّن به من حوادث زمانه والسعيد من تحصن من حوادث الزمان [1] ، وكانت أيامه فى الأيام أبهى من الأعياد ، وأحسن فى العيون من الغُرر فى أوجه الجياد ، وأحلى من العقود إذا حُلِّيَ بها عَطَل الأجياد .

وهذه الأقاليم المنوطة بك تحتاج إلى نُوَّاب وحُكّام ، وأصحاب رأى من أصحاب السيوف والأقلام ، فإذا استعنت[2] بأحد منهم فى أُمورك فنقّب عليه تنقيبا ، واجعل عليه فى تصرفاته رقيبا ، وسَلْ (٢٢٦ ب) عن أحواله ففى القيامة تكون عنه مسئولا وبما أجرم مطلوبا ، ولا تُوَلِّ منهم إلا من تكون مساعيه حسنات لك لا ذنوبا ،

---

(١) فى صبح الأعشى . وهو مشيد الأركان وتحصن به من حوادث الزمان وكانت . . .

(٢) فى الأصل : استعنت بهم خلا منهم فى أمورك فنقب عليها .

وأْمُرْهم بالأَناة فى الأُمور والرفق ، ومخالفة الهوى إذا ظهرت أَدلة الحق ، وأَن يقابلوا الضعفاء فى حوائجهم بالثغر الباسم والوجه الطَّلق ، وأَن لا يعاملوا أَحدًا على الإِحسان والإِساءة إلا بما يستحق ، وأَن يكونوا لمن تحت أَيديهم من الرعية إخوانا ، وأَن يوسعوهم بِرًّا وإِحسانا ، وأَن لا يستحلوا حرماتهم إذا استحلّ الزمان لهم حِرْمانا ، فالمسلم أخو المسلم ولو كان عليه أَميرا وسلطانا ، والسعيد من نسج وُلاته فى الخير على منواله ، واستنّ بسنته فى تصرفاته وأَحواله ، وتحمل عنه ما تعجز قدرته عن حمل أَثقاله .

ومما يؤمرون به أَن يمحى ما أُحْدِث من سَيِّئ السنن ، وجدد من المظالم التى هى من أَعظم المِحَن ، وأَن يشترى بإِبطالها المحامد رخيصة بأَغلى ثمن ، ومهما جنى منها من الأَموال فإنما هى باقية فى الذم حاصلة ، وأَجياد الخزائن إن أَضحت بها حالية فإِنما هى على الحقيقة منها عاطلة ، وهل أَشقى ممن احتقب إثما ، واكتسب بالمساعى الذميمة ذما ، وجعل السواد الأَعظم يوم القيامة خصما ، وتحمل

ظلم الناس فيما صدر عنه من أعمال ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ [1] .

وحقيق بالمقام الشريف المولوىّ السلطانىّ الملكى الظاهرى الركنىّ أن لا تكون ظلامات الأنام مردودة بعدله ، وطاعته تخفف ثقلا لا طاقة لهم بحمله ، فقد أضحى على الإحسان قادرا ، وصنعت له الأيام ما لم تصنعه لمن تقدم من الملوك وإن جاء آخرا ، فاحْمَد الله على أن وصل إلى جنابك إمام هُدًى يوجب لك مَزِيَّة التقديم ، ويُنَبِّه الخلائق على ما خصك الله به من الفضل العظيم . وهذه أُمور يجب أن تُلاحظ وتُرعى ، ويوالى عليها حمد الله فإن الحمد يَجِبُ (٢٢٧ ا) عليها عقلا وشرعا ، وقد تبين [لك] أنك صرت فى الأُمور [أصلا] وصار غيرك فَرْعا .

ومما يجب أيضا تقديم ذكره أَمرُ الجهاد الذى أَضحى على الأُمة فرضا ، وهو العمل الذى يرجع به مُسْوَدُّ الصحائف مُبْيَضّا ، وقد وعد الله المجاهدين بالأَجر العظيم ، وأَعدَّ لهم عنده المقام الكريم ، وخصهم بالجنة التى لا لَغْوٌ فيها ولا تَأْثيم ، وقد تقدمت لك فى الجهاد يدٌ بيضاء

(١) سورة طه الآية ١١١

أَسرعت فى سواد الحُسَّاد ، وعرفت منك عزمه وهى أَمْضَى مِمَّا تُجِنُّه ضمائر الأَغماد ، واشتهرت بك مواقف فى القتال هى أَشهر وأَشهى إلى القلوب من الأَعياد ، وبك صان الله حِمى الإِسلام أَن يُبْتَذَل ، وبعزمك حفظ على المسلمين نظام هذه الدُّول ، وسيفك أَثَّر فى قلوب الكافرين قروحا لا تنْدَمِل ، وبك يُرجى أَن يرجع مقرّ الخلافة إلى ما كان عليه فى الأَيام الأُوَل ، فأَيقِظْ لنصرة الإِسلام جفنا ما كان غافياً ولا هاجعا ، وكُنْ فى مجاهدة أَعداء الله إماما متبوعا لا تابعا ، وأَيِّد كلمة التوحيد فما تجد فى تأْييدها إلاّ مطيعا سامعا ، ولا تُخْلِ الثغور من اهتمام بأَمرها تبتسم له الثغور ، واحتفال يبدل ما دَجَا من ظلماتها بالنور ، واجعل أَمرها على الأُمور مقدما ، وشيّد منها كل ما غادره العدو متهدما (١) ، فهذه حصون بها يحصل الانتفاع ، وعلى العدو داعية افتراق لا اجتماع ، وأَولاها بالاهتمام ماكان البحر له مجاورا ، والعدو إليه ملتفتا ناظرا ، ولا سيما ثغور الديار المصرية فإن العدوَّ وصل إليها رابحًا وراح خاسرا ، واستأْصلهم الله فيها حتى ما أَقال منهم

(١) جملة « واجعل أمرها . . . متهدما » خلا منها صبح الأعشى .

عاثرا ، وكذلك الأُسطول الذى تُرى خيلُه كالأَهلَّة ، وركائبه سابقة بغير سائق مُستَقِلَّة ، وهو أَخو الجيش السُّليمانى فإن ذاك غدت الريح له حاملة ، وهذا تكفلت بحمله الرياح السابلة ، وإذا لحظها الطرف جارية فى البحر كانت كالأَعلام ، وإذا شبهها قال هذه (٢٢٧ ب) ليال تُقْلِعُ بالأَيام ، وقد سنَّى الله لك من السعادة كلَّ مَطلَب ، وآتاك من أَصالة الرأْى الذى يُريك المُغَيَّب ، وبسط بعد القبض منك الأَمل ، ونَشِط بالسعادة ما كان من كَسَل ، وهداك إلى مناهج الحق وما زلت مهتديا إليها ، وأَلزمك المراشد فلا تحتاج إلى تنبيه عليها ، والله تعالى يُمِدُّك بأَسباب نصره ، ويُوزِعك شكر نِعَمه فإن النعمة تستتِمُّ بشكره [١] .

وهذه نسخة [٢] العهد الذى كتبه القاضى محيي الدين ابن عبد الظاهر للملك المنصور قلاوون ، عن الخليفة الإمام أَبى العباس أَحمد الحاكم الأَول [٣] :

(١) زاد بعدها في صبح الأعشى : إن شاء الله تعالى .
(٢) صبح الأعشى ﺟ ١٠ ص ١١٦
(٣) في صبح الأعشى : الحاكم بأمر الله

الحمد لله الذى جعل آية السيف ناسخة لكثير من الآيات ، وفاسخة لعقود أُولى الشك والشبهات ، الذى رفع بعض الخلق على بعض درجات ، وأَهّل لأُمور البلاد والعباد من جاءت بخوارق تملّكه بالذى إن لم يكن من المعجزات فمن المكرمات .

ثم الحمد لله الذى جعل الخلافة العباسية بعد القطوب حسنة الابتسام ، وبعد الشحوب جميلة الاتّسَام ، وبعد التشريد كلٌّ دار إسلام لها أَعظمُ من دار السلام .

والحمد لله على أَن أَشهدها مصارع أَعدائها ، وأَحمد لها عواقب إعادة نصرها وإبدائها ، ورد تشتيتها بعد أَن ظن كلّ أَحد أَن شعارها الأَسود ما بقى منه إلا ما صانته العيون فى جفونها والقلوب فى سُويدائها .

ونشهد أَن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يتلذذ بذكرها اللسان ، وتتعطر بنفحاتها الأَفواه والأَردان ، وتتلقاها ملائكة القبول فترفعها إلى أَعلى مكان .

ونصلي على سيدنا محمد الذى أكرمنا الله به (٢٢٨ ا)
وشرف لنا الأنساب ، وأعزنا به حتى نزل فينا مُحْكَم
الكتاب ، صلى الله عليه وعلى آله الذين انْجَابَ الدين
منهم عن أَنْجَاب ، ورضى الله عن صحابته الذين هم خير
صِحَاب ، صلاة ورضوانا يوفَّى قائلُها أَجرَه يوم الحساب ،
من الكثرة بغير حساب يوم الحساب .

وبعد حَمْدِ الله على أن أَحْمَدَ عواقبَ الأُمور ، وأظهر
للإسلام سلطانا اشتدت به للأُمة الظهور وشُفيت الصدور ،
وأَقام الخلافة العباسية فى هذا الزمن بالمنصور كما أقامها
فى ما مضى بالمنصور ، واختار لإعلان دعوتها من يحيي
معالمها بعد العفاء ورسومها بعد الدُّثور ، وجمع لها الآن
ما كان جَمع عليها فيما قبل من خِلاف كلّ ناجِم ، ومنحها
ما كانت تبشرها بِهِ منَ الملاحم (١) ، وأَنفذ كلمتها فى ممالك
الدولة العلوية بخير سيف مشحوذ ماضى العزائم ، ومازج
بين طاعتها فى القلوب وذكرها فى الأَلسنة وكيف
لا والمنصور هو الحاكم ، وأَخرج لِحياطة الأُمة المحمدية
ملكا تُقَسَّم البركات عن يمينه ، وتُقْسِم السعادةُ بنور

(١) غيرها المحققون في صبح الأعشى فجعلوها : « صحف الملاحم » .

جبينه ، وتُقْهَر الأَعداء بفتكاته ، وتُمْهَر عقائل المعاقل بأَصغر راياته ، ذو السعد الذى ما زال نوره يَشِفُّ حتى ظهر ، ومعجزه يَرِفُّ إلى أَن بهر ، وجوهره ينتقل من جِيد إلى جِيد حتى علا الجبين ، وسرّه يكمن فى قلب بعد قلب حتى عُلم – والحمد لله – نَبأُ تمكينه فى الأَرض بعد حين ، فاختاره الله على علم ، واصطفاه من بين عباده بما جبله الله عليه من كرم وشجاعة وحلم ؛ وأَتى الله به الأُمة المحمدية فى وقت الاحتياج غَوْثا ، وفى إبّان الاستمطار غيثا ، وفى حين عَيْث الأَشبال فى غير الافتراس ليثا ، فوجب على من له فى أَعناق الأُمة المحمدية مبايعة رضوان ، وعند أَيمانهم مصافحة أَيمان ، ومن وجبت له البيعة (٢٢٨ ب) باستحقاقه لميراث منصب النبوّة ، ومن تَصِحُّ منه كل ولاية شرعية يؤخذ كتابها منه بقُوَّة ، ومن هو خليفة الزمان والعصر ، ومن بدعواته يُنزل الله عليكم معاشرَ كُماةِ الإسلام ملائكة النصر ، ومن نسبه بنسب نبيكم – صلى الله عليه وسلم – مُتّشِج ، وحسبه بحسبه ممتزج ، أَن يفوض ما فوضه الله إليه من أَمر الخلق ، إلى من يقوم عنه بفرض الجهاد والعمل بالحق ،

وأن يوليه ولاية شرعية تصح بها الأَحكام ، وتنضبط أُمور الإسلام ، وتأْتى هذه العصبة الإسلامية يوم تأْتى كل أُمة بإمامهم من طاعة خليفتهم هذا بخير إمام ، وخرج أَمر مولانا أمير المؤمنين - شرفه الله - أَن يكون للمقر العالى المولوىّ السلطانىّ الملكىّ المنصورىّ - أَجلّه الله ونصره وأَظفره وأَقدره وأَيده وأَبّده - كلُّ ما فوضه الله لمولانا أَمير المؤمنين من حُكْم فى الوجود ، وفى التهائم والنجود ، وفى الجيوش والجنود ، وفى المدائن والخزائن ، وفى الظواهر والبواطن ، وفيما فتحه الله وفيما سيفتحه ، وفيما كان فسد بالكفر والرجاء من الله أَنه سيصلحه ، وفى كل جود وَمَنّ ، وفى كلّ عطاء ومَنّ [1] ، وفى كلْ هبة وتمليك ، وفى كل تفرد بالنظر فى أُمور المسلمين بغير تشريك ، وفى كل تعاهد وَنبْذ ، وفى كل عطاء وأَخذ ، وفى كل عزل وتولية ، وفى كل تسليم وتخلية ، وفى كل إرفاق وإنفاق ، وفى كل إنعام وإطلاق ، وفى كل استرقاق وإعتاق ، وفى كل تقليل وتكثير ، وفى كل اتساع وتقتير ، وفى كل تجديد وتعويض ، وفى كل حَمد وتقريض

(١) هكذا أيضا في صبح الأعشى وقال المحققون : لعل المراد : وقطع ، من : منّ الحبل : قطعه .

ولاية عامة تامة مُحْكَمةٌ مُحَكَّمة ، منضدة منظَّمة ، لا يتعقَّبها نسْخ من خلفها ولا من بين يديها ، ولا يعتريها فسخ يطرأُ عليها ، يزيدها مرّ الأَيام جِدَّة يُعاقبها حُسْنُ شَباب ، ولا ينتهى على الأَعوام والأَحقاب، نعم يَنتهى إلى مانصب الله للإرشاد من سنة وكتاب ، وذلك من (٢٢٩ ا) شرع الله أَقامه للهداية علما ، وجعله إلى اختيار الثواب سُلَّما ، فالجواب أن يعمل بجزئيات أَمره وكلّياته ، وأَن لا يخرج أَحد عن مقدماته .

والعدل ، فهو الغرس المُثْمِر ، والسحاب الممطر ، والروض المزهر ، وبه تتنزل البركات ، وتخلف الهِبات ، وتُرْبى الصدقات ، وبه عمارة الأرض ، وبه تُؤَدَّى السنة والفرض ، فمن زرع العدل اجتنى الخير ، ومن أَحسن كُفِى الضرر والضَّير .

والظلم ، فعاقبته وخيمة ، وما يطول عمر الملك إلا بالمعدلة الرحيمة .

والرعية ، فهم الوديعة عند أُولى الأَمر ، فلا يُخصَّصُ بحسن النظر منهم زيد ولا عَمْرو .

والأَموال ، فهـى ذخائر العاقبة والمـآل ، والواجب أَن تؤخذ بحقّها وتُنفق فى مستحقها .

والجهاد برّا وبحرًا فمن كنانة الله تُفَوَّق سهامُه ، وتؤرَّخ أَيامُــه ، ويُنتضَى حُسامُه ، وتَجرى مُنشآتُــه فى البحــر كالأَعلام وتُنْشر أَعلامه ، وفى عقر دار الحــرب يُحَطُّ ركابه ، ويُخَطُّ كتــابه ، وتُرســل أَرسانُه ، رتجــوس خلالها فُرسانهُ ، فيلزم منــه ديدنا ، وليستصحب منــه فعــلا حسنا .

وجيوش الإِسلام وكُماته ، وأُمراؤه وحُماته ، فهم من قد علمت قِدَمَ هِجْرِه [1] وعِظَم نَصْرِه ، وشدة بـاس ، وقُوة مِراس ، ومَا منهم إلاَّ من شهد الفتــوحات والحروب ، وأَحسن فى المحاماة عن الدين الدءُوب ، وهم بقايا الدول ، ونجايا [2] الملوك الأُول ، لا سيما أُولو السعى الناجح ، ومن لهــم نسبةٌ صالحيــة إذا فخروا بها قيــل لهم نعم السلف الصالح ، فأَوسِعْهم بِرّا ، وكن بهم بَرّا ، وهم بمـا يجب من خدمتك أَعلم وأَنت بما يجب من حرمتهم أَدرى .

---

(١) الهجر الفائق ، ويراد هنا التفوق .

(٢) في صبح الأعشى : وتحايا .

والثغور والحصون ، فهـى ذخائر الشدة ، وخزائن العديد والعُدَّة ، ومقاعد للقتال ، وكنائن الرجال والآمال[1] ، فأَحسن لها التحصين ، وفَوِّض أمرها إلى كل قوىّ أمين ، وإلى كلّ ذى دِين متين ، وعقل (٢٢٩ ب) رصين .

ونوّاب الممالك ونوّاب الأَمصار ، فأَحسن لهم الاختيار ، وأَجمل لهم الاختبار ، وتفقَّد لهم الأَخبار.

وأَما ما سوى ذلك فهو داخل فى حدود هذه الوصايا النافعـة ، ولولا أن الله أَمرنا بالتذكير ، لـكانت سجـايا المقرّ الأَشرف السلطـانى الملـكىّ المنصورىّ مـكتفيـةً بـأَنوار أَلْمَعِيَّتِـهِ الساطعة ، وزمامُ كل صلاح يجب أَن يشغل به جميـعَ أَوقاته هو تقوى الله ، قال الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِين آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِه ﴾ [2] فليـكن ذلك نُصْبَ العين ، وشغل القلب والشَّفتين .

وأَعداء الدين ، من أَرمن وفرنـج وتتار ، فأَذقهـم وبال أَمرهم فى كل إيراد للغزو وإصدار ، وثُرْ لِأَنْ تـأْخذ

(١) في صبح الأعشى : الرجاء والرجال .

(٢) سورة آل عمران الآية ١٠٢

للخلفاء العباسيين ولجميع المسلمين منهم الثار ، واعلم أَن الله نصيرك على ظلمهم وما للظالمين من أنصار .

وأما غيرهم من مُجاوريهم من المسلمين ، فـأَحسن باستنقاذك منهم العلاج ، وطُبَّهم باستصلاحك فبالطبّ الملكىّ المنصورىّ ما زال ينصلح المِزاج ، والله الموفق بكرمه .

تنبيه ـ قد ذكر محمد بن عمر المدائنى أنه كان فى الزمن المتقدم أنه كان يكتب للأُمراء عن الخلفاء فى قرطاس من نصف طومار ، وتقدم فى آخر البيعات وعهود الخلفاء أَن المراد قطع البغدادى ، وكانت الأُمراء من متقلدى الممالك عنهم قائمة مقام الملوك الآن ، أَما الذى استقر عليه الحال فيما يكتب عن خلفاء بنى العباس بالديار المصرية لملوكها ففى قطع البغدادى الكامل ، ولم يزل الأَمر على ذلك إلى أَن تملك الملك المؤيد شيخ ، سلطان العصر ، فكتب عهده فى ورق يزيد عرضه عن قطع البغدادى بقدر نصفه بقلم مختصر الطومار .

الفصل الثانى من الباب الرابع

فيما يكتب عن الخلفاء لمن دون الملوك من أرباب الوظائف والولايات، وهو على خمسة أساليب .

الأُسلوب الأَول

أَن يفتتح ما يكتب بلفظ : عهد من فلان، أَو : هذا ما عهد عبد الله أَبو فلان الإِمام الفلانىّ أَمير المؤمنين إلى فلان بن فلان ، ويصفه بما يليق به ، ثم يقال : فقلده كذا وكذا ، ويذكر الوظيفة المُوَلاَّةَ ، ثم يقال : أَمره بكذا وأَمره بكذا ، إلى آخر الوصايا ، ثم يقال : هذا عهد أَمير المؤمنين إليك ، على نحو ما تقدم فى عهود الخلفاء إلى الملوك ، وعلى هذا جُلُّ ما كان يكتب (٢٣٠ ا) فى الدولة العباسية بالعراق من وظائف أَرباب السيوف والأَقلام إلا أَنه فى آخر الدولة كان يقع الوصف والإِطراء فى حق الخليفة وحق المُوَلَّى أَكثر منه مما قبل ذلك ، والأَصل فى هذا الأُسلوب ما كُتب به عن أَبى بكر الصديق رضى الله عنه لأُمرائه الذين وجههم لقتال أَهل الردة

وهذه نسخته[1]

هذا عهد من أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لفلان حين بعثه لقتال من رجع عن الإسلام ، عهد إليه أن يتقى الله تعالى ما استطاع فى أمره كله وسره وجهره .

وأمره بالجِدّ فى أمر الله تعالى ، ومجاهدة من تولّى عنه ورجع من الإسلام إلى أمانىّ الشيطان ، بعد أن يُعْذِر إليهم فيدعوهم بدعاية الإسلام ، فإن أجابوه أمسك عنهم ، وإن لم يجيبوه شن غارته عليهم ، ويعطيهم الذى لهم ولا يُنظرهم ولا يردُّ المسلمين عن قتال عدوّهم ، فمن أجاب إلى أمر الله عز وجل وأقرَّ له قَبِلَ ذلك منه وأعانه عليه بالمعروف ، وإنما يُقاتَلُ من كفر بالله على الإقرار بما جاء من عند الله ، فإذا أجاب الدعوة لم يكن له عليه سبيل ، وكان الله حسبه فيما استسرَّ به ، ومن لم يجب إلى داعية الله قُوتل حيث كان وحيث بلغ مُرَاغَمُه[2] ، لا يقبل الله من أحد شيئاً أعطاه إلا الإسلام ، فمن أجابه وأقرَّ به قبل منه

(١) صبح الأعشى جـ ١٠ ص ١٩٢

(٢) المراغم : المهرب .

وعلمه ، ومن أَبى قاتله ، فإن أَظهره الله عز وجل عليه قَتَلَ فيهم كُلَّ قِتْلة بالسلاح والنيران ، ثم قسم ما أفاء الله عليه إلاَّ الخُمس فإنه مُبَلِّغُنَاه ، ويمنع أَصحابه العجلة والفساد ، وأن لا يَدخُل فيهم حَشْوٌ حتى يعرفهم ويعلم ما هم ، لئلا يكونوا عيوناً [1] ولئلا يُؤتى المسلمون من قبلهم ، وأن يقصد بالمسلمين الرفق ويرفق بهم فى السير والمنزل ، ويتفَقَّدهم ولا يُعْجِل بعضهم عن بعض ، ويستوصى بالمسلمين فى حسن الصحبة ولين الفعل[2] .

(٢٣٠ ب) وهذه نسخة عهد بقضاء القضاة بحاضرة بغداد وسائر الأَعمال ، كُتب به عن الإمام الناصر لدين الله للقاضى محيي الدين أَبى عبد الله محمد بن فَضْلان ، من إنشاء عضد الدين بن الضحَّاك [3] .

هذا ما عهد عبد الله وخليفته فى العالمين ، المفترض الطاعة على الخلق أَجمعين ، أَبو العباس أَحمد الناصر لدين الله أَمير المؤمنين ، إلى محمد بن [يحيى بن] فضلان ،

(١) في الأصل : أعوانا .

(٢) في صبح الأعشى : ولين القول .

(٣) صبح الأعشى ج ١٠ ص ٢٨٦

حين سَبَرَ خلاله واستقراها ، واعتبر طرائقه واستبراها ،
فألفاه رشيدا فى مذاهبه ، سديدا فى أفعاله وضرائبه ،
موسوما بالرصانة ، حاليا بالوَرع والديانة ، مبرِّزا من
العلوم فى فنونها ، عالما بمفروض الشريعة المطهرة ومسنونها ،
مُدَّرِعا ملابس العفاف ، قد أَناف على أَمثاله فى بوارع
الأوصاف ، فقلده قضاء القُضاة فى مدينة السلام وجميع
البلاد والأعمال ، والنواحى والأَمصار ، شرقا وغربا ،
وبعدا وقربا ، سكوناً إلى ما علم من حاله ، واضطلاعه
بالنهضة المنوطة به واستقلاله ، وركونا إلى قيامه
بالواجب فيما أُسند إليه ، ونهوضه بعبء ما عُوِّل فى
حفظ قوانينه عليه ، واستنامةً إلى حُلول الاصطناع عنده ،
ومصادفته منه مكانا تبَوَّأَه بالاستحقاق وحده ، والله
تعالى يُعَضِّد أَمير المؤمنين بمزيد التوفيق فى جميع الأُمور ،
ويُحسن له الخِيرَة فيما يَؤُمُّه من مناظم الدِّين وصلاح
الجمهور ، وما توفيقُ أَمير المؤمنين إلا بالله عليه يتوكل
وإليه ينيب .

أَمره بتقوى الله تعالى فى إعلانه وإسراره ، وتقمُّص
شعارها فى إظهار أَمره وإضماره ، فإنها العروة الوثقى ،

والذُّخر الأَبقى ، والسعادة التى ما دونها فوز ولا فوقها مَرْقى ، وهى حيلة الأَبرار ، وسِيما الأَخيار ، والمنهج الواضح ، والمتجر الرابح ، والسبيل المؤدى إلى النجاة والخلاص ، يوم (٢٣١ ا) لا وَزَر ولات حين مناص ، وأَنفع العُدد والذخائر ، وخير العتاد يوم تُنشر الصحف وتُبلى السرائر ، يوم تشخص الأَبصار ، وتَعدَم الأَنصار ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ . سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ (١) ولا ينجو من عذاب الله يومئذ إلا من كان زاده (٢) التقوى ، وتمسك منها بالسبب الأَقوى ، قال الله تعالى ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (٣) .

وأَمره أَن يجعل كتاب الله تعالى إماما يهتدى بمناره ، ويستصبح ببواهر أَنواره ، ويستضىء فى ظلم المشكلات بمنير مصباحه ، ويقف عند حدود محظوره ومباحه ، ويتخذه مثالا يحتذيه ، ودليلا يتبع أَثره فيهديه ،

(١) سورة إبراهيم الآية ٤٩ ، ٥٠

(٢) في الأصل : رداه .

(٣) سورة البقرة الآية ١٩٧

ويعمل به فى قضاياه وأحكامه ، ويقتدى بأوامره فى نقضه وإبرامه ، فإنه دليل الهدى ورائده ، وسائق النجح وقائده ، ومعدن العلم ومنبعه ، ومنجم الرشاد ومطلعه ، وأحد الثقلين اللَّذَيْن جعلهما [١] رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الأُمة ، والذِّكْرُ الذى جعله الله تبياناً لكل شىء وهدى ورحمة ، [فقال عز من قائل ﴿ وَنَزَّلنا عليك الكتابَ تِبْياناً لِكُلِّ شىءٍ وهُدًى ورَحْمةً] وبشرى للمسلمين ﴾ [٢]

وأمره باتباع [٣] الآثار النبوية صلوات الله على صاحبها وسلامه ، والاهتداء بشموسها التى تنجلى به دُجُنَّةُ كل مشكل وظلامُه ، والاقتداءِ بسنة الشريعة المتبوعة ، وتَصفُّح الأَخبار المسموعة ، والعمل منها بما قامت أدلة صحته من جميع جهاته ، فاستحكمت الثقة بنَقَلتِه عنه — عليه السلام — ورُواته ، وسَلِمت أَسانيده من قَدْح ، ورجاله من ظِنَّةٍ وجَرْح ، فإنها التالية للقرآن المجيد فى وجوب العمل بأوامره ، والانتهاء بروادعه وزواجره ، وهو عليه الصلاة والسلام الصادق الأَمين ، الذى ما ضل وماغوى ، وماينطق عن الهوى ، وقد

(١) فى صبح الأعشى : خلفهما

(٢) سورة النحل الآية ٨٩

(٣) فى صبح الأعشى : « بانتزاع » وفسر بالهامش بمعنى التمثل .

قرن الله [سبحانه] طاعته بطاعته. (٢٣١ ب) والعمل بكتابه والأخذ بسنته، فقال عز من قائل ﴿ وَما آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَما نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [١] .

وأمره بمجالسة العلماء، ومباحثة الفقهاء، ومشاركتهم فى الأمور المشكلة . وعوارض الحكومات المعضلة ، ليستبين سبل الصواب . ويَعْرَى الحُكم من ملابس الشُّبَه والارتياب ، ويخلص من خطإ الانفراد وغوائل الاستبداد، فالمشورة باليُمْن مقرونة، والسلامة فى مطاويها مضمونة. وقد أمر الله تعالى بها نبيه صلى الله عليه وسلم مع شرف منزلته . وكمال عصمته . وتأييده بروحه وملائكته، فقال سبحانه ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِى الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [٢] .

وأمره بفتح بابه ،ورفع حجابه ، وأن يجلس للخصوم جلوسا عامّا ، وينظر فى أُمورهم نظرا حسنا تامّا ، مساويا بينهم فى نظره ولحْظِه ، وإصغائه ولفظه ، مُحترزا من

(١) سورة الحشر الآية ٧

(٢) سورة آل عمران الآية ١٥٩

ذى اللَّسَن وجرأَة جنانه ، مُتَأَنِّياً بذى الحصر عند إقامة برهانه ، فربما كان أَحد الخصمين أَلحنَ بحجته ، والآخر ضعيفا عن مقاومته ، هذا مقام الفحص [1] والاستفهام ، والتثبت فى إمضاء الأَحكام ، ليسلم من خديعة محتال ، وكيد مغتال ، مائلا فى جميع ذلك مع الواجب [سالكاً طريق العدل اللاحب] غير فارق فى إمضاء الحكم بين القوى والضعيف ، والمشروف والشريف ، والمالك والمملوك ، والغنى والصعلوك ، قال الله تعالى ﴿ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا ﴾ [2] وقال تعالى ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ ﴾ [3].

وأَمره بتصفح أَحوال الشهود ، المسموعة أَقوالهم فى الحقوق والحدود ، المرجوع إلى أَمانتهم ، المعمول بشهادتهم ، الذين بهم تُقام الحجج وتُدحض ، وتُبرم الأَحكام وتنقض ، وتُثبت الدعاوى وتُبطل ، وتُمضَى القضايا وتُسجّل ، مجتهدا فى البحث عن طرائقهم وأَحوالهم ،

(١) فى الأصل : الخفض .

(٢) سورة النساء الآية ١٣٥

(٣) سورة المائدة الآية ٤٤

وانتقاد [1] تصاريفهم وأفعالهم واستشفاف سجاياهم وعرفان (٢٣٢ ا) مزاياهم، مخصّصا بالتمييز من كان حميد الخِلال، مرضىّ الفِعال، راجعا إلى ورع ودين، متمسكا من الأَمانة والنزاهة بالسبب المتين، قال الله تعالى ﴿ وأَشْهِدُوا ذَوَىْ عَدْلٍ مِنْكُمْ ﴾ [2]

وأمره بالنظر فى أُمور اليتامى وأَموالهم، ومراعاة شئونهم وأَحوالهم، وأن يرتب بسبب اتّساق مصالحهم الثِّقاتِ الأَعِفَّاء، والأُمناء الأَتقياء، ممن ظهرت ديانته، وحسُنت سيرته، واشتهر باللطف والعفاف، والتنزُّه عن الطمع والإسفاف [ويأْمرهم بحفظها من خلل يتخللها، ويد خائنة تدخلها، وليكن عليهم حَدِبًا، وفى فرط الحنوّ أَبا، وخلفا من آبائهم فى الإشفاق] عليهم، وحسن الالتفات إليهم. فإنه عنهم مسئول، والعذر عند الله تعالى فى إهمالهم غير مقبول، وأن يأْذن لهم فى الإنفاق عليهم بالمعروف من غير إسراف ولا تقتير، ولا تضييق ولا تبذير، فإذا بلغ أَحدهم النكاح، وآنس منه أَمارات الرشد

(١) في الأصل: وتنفيذ.

(٢) سورة الطلاق الآية ٢

والصلاح ، دفع ماله إليه ، وأشهد بقبضه عليه ، على الوجه المنصوص ، غير منقوص ولا منغوص ، ممتثلا أمر الله تعالى فى قوله سبحانه ﴿ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللهِ حَسِيباً ﴾ (١) .

وأمره بتزويج الأيامى اللواتى لا أولياء لهن من أكفائهن ، بمهور أمثالهن ، وأن يشمل ذوات الغنى والفقر منهن بعدله ، ويتحرّى لهن المصلحة فى عقده وحلّه .

وأمره أن يستنيب فيما بعُد عنه من البلاد ودنا ، وقرب منه ونأى ، كلّ ذى علم واستبصار ، وتيقُّظ فى الحكم واستظهار ، ونزاهة شائعة ، وأوصاف لأدوات الاستحقاق جامعة ، ممن يتحقق نهوضه بذلك واضطلاعه ، ويؤمن استنزاله (٢) وانخداعه ، وأن يعهد إليهم فى ذلك بمثل ما عُهد إليه فلا يألوهم تنبيها وتذكيرا ، وإرشادا وتبصيراً ، قال الله تعالى ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ (٣) .

---

(١) سورة النساء الآية ٦

(٢) في صبح الأعشى : استزلاله .

(٢) سورة المائدة الآية ٢

وأمره بإمضاء ما أَمضاه مَنْ قبله مِنَ الحُكَّام، من القضايا والأَحكام، غير متعقّب (٢٣٢ ب) أَحكامهم بنقض ولا تبديل ، ولا تغيير ولا تأْويل ، إذا كانت جائزة فى بعض الأَقوال ، مُمضاة على وجه من وجوه الاحتمال ، غير خارقة للإجماع ، عارية من ملابس الابتداع ، وإن كان ذلك منافياً لمذهبه ، جاريا على خلاف معتقده [١] قال الله تعالى ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [٢] .

وأَمره أَن يتخذ كاتباً قيِّماً بشروط القضايا والسّجِلاّت، عارفا بما يتطرق نحوها من الشبه والتأْويلات، ويتداخلها من النقص والتلبيسات ، متحرّزا فى كل حال، متنزها عن ذميم الأَفعال ، وأَن يتخير حاجبا نَقِيَّ الجَيْب ، مأْمون المشهد والغَيْب ، مسْتشعرا للتقوى، فى السر والنجوى ، سالكا للطريقة المُثلى ، غير متجهِّم للناس، ولا معتمدٍ ما ينافى بسط الوجه والإيناس، فإنه وُصْلتهم إليه، ووجهُه المشهود قبل الدخول عليه ، فلينتخِبْه من بين أَصحابه ،

(١) فى صبح الأعشى بدل هذه الجملة ما يأتى : فقد سبق حكم الحاكم به .

(٢) سورة المائدة الآية ٤٥

ومن يرتضيه من أَمثاله وأَضرابه .

وأمره بتسلّم ديوان القضاء والحُكم ، والاستظهار على ما فى خزائنه بالإثبات والختم ، والاحتياط على ما به من المال والسجلات ، والحجج والمحاضر والولايات (١) والقبُوض (٢) والوثائق والأَثبات والكفالات ، بمحضر من [العدول] الأُمناء الثقات ، وأَن يرتب لذلك خازنا يؤدى الأَمانة فيه ، ويتوخَّى ما تُوجبه الديانة وتَقتضيه .

وأمره بمراعاة [أمر] الحسبة فإنها من أَكبر المصالح وأَهَمِّها ، وأَجمعها لمنافع الخلق وأَعَمِّها ، وأَدعاها إلى تحصين أَموالهم ، وانتظام أَحوالهم ، وأَن يأْمر المستنابَ فيها باعتبار سائر المبيعات ، وما فيها من الأَقوات ، وغيرها فى عامة الأَوقات ، وتحقيق أَسباب الزيادة والنقصان فى الأَسعار ، والتصدى لذلك على الدوام والاستمرار ، وأَن يُجرى الأَمرَ فيها بحسب ما تقتضيه الحال الحاضرة ، والموجبات الشائعة الظاهرة ، واعتبار الموازين والمكاييل ، وإعادة الزائد والناقص منها إلى التسوية والتعديل ، فإن

---

(١) في صبح الأعشى : والوكالات .

(٢) في الأصل : والتفويض .

اطّلع لأَحد (٢٣٣ ا) من المتعاملين على خيانة فى ذلك وفعل ذميم ، أَو تطفيف عَدَل فيــه [١] عن الوزن بالقِسطاس المستقيم ، ناله من التـأْديب ، وأَسباب التهذيب ، بمــا يــكون له رادعا ، ولغيره زاجرا وازعا ، قال الله تعالى ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ . الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُون . وإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ . أَلاَ يَظُنُّ أُولٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ . لِيَوْمٍ عَظِيمٍ . يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [٢] .

هذا عهد أَمير المؤمنين إِليك ، وحجته عند الله تعالى عليك ، قد أَولاك من صنوف النعم والآلاء ، وجزيل النعم والحِباء ، ما يوجب عليك الاعتراف بقدره ، واستيزاع شــكره ، ووقف بك على محجّة الرشاد ، وهداك منهج الحق وسَنَن السداد ، ولم يـأْلُك تثقيفا وتبصيرا ، وتنبيها وتذكيرا ، فتـأَملْ ذلك متدبرا ، وقف عند حدود أَوامره ونواهيه مستبصرا ، واعمل به فى كل ما تـأْتيــه وَتَذَرُه ، وتُورده وتُصدره ، وكن للمَخِيلة فى ارتيادك مُحَقِّقا ، والمعتقد فيك مصدِّقا ، تفُزْ من خير الدارين بِمُعَلَّى القِدَاح ،

---

(١) في الأصل : عدل به فيه .

(٢) سورة المطففين الآيات ١ — ٦

وإحماد السُّرى عند الصباح ، وحسب أمير المؤمنين اللهُ ونعم الوكيل إن شاء الله تعالى .

وهذه نسخة عهد بتقليد المظالم بمدينة السلام [1]

كتب به أَبو إسحاق الصابى عن المطيع لله إلى الحسين ابن موسى العلوى وهو :

هذا ما عهد عبد الله الفضلُ الإمامُ المطيع لله أمير المؤمنين ، إلى الحسين بن موسى العلوى ، حين اجتمع فيه شرف الأَعراق ، والأَخلاق ، وتكامل فيه يمن النقائب والضرائب ، وعرف أمير المؤمنين فيه فضل الكفاية والغناء ، ورشاد المقاصد والأَنحاء ، فى سالف ما ولَّاه إياه من أعماله الثقيلة التى لم يزل فيها محمود المقام ، (٢٣٣ ب) مستمرا على النظام ، مصيب النقض والإبرام ، سديد الإسداء والإلحام ، زائدا على الزَّائدين ، راجحاً على الموازين ، فائتا المحاذين [2] مبرّزا على المُبارين ، فقلده النظر فى المظالم بمدينة السلام وسوادها وأَعمالها ، وما يجرى معها ، ثقةً بعلمه ودينه ، واعتمادا على بصيرته

(١) صبح الأعشى جـ ١٠ ص ٢٤٣

(٢) في الأصل : المحادرين .

ويقينه ، وسكونا إلى أن الأَيام قد زادته تحليما وتهذيبا ، والسّنّ [١] قد تناهت به تحكيما وتجريبا ، وأن صنيعة أمير المؤمنين مستقرة منه عند أَكرم أكفائها ، وأشرف أَوليائها ، برَحمه الماسَّة الدانية ، وخدمته الشامخة الغالية [٢] ومعرفته الثاقبة الداعية إلى التفويض إليه ، الباعثة على التعويل عليه ، وأمير المؤمنين يستمد الله فى ذلك أَحسن ما عوّده من هداية وتسديد ، ومعونة وتأْييد ، وما توفيقه إلا بالله عليه يتوكل وإليه ينيب .

أَمره بتقوى الله التى هى الجُنَّة الحصينة ، والعصمة المتينة ، والسبب المتصل يوم انقطاع الأَسباب ، والزاد المبلغ إلى دار الثواب ، وأن يَستشعرها فيما يُسرّ ويعلن ، ويعتمدها فيما يُظهر ويبطن ، ويجعلها إمامه الذى ينحوه ، ورائده الذى يقفوه ، إذ هى شيمة الأَبرار والأَخيار ، وكان أَولَى من تعلق بعَلائقها ، وتمسَّك بدقائقها ، لمَفْخَرِه الكريم ، ومنصبه الصميم ، واستظلاله مع أَمير المؤمنين بدوحة رسول الله صلى الله عليه وسلم التى

(١) في الأصل : والسير .

(٢) في صبح الأعشى : وحرمته الشامخة العالية .

يَــكْتَنَّانِ فى فنائها ، ويـأْويان إلى أفيائها ، وحقيق على من كان منها منزعه ، وإليها مرجعه ، أَن يكون طيباً زكيّا ، طاهرا نقيّا ، عفيفا فى قوله وفعله ، نظيفا فى سره وجهره ، قال الله تعالى ﴿ إنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْــكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ (1) .

وأَمره بتلاوة القرآن ، وتـأَمُّلِ ما فيه من البرهان ، وأَن يجعله نُصْباً لناظره ، ومأْلفا لخاطره ، فيـأْخذ به ويُعطى ، ويـأْتمر به وينتهى ، (٢٣٤ ا) فإنه الحجة الواضحة ، والمحجة اللائحة ، والمعجزة الباهرة ، والبَيِّنة العادلة ، والدليل الذى من اتبعه سَلِمَ ونجا ، ومن صَدَفَ عنه هلك وَهَوى ، قال الله عزَّ من قائل ﴿ وإنَّه لَــكِتَابٌ عَزِيزٌ . لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَــكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (2) .

وأَمره أَن يجلس للخصوم جلوساً عامّا ، ويقبل عليهم إقبالا تامّا ، ويتصفــح ما يرفع إليه من ظلاماتهم ، ويُنعم النظر فى أَسباب مُحادثاتهم ، فما كان طريقه طريق المنازعة المتعلقة بنظر القضاة وشهادات العدول ردّه

(١) سورة الأحزاب الآية ٣٣

(٢) سورة فصلت الآية ٤١ ، ٤٢

إلى المتولى للحُكم ، وما كان طريقه طريق الغصوب المحتاج فيها إلى الكشف والفحص ، والاستشفاف والبحث ، نظر فيه نظر صاحب المظالم ، وانتزع الحق ممن غصب عليه ، واستخلصه ممن امتدت له يد التعدّى والتغرر إليه ، وأعاده إلى مستحقه ، وأقرّه عند مستوجبه ، غير مراقب كبيرًا لكِبرِه ، ولا خاصًّا لخصوصه ، ولا شريفا لشرفه ، ولا متسلطاً لسلطانه ، بل يقدّم أمر الله جل ذكره فى كل ما يأْتى ويذر ، ويتوخى رضاه فيما يُورِد ويُصْدِر ، ويكون على الضعيف المُحِقّ حَدِبا ورءُوفا حتى يتصبر[1] وينتصف ، وعلى القوى المبطل شديدا غليظا حتى ينقاد ويُذْعِن ، قال الله جل وعز ﴿ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِى الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ [2]

وأمره بأن يفتح بابه ، ويُسَهِّل حُجّابه ، ويبسط وجهه ، ويُلين كَنَفه ، ويَصبر على الخصوم الناقصين فى بيانهم حتى تظهر حجتهم ، ويُنعم النظر فى أقوال أهل

---

(١) في صبح الأعشى : ينتصر

(٢) سورة ص الآية ٢٦

اللسن والبيان منهم حتى يعلمَ مَغَبَّتَهُم [1] ، فربما استظهر العِرِّيض المُبطل بفضل بيانه ، على العاجز المُحِقِّ لِعِيِّ لسانه ، وهنالك يجب أن يتبع التصفُّح على القولين ، والاستبطال [2] للأمرين ، ليؤمَن أن يزول الحق عن (٢٣٤ ب) سَنَنه ، ويَزْوَرّ الحُكْم عن طريقه ، قال الله عز وجل ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ [3]

وأمره بأَن لا يَرُدَّ للقُضاة حكما يمضونه ، ولا سِجِلاًّ يُنَفِّذونه ، ولا يُعَقِّب ذلك بفسخ ، ولا يَطْرُق عليه بنقض [4] ، بل يكون لهم موافقا مؤازرا ، ولأحكامهم عاضدا ناصرا ، إذ كان الحق واحدا وإن اختلفت المذاهب إليه ، فإذا وجد القضية قد سِيقَتْ ، والحكومة قد وَقَعت ، فليس هناك شك يُوقَف عنده ، ولا ريب يُحتاج إلى الكشف عنه ، وإذا وجد الأمر مشتبها ، والحقّ ملتبسا ، والتغرُّر مستعملا ، والتغلب مستجازا ، نظر فيه نظر الناصر لحقّ

(١) في صبح الأعشى : مصيبتهم .
(٢) في صبح الأعشى : والاستظهار .
(٣) سورة الحجرات الآية ٦
(٤) في صبح الأعشى : ولا يُطَرِّق عليه النقض

المحقين ، الداحض لباطل المبطلين ، المُقوّى لأيدى المستضعفين ، الآخذ على أيدى المعتدين ، قال الله عز وجل ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ (١) .

وأمره أن يستظهر على معرفته بمشاورة القضاة والفقهاء ، ومباحثة الرَّبَّانيِّين والعلماء ، فإن اشتبه عليه أمر استرشدهم ، وإن عزب عنه صواب استدلّ عليه بهم ، فإنهم أَزِمَّة الأحكام ، وإليهم مرجع الحُكَّام ، وإذا اقتدى بهم فى المشكلات ، وعمل بأقوالهم فى المعضلات ، أَمِنَ من زلَّة العاثر ، وغلطة المُستَاثر ، وكان خليقا بالأَصالة فى رأْيه ، والإِصابة فى أَبْحاثه ، وقد أَمر الله تقدّست أَسماؤه بالمشاورة فعرف الناس فضلها ، وأسلكهم سُبُلَها ، بقوله لرسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِى الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (٢) .

(١) سورة النساء الآية ١٣٥
(٢) سورة آل عمران الآية ١٥٩

وأمره أن يـكتب لمن تَوَجَّب له حق من الحقوق إلى صاحب الـكُوفة بالشدّ على يده والتمـكن له منـه ، (٢٣٥ ا) وقبض الأَيدى عن منازعته ، وحَسْم الأَطماع فى معارضته[1] إذ هو مندوب لتنفيذ أحـكامه ، ومأْمور بإمضاء قضاياه ، ومتى أخذ[2] أَحدٌ من الخصوم إلى محَاربة[3] فى حق قد حـكم عليه به ، أَخذ على يـده وكفه عن عُدوانه ، وردّه إلى حـكم الله الذى لا يُعْدَل عنه ، قال الله عز وجل ﴿ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَأُولَئِـكَ هُمُ الظَّالِمُون ﴾[4] .

هذا عهد أَمير المؤمنين إليك ، وحجته عليك قد أَرشدك وذَكَّرك ، وهداك وبصَّرك ، فـكن إليه منتهيا ، وبـه مقتديا ، واستعن بالله يُعِنْك ، واستـكْفِه يَكْفِك .

وكتب الناصح أبو الطاهر فى تاريـخ كذا .

وهذه نسخـة عهـد[5]

بنقابة الطالبيين بمدينـة السـلام ، وسائر الأَعمال

---

(١) في الأصل . وحتم الاطلاع في معاوضته .
(٢) في الأصل : أخر .
(٣) في صبح الأعشى : إلى مكاذبة
(٤) سورة البقرة الآية ٢٢٩
(٥) صبح الأعشى حـ ١٠ ص ٢٤٧

والأمصار ، كتب به أبو إسحاق الصابى عن الطائـع لله للشريف أبى الحسن محمد بن الحُسين العلوى الموسوى ، مضافا إليها النظر فى المساجد وعماراتها واستخلافه لوالده الشريف أبى أحمد الحسين بن موسى على النظر فى المظالم والحج بالناس [فى سنة ثمانين وثلاثمائة] وهى :

هذا ما عهد عبدُ الله عبدُ الـكريم ، الإمام الطائع لله أمير المؤمنين ، إلى محمد بن الحسين بن موسى العلوى ، حين وصلته به الأنساب ، وقرنته لديه الأسباب ، وظهرت دلالة عقله وأمـانته [1] ، ووضحت مخـايل فضله ونجابته ، ومهّد له بهاء الدولة وضياء الملة أبو نصر بن عضد الدولة ما مهد عند أمير المؤمنين من المحل المـكين ، ووصَفه به من الحلم الرزين ، وأشار به [2] من رفـع المنزلة ، وتقديم الرتبة ، والتأهيل لولاية الأعمـال ، وتحمّل الأعباء والأثقال ، وحيث رَغَّبه فيه ، سابقة الحُسين أبيه ، فى الخدمـة والنصيحة ، والمشايعـة الصحيحة ، والمواقف المحمودة ، (٢٣٥ ب) والمقامات المشهودة ،

---

(١) في صبح الأعشى : ولبابته .

(٢) في الأصل : وأشار به فيه .

التى طابت بها أخباره ، وحسنت فيها آثاره ، وكان محمد متخلقا بخلائقه ، وذاهبا على طرائقه ، علما وديانة ، وورعا وصيانة ، وعفة وأمانة ، وشهامة وصرامة ،وتفرُّدا بالحظ الجزيل من الفضل والأَدب [1] الجَزْل ، والتوجُّه فى الأَهل ، والإيفاء فى المناقب على لِدَاته وأَتْرابه ، والإبرار على قُرَنائِه وأَضرابه ، فقلّده ما كان داخلا فى أعمال أَبيه ، من نقابة نقباء الطالبيِّين بمدينة السلام ، وسائر الأَعمال والأَمصار ، شرقا وغربا ، وبعدا وقربا ، واختصه بذلك جَذْبًا بضَبْعه ، وإنافة بقدره ، وقضاء لحق رحمه ، وترفيها لأَبيه ، وإسعافا له بإيثاره فيه ، إلى ما أَمر أَميرُ المؤمنين باستخلافه عليه من النظر فى المظالم ، وتسيير الحَجيج فى أَوان المواسم ، والله يُعَرِّف أَمير المؤمنين الخِيرَة فيما أَمر ودبَّر ، وحُسْنَ العاقبة فيما قضى وأَمضى ، وما توفيق أَمير المؤمنين إلاَّ بالله عليه يتوكل وإليهِ ينيب .

أَمره بتقوى الله التى هى شعار المؤمنين ، وسيما الصالحين ، وعصمةُ عباد الله أَجمعين ، وأَن يعتقدها سرا

(١) فى صبح الأعشى : من الفضل الجميل والأدب الجزل .

وجهرا ، ويعتمدها قولا وفعلا ، فيأخذ بها ويعطى ، ويَريش وَيبْرى ، ويأتى ويذر ، ويورد ويُصدر ، فإنها السبب المتين ، والمعقل الحصين ، والزاد النافع يوم الحساب ، وَالمسلك المفْضِى إلى دار الثواب ، وقد حض الله أولياءه عليها ، وهداهم فى محكم كتابه إليها ، فقال ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (١) وقال تعالى ﴿ يَاأَيها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ (٢) .

وأمره بتلاوة كتاب الله سبحانه مواظبا ، وتصفُّحه مداوما ملازما ، والرجوع إلى أحكامه فيما أحلّ وحرّم ، ونقض وأبرم ، وأثابَ وعاقب ، وباعد وقارب ، فقد صحح الله برهانه [وحُجَّته] ، وأوضح منهاجه وَمَحَجَّتَه ، فجعله فجرا فى الظلمات طالعا ، ونورا فى المشكلات ساطعا ، (٢٣٦ ا) فمن أخذ به سلم ونجا ، ومن عدل عنه هلك وهوى ، قال الله عزوجل ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ . لاَيَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (٣) .

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٠٢

(٢) سورة التوبة الآية ١١٩

(٣) سورة فصلت الآية ٤١ ، ٤٢

وأمره بتنزيه نفسه عما تدعو إليه الشهوات ، وتتطلّع إليه النزوات ، وأن يضبطها ضبط الحليم ، ويكفّها كفّ الحكيم ، ويجعل عقله سلطانا عليها ، وتمييزه آمرًا ناهيا لها ، فلا يجعل لها عذرا إلى صَبوة ولا هفوة ، ولا يطلق منها عنانا عند ثورة ولا فورة ، فإنها أمارةبالسوء ، منصبَّة إلى الغَىّ ، فالحازم يتَّهمها عند تحرُّك وطره وأربه ، واهتياج غيظه وغضبه ، ولا يدع أن يَخُضَّها بالشكيم [1] ويعركها عرك الأَديم ، ويقودها إلى مصالحها بالخزائم [2] ويعتقلها عن مقارفة المحارم والمآثم ، كيما يَعِزُّ بتهذيبها وتأْديبها ، ويجلُّ برياضتها وتقويمها ، والمفرِّطُ فى أَمره تطمح به إذا طمحت ، ويجمح معها أَنَّى جمحت ، ولا يلبث أَن توردَه حيث لا صدر ، وتُلجئه إلى أَن يعتذر ، وتقيمه مقام النادم الواجم ، وتتنَكَّبُ به سبل الراشد المسالم .

وأَحق من تحلّى بالمحاسن ، وتصدّى لاكتساب المحامد ، من ضرب بمثل سهمه فى نسب أَمير المؤمنين الشريف ،

---

(١) في الأصل كالسليم .

(٢) في الأصل « الشكائم » وقد اخترنا ما ورد في صبح الأعشى .

ومنصبه المُنيف ، واجتمع معه فى ذُؤابة العِتْرة الطاهرة ، واستظلَّ بأَوراق الدوحة الفاخرة ، فذاك الذى تتضاعف له المــآثر إن آثرها ، والمناقب إن أَسَفَّ إليها ، ولا سيما من كان مندوبا لسياسة غيره ، ومُرَشحا للتقليد على أَهله ، إذ ليس يفى بإصلاح من وُلِّى عليه ، من لا يفى بإصلاح ما بين جنبيه ، وكان من أَعظم الهُجْنة أَن يأْمر ولا يأْتمر ، ويَزجرولا يَزْدجر ، قال الله عز وجل ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ [1].

وأَمره بتصفُّح أَحوال من وُلِّى عليهم ، واستقراء مذاهبهم ، والبحث عن طرائقهم [2] ودخائلهم ، وأَن يعرف لمن تقدّمت قَدَمُه منهم ، وتظاهر فضلُه (٢٣٦ ب) فيهم ، مَنْزِلَتَه ، ويُوفيه حقه ورتبته ، وينتهى فى إكرام جماعتهم إلى الحدود التى تُوجِبها أَسبابهم [3] وأَقدارهم ، وتقتضيها مواقفهم وأَخطارهم ، فإن ذلك يَلزمه لسببين : أَحدهما يخصُّه وهو النسبُ بينه وبينهم ، والآخر يعمُّه

(١) سورة البقرة الآية ٤٤

(٢) في صبح الأعشى : عن بواطنهم .

(٣) في صبح الأعشى : أنسابهم .

والمسلمين جميعاً، وهو قول الله جل ثناؤه ﴿قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِـى الْقُرْبَـى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنا﴾ [1] فالمودة لهم، والإعظام لأكابرهم، والإقبال على أصاغرهم، متضاعف الوجوب عليه، ومتأكد اللزوم له، ومن كان منهم فى دون تلك الطبقة من أحداث لم يحتنكوا، أو جُذْعان لم يقْرَحوا، مُجْرِين إلى ما يُزرى بأنسابهم، ويغضُّ من أحسابهم، عَذَلهم ونبَّههم، ونهاهم ووعظهم، فإن نزعوا وأقلعوا فذاك المراد بهم، والمقصود إليه فيهم، وإن أصرّوا وتتابعوا أنالهم من العقوبة بقدر ما يَكفُّ ويردع، فإن نفع وإلاَّ تجاوزه إلى ما يُوجع ويلذع، فى غير تطرق لأعراضهم [2] ولا انتهاك لأحسابهم، فإن الغرض فيهم الصيانة لا الإهانة، والإدالة لا الإذالة، وإذا وجبت عليهم الحقوق، أو تعلقت بهم دواعى الخصوم، قادهم إلى الإغفاء بما يصح منها ويجب، والخروج إلى سنن الحق فيما يشتبه ويلتبس، ومتى لزمتهم الحدود أقامها عليهم بحسب ما أمر الله به فيها، بعد أن

(١) سورة الشورى الآية ٢٣

(٢) في الأصل : تطرف لأصاغرهم .

تثبت الجرائم وتصحّ ، وتبين وتتّضح ، وتتجرد عن الشك والشبهة ، وتتجلى من الظن والتهمة ، فإن الذى يُستحب فى حدود الله أن تُدْرَأ عن عباده مع نقصان اليقين والصحة ، وأن تُمضى عليهم مع قيام الدليل والبيّنَة ، قال الله عز وجل ﴿ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (١) .

وأمره بحياطة هذا النسب الأطهر ، والشرف الأفخر ، عن أن يدّعيه الأدعياء ، ويدخل فيه الدُّخلاء ومن انتمى إليه كاذبا ، وانتحله باطلا ، ولم يُوجد له بيت فى الشجرة ، ولا مصداق عند النسّابين المهرة ، أَوْقَع به من العقوبة ما يستحقه (٢٣٧ ا) ووسمه بما يُعلم به كذبه وفسقه ، وشَهره شُهرةً ينكشف بها غِشّه ولَبْسُه ، وينزع بها غيره ممن تُسَوِّل له مثلَ ذلك نفسُه ، وأن يُحصِن الفروج عن مناكحة من ليس لها كُفُؤًا ، ولا مشاركها فى شرفها وفخرها ، حتى لا يطمع فى المرأة الحسيبة النسيبة إلاَّ من كان مِثْلاً لها مساويا ، ونظيرا مُوازيا ، فقد قال الله [تعالى] ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ (٢) .

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٢٩
(٢) سورة الأحزاب الآية ٣٣

وأَمره بمراعاة متبتِّلى أهله ومتهجِّديهم ، وصُلحائهم ومُجاوريهم ، وأَراملهم وأصاغرهم ، حتى يسُدَّ الخَلَّة من أَحوالهم ، ويُدِرَّ الموادَّ عليهم ، وتتعادل أَقساطهم فيما يصل إليه من وجوه أَموالهم ، وأَن يزوّج الأَيامى ، ويربّى اليتامى ، ويُلزمهم المكاتب ليتلقنوا القرآن ، ويعرفوا فرائض [الإسلام و] الإيمان ، ويتأَدبوا بالآداب ، اللائقة بذوى الأَحساب ، فإن شرف الأَعراق ، محتاج إلى شرف الأَخلاق ، ولاحمد لمن شَرُف نسبه ، وسَخُف أَدبُه ، إذ كان لم يكسب الفخر الحاصل له بفضل سعى ولا طلب ، ولا اجتهاد ولا دَأَب [1] بل بصُنعٍ من الله عز وجل له ، ومزيد فى المِنَّة عليه ، وبحسب ذلك لزوم ما يلزمه من شكره سبحانه على هذه العطيّة ، والاعتداد بما فيها من المزيّة ، وإعمال النفس فى حيازة الفضائل والمناقب ، والترفع عن الرذائل والمثالب .

وأَمره بإجمال النيابة عن شيخه الحسين بن موسى فيما أَمره أَمير المؤمنين باستخلافه عليه من النظر فى المظالم ، والأَخذ للمظلوم من الظالم ، وأَن يجلس للمترافِعين إليه

(١) فى الأصل : أرب .

جلوسا عامّا ، ويتأمّل ظلاماتهم تأمّلا تامّا ، فما كان منها متعلقا بالحاكم ردّه إليه ، ليَحمل الخصومَ عليه ، وما كان طريقه طريق الغَشْم والظُّلم ، والتغلب والغصب ، قبض عنه اليد المُبطلة ، وأثبت فيه اليد المستحِقّة ، وتَحرَّى فى قضاياه أن تكون موافقة للعدل ، ومجانبة للخذْل (٢٣٧ ب) فإن غايتَى الحاكم وصاحب المظالم واحدة ، وهى إقامة الحق ونُصرته ، وإبانته وإنارته ، وإنما يختلف سبيلها فى النظر ، إذ الحاكم يعمل على ما ثبت وظهر ، وصاحب المظالم يفحص عما غَمَض واستتر ، وليس له مع ذلك أن يَرُدَّ لحاكم حكومة ، ولا يُعِلّ له قضية ، ولا يتعقب ما يُنفذه ويُمضيه ، ولا يتتبع ما يحكم به ويقضيه ، والله يهديه ويُسدده ، ويوفِّقه ويرشده .

وأمره أن يُسيِّر حجيج [بيت] الله إلى مقصدهم ، ويحميهم فى بَدْأتهم وعودتهم ، ويرتّبهم فى مسيرهم ومسلكهم ، ويرعاهم فى آناء ليلهم ونهارهم ، حتى لا تنالهم شدة ، ولا تصل إليهم مضرّة

وأن يرعاهم فى المنازل[1] ويوردهم المناهل ، ويناوب بينهم فى النَّهل والعلل ، ويمكنهم من الارتواء والاكتفاء ، مجتهدا فى الصيانة لهم ، ومُعذِرًا فى [2] الذبِّ عنهم ، ومتلوّماً على متأخّرهم ومتخلفهم ، ومُنهِضا لضعيفهم وَمهِيضهم ، فإنهم حجاج بيت الله الحرام ، وزوّار قبر الرسول عليه السلام ، قد هجروا الأَوطان ، وفارقوا الأَهل والإِخوان ، وتجشَّموا المغارم الثقال ، وتعسَّفوا السهول والجبال ، يُلَبُّون دعاء الله عزَّ اسمه ، ويطيعون أمره ، ويُؤَدُّون فرضه ، ويرجون ثوابه ، وحقيق على المسلم المؤمن أن يَحرسهم متبرِّعا ، ويحوطهم متطوعا ، فكيف من تولَّى ذلك وضَمنه ، وتقلَّده واعتنقه ، قال الله ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيهِ سَبِيلاً ﴾ [3] .

وأمره أن يراعى أُمور المساجد بمدينة السلام وأَطرافها ، وأَقطارها وأَكنافها ، وأَن يَجْبِيَ أَموال وُقُوفها ، ويستقصى جميع حقوقها ، وأَن يَلُمَّ شَعثها ، ويسدّ خَللها ، بما يتحصل من هذه الوجوه قِبلَهَ ، حتى لا يتعطّل رَسْمٌ جرى

---

(١) في صبح الأعشى : وأن يريحهم في المنازل .

(٢) في الأصل : ومغديا في الذب .

(٣) سورة آل عمران الآية ٩٧

فيها ، ولا تنقص عادةٌ كانت لها ، وأن يُثبت اسم أمير المؤمنين على ما يعمُره منها ، ويذكر اسمه بعده بأنَّ عُمْرانها جرى على يده ، وصلاحها . (٢٣٨ ا) أَدَّاهُ قول أمير المؤمنين إلى فعله ، فقد فسَّح له أمير المؤمنين بذلك تنويها باسمه وإشادة بذكره ، وأن يولى [ذلك] من قِبَله مَن حَسُنَت أمانته ، وظهرت عفته وصيانته ، فقد قال الله تعالى ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللهَ فَعَسَى أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ (١).

وأمره أن يستخلف على ما يرى الاستخلاف عليه من هذه الأعمال ، فى الأمصار الدانية والنائية ، والبلاد القريبة والبعيدة ، من يثق به من صلحاء الرجال ، ذوى الوفاء والاستقلال ، وأن يعهد إليهم مثل الذى عُهد إليه ، ويعتمد عليهم فى مثل ما اعتمد عليه ، ويستقْرِى مع ذلك آثارهم ، ويتعرّف أخبارهم ، فمن وجده محمودا أقرَّه ولم يُزِله ، ومن وجده مذموما صرفه ولم يُمْهِله ، واعتاض منه من تُرتجى الأَمانة عنده ، وتكون الثقة معهودة منه ،

(١) سورة التوبة الآية ١٨

وأن يختار لـكتابته وحجبته والتصرّف فيما قرب منــه وبعد عنه مَنْ يَزينه ولا يَشينه ، وينصح له ولا يغُشُّه ، ويجمّله ولا يُهَجِّنه ، من الطبقة المعروفة بالظَّلَف، المصونة عن النَّطَف [1] ، ويجعل لهم من الأَرزاق الـكافيــة ، والأُجرة الوافية ، ما يصدّهم عن المـكاسب الذميمة ، والمـآكل الوخيمة ، فليس تجب عليهم الحُجـة إلاَّ مع إعطاء الحاجة ، قال الله تعالى ﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى. وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى . ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى ﴾ [2]

وأَمره بأَن يـكتُب لمن يقوم ببيِّنتِهِ عنده ، وتنـكشف حجته له ، إلى أَصحاب المعاقل [3] بالشدّ عـلى يديه ، وإيصال حقه إليه ، وحسم الطمع الـكاذب فيه ، وقبض اليد الظالمة عنه ، إذ هم منـدوبون للتصرف بين أمره ونهيه ، والوقوف عند رسمه وحدّه .

هذا عهد أَمير المؤمنين إليك ، وحجته لك وعليك ، قد أَنار فيه سبيلك ، وأَوضح دليلك ، وهداك وأَرشدك ،

(١) الظلف من معانيه الترفع عن الدنايا . والنطف : العيب .

(٢) سورة النجم الآيات ٣٩ — ٤١

(٣) في صبح الأعشى : المعاون . هذا والمعاون يراد بها السلطات كرجال الإدارة والشرطة .

وجعلك على بينة من أَمرك ، فاعمل به ولا تخالفه ، وانته إِليه ولا تتجاوزه ، وإن عرض لك أَمر يُعجزك الوفاء به ، ويشتبه عليك وجهُ (٢٣٨ ب) الخروج منه ، أَنهيته إِلى أَمير المؤمنين مبادرا ، وكنت إِلى ما أَمرك به صائرا ، إن شاء الله تعالى . مستهل رمضان سنة ثمانين وثلاثمائة [١] .

وهذه نسخة عهد بتقليد الصلاة بحاضرة بغداد

كتب به أَبو إسحاق الصابي عن الطائع لله لعلى بن أَحمد بن الفضل الهاشمى فى ربيع الأَول سنة أَربع وستين وثلاثمائة وهى :

هذا ما عهد عبد الله ووليه عبد الكريم الإِمام الطائع لله أَمير المؤمنين لعلى بن أَحمد بن الفضل بن عبد الملك الهاشمى ، حين قلده جميع ما كان يتقلده عبد الواحد بن الفضل من الصلاة بجانبى مدينة السلام ، وما يتصل بها من الأَعمال ، بسقْى [٢] الفرات والنهروانات وسائر

---

(١) في صبح الأعشى : « وكتب في مستهل شعبان سنة ثمانين وثلاثمائة » وفي الأصل : رمضان سنة ثمان وثلاثمائة .

(٢) في الأصل : بشق ، هذا وسق الفرات كور ببغداد منها الأنبار وهيت . انظر معجم البلدان : الفرات .

ما كان داخلا فى تقليده من النواحى والأمصار القريبة والبعيدة ، وطريق خراسان ، وقرر أمره [1] سكونا إلى دينه وأمانته وثقة بنزاهته وصيانته ، وصلة لرحمه ونسبه ، ورجاءً لاستقلاله ووفائه ، وتقريرًا لاضطلاعه وغنائه ، وأمير المؤمنين يسأل حسن تسْديده فى ذلك فى جميع آرائه التى يَرْتئيها ، وعزائمه التى يُمضيها ، وأن يقرنها بالصلاح ، ويتولاها بالنجاح ، وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله عليه يتوكل وإليه ينيب .

أمره بتقوى الله فى سره وجهره ، والمراقبة له فى قوله وفعله ، وأن يجعل ذلك خُلُقا له ودَيْدنا ، ويتخذه منهاجا وسببا ، ويتحلّى له بالسكينة والوقار ، فإنهما شعار الأخيار الأبرار ، الذين هم [2] حقيق بأن يُتقَبَّل فعالهم ، ويُحتذَى مثالُهم ، بما أسهم الله فيه من النسب الشريف ، وأهّله من المفخر المُنيف ، الذى استحق به أمير المؤمنين ما فوّضَ إليه ، واعتمد فيه عليه ، فإن الله جل ذكره حَضَّ الناس على التقوى ، ووعدهم عليها القُربة والزُّلفى ،

(١) الكلمة غير واضحة في الأصل .

(٢) في الأصل : الذين هو .

وإنها لَحَرِيَّةٌ بالمؤمنين ، خليقة بعباد الله الصالحين ، ولا سيما من رَقَى المنابر تمطّياً لها ، وافترعها خطيباً عليها (٢٣٩ ا) وكان إلى الله داعيا ، وعن عباده مناجيا ، وإذا اطلع الله جل وعَزَّ منه على نقاء الصدر ، وسلامة السرّ ، واستقامة الدين ، وصحة اليقين ، قبل صلاته واستجاب دعاءه ، وأنهضه بما اسْتُكْفِيه ، وأَعانه على أَداء الأَمانة فيه ، وجمع بينه وبين من صلّى خلفه ، وقفا أَثره ، فى فائض رحمته ، وسابغ مغفرته ، وأَحلّه محلة عباده الصّدّيقين ، وأَوليائه الصالحين ، والله تعالى يقول وقوله الحق ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ولاَ تَمُوتُنَّ إلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [1].

وأَمره أَن يسعى إلى ذكر الله عند وجوب الصلاة ، ويَدْخلها فى حقائق الأَوقات ، ويقيمها على حدودها وشروطها ، ويستوفيها على الواجب من مفروضها ومسنونها ، مُرَتِّلا لقرآنه ، مترسِّلا فى تلاوته ، جامعا بين نيَّته ولفظه ، محترسا من مطامح فكره ولحظه ، متجنّبا لجرائر غفلته وسهوه ، متحرّزا من عوارض هُجْره ولَغوه ،

(١) سورة آل عمران الآية ١٠٢

مستظهرا على نفسه فى طهارة جوارحه ، وتهذيب ما بين جوانحه ، فإن أفضل التأهُّب للصلاة ما استوى باطنه وعاليه [1] ، وتوازن غائبه وشاهده ، وليس بالطاهر عند الله من أفاض الماءَ على أطرافه ، وجعل النجاسة حشو شغافه ، ولكنه الجامع بين الأمرين ، والفائز بكلتا الحُسنَيَين ، وأحق من قصد ذلك ونَحَاه ، واعتمده وتوَخَّاه ، من اتخذه المسلمون إماما ، وقدموه أماما ، وصار بينهم وبين الله وسيطا ، وعلى ما فوضوه إليه من الصلاة بهم أمينا ، قال الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاَةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [2] وقال تعالى ﴿ إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً ﴾ [3] وقال تعالى ﴿ وَأَقِمِ الصَّلاَةَ إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ [4].

وأمره أن يقيم الدعوة على منابر حضرة أمير المؤمنين له

(١) الكلمة أيضا محتملة : وغالبه . ولعلها أيضا محرفة عن كلمة تتفق مع السجع بعدها .

(٢) سورة الجمعة الآية ٩

(٣) سورة النساء الآية ١٠٣

(٤) سورة العنكبوت الآية ٤٥

خاصة ، وأن يقيمها على منابر باقى الأَعمال النازحة (٢٣٩ ب) عن مقرّه له ، ثم لحامل الأَعباءِ عنه ، والوسيط بين جماعة الأَولياء ، وبين عز الدولة أَبى المنصور أَحمد بن معزّ الدولة أَبى الحسين مولى أَمير المؤمنين ، ولولاة الأَعمال بعده ، الذين يدعى لهم على منابر ما يتقلدونه منها ، على العادة الجارية فيها ، وإن هذه الدعوة لازمة ، والسنة فيها مؤكدة ، وهى فرع مطَّرد على أَصل الطاعة الواجبة على المسلمين جميعا ، إذ يقول جلّ اسمه لهم ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ [١] والعائدةُ فيهم ، لأَن الله تعالى إذا أَصلح الولاة عليهم أَصلح المَسرَّة فيهم ، وأَنهضهم بما استرعاهم من أُمورهم ، وكذلك يفعل الله إنه سميع الدعاء ، لطيف لما يشاء .

هذا عهد أَمير المؤمنين إليك ، وحُجَّته عليك ، فاعمل به منتهيا إلى حدوده ، ومتبعا لرسومه ، ومتأَدبا بآدابه ، وسالكا على منهاجه ، واستعِنْ بالله يُعِنْك ويُسَدِّدْك ، واستهده يَهْدِك ويُرْشدك ، إن شاءَ الله تعالى .

---

(١) سورة النساء الآية ٥٩

وهذه نسخة عهد بنظر الأَوقاف بحاضرة بغداد وسوادها

كتب بها أَبو إسحاق الصابى عن الطائع للحسين بن موسى العلوىّ [1].

هذا ما عهد عبد الله عبد الكريم الإمام الطائع لله أَمير المؤمنين ، إلى الحسين بن موسى العلوىّ ، حين طابت منه العناصر ، ووصلته بأَمير المؤمنين الأَواصر ، جمع إلى شرف الأَعراق الذى ورثه ، شرَفَ الخُلُق الذى اكتسبه ، ووضحت آثار دينه وأَمانته ، وبانت أَدلة فضله وكفايته ، فى جميع ما أَسنده أَمير المؤمنين إليه من الأَعمال ، وحمَّله إياه من الأَثقال ، فأَضاف إلى ما كان ولاَّه من النظر فى الوقوف التى كانت يدُ فلان فيها الوقوفَ بالحضرة وسوادها ، ثقةً بسداده ، وسكونا إلى رشاده ، وعِلْما بأَنه يعرف حقّ الصنيعة ، ويرعى ما يُسْتَحْفَظُه من (٢٤٠ ا) الوديعة ، ويجرى فى المنهل الذى أَحمدَه أَمير المؤمنين منه فى كل ما فُوِّض ووُكل إليه ، والله يُمدّ أَمير المؤمنين بصواب الرأْى فيما نحاه وتوخَّاه ، ويؤمّنه من

(١) صبح الأعشى جـ١٠ ص٢٥٩

عاقبة الندم فيما قضاه وأَمضاه ، وما توفيق أَمير المؤمنين إلا بالله عليه يتوكل وإليه ينيب .

أَمره بتقوى الله التى هى عماد الدين ، وشعار المؤمنين ، وأَن يعتقدها فى سره ونجواه ، ويجعلها الذخيرة لأُولاه وأُخراه ، ويتجنب المواقع المُوبِيَةَ [1] ويتوقّى الموارد المُردية ، ويغُضّ طرفه عن المطامح [2] المُغوية ، ويذهب بنفسه عن المطارح المُخزية ، فإنه أَحق من فعل ذاك وآثره ، وأَولى من اعتمده واستشعره ، بنسبه الشريف ، ومفخره المنيف ، وعادته المشهورة ، وشاكلته المأْثورة ، وتلاوة كتاب الله الذى هو والعِتْرَةُ [3] الثقلان المخلَّفان فى الأُمة ، وقد جمعته وأَحدهما الأَنساب ، وجمعنا [4] والثانى عصمة أُولى الأَلباب ، وتوجهت حجَّةُ الله عليه بما يرجع من هذه الفضائل إليه ، وأَنه غُصن من دوحة أَمير المؤمنين ، التى تحدّاها الله بالإِنْذار قبل الخلائق أَجمعين ، إذ يقول لرسوله محمد صلى الله عليه وعلى آله ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ

(١) في صبح الأعشى : المونية .
(٢) في صبح الأعشى : المطامع .
(٣) في صبح الأعشى : وعترة رسول الله .
(٤) في صبح الأعشى : وقد جمعته وآخرهما الأنساب وجمعته

الْأَقْرَبِينَ ﴾ (١) وقد حضّ تبارك وتعالى على التقوى ، ووعد عباده عليها الزلفى ، فقال ﴿ يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ (٢) .

وأمره بالاشتمال على ما أسنده إليه أمير المؤمنين من هذه الوقوف ، مستنفدا طَوْقه فى عمارتها ، مستفرغا وُسْعه فى مصلحتها ، دائبا فى استغلالها وتثميرها ، مجتهدا فى تدبيرها وتوفيرها ، وأن يصرف فاضل كل وقف منها بعد الذى يُخرج منه للنفقة على حفظ أَصله ، واستدرار حَلَبه ، والمُؤْنة الراتبة للقوّام عليه ، والحفظة له ، إلى أَربابه الذى يعود ذلك عليهم فى وجوهها التى سُبِّل لها ، ووُقفت عليها ، واضعا جميع ذلك مواضعه ، مُوقِعا له (٢٤٠ ب) مواقعه ، خارجا إلى الله من الحق فيه ، مؤدّيا الأَمانة إليه ، وأن يشهد على القابضين بما يقبضونه من وقوفهم ، ويكتب البراءات عليهم بما يستوفونه من أَموالهم ، ويستظهر لنفسه بإِعداد الشواهد والأَدلة على ما ينفقه من أَموال هذه الوقوف على مصالحه ، ويصرفه

---

(١) سورة الشعراء الآية ٢١٤

(٢) سورة التوبة الآية ١١٩

منها إلى أهلها ، ويخرجه منها في حقوقها وأبواب بِرِّها ، وسائر سبلها ووجوهها ، سالكا في ذلك مذهبه المعروف في أداء الأَمانة واستعمال الظَّلف والنزاهة ، مُعَقّبا على من كان ناظرا فيها من الخونة الذين لم يَرْعَوْا عهدا ولم يحفظوا حقا ، ولم يَتَصَوَّنوا عن سُحْتِ [1] المطاعم ، وظلم المآثم .

وأمره باستكتاب كاتب معروف بالسداد ، مشهور بالرشاد ، معلوم منه نصيحة الأَصحاب ، والضبط للحساب ، وتفويض ديوان الوقوف وتدبيره إليه ، وتوصيته بصيانة ما يشتمل ، عليه من أُصول الأعمال وفروعها ، وقليل الحُجج وكثيرها ، وأَن يحتاط لأَربابها في حفظ رسومها ومعاملاتها ، وحراسة طُسُوقها ومُقاسماتها ، حتى لا يستمرّ عليها حَيْفٌ يَبْقَى أَثرُه ، ولا يتغير فيها رسم يُخاف ضررُه ، وأَن يُنصف الأَكَرة فيها والمزارعين ، وسائر المخالِطين والمعامِلين ، ولا يجشِّمهم حَيْفا ، ولا يسومهم خَسْفا ، ولا يُغضى لهم عن حق ، ولا يسمح لهم بواجب ، خلا ما عَادَةُ السماحةِ به بزيادة عماراتهم ، وتآلف نيّاتهم ،

(١) في الأصل ولم يتصونوا عن سخب .

واجتلاب الفائدة منهم والعائدة بهم ، فإنه مؤتمن فى ذلك كله أمانة عليه ، وأن [1] يؤديها ويخرج من الحق فيها .

وأمره باختيار خازن حصيف ، قؤوم أمين ، يخزن حُجج هذه الوقوف وسجلاّتها ، وسائر دفاترها وحُسْباناتها ، فإنها ودائع أربابها عنده ، وواجب أن يحتاط عليها جهده ، فمتى شكّ فى شرط من الشروط ، أوْ حَدٍّ من الحدود ، أو عارَضَ مُعارِض ، أو شاغب مشاغب ، فى أيام نَظرِه وأيام مَنْ عسى أن تنتقل (٢٤١ ا) ولاية هـذه الوقوف إليه ، ويناط تدبيرها به ، دَفَع ما يحدث من ذلك بهذه الحجج التى هى معادن [2] البرهان ، وقواعد البنيان ، وإليها المرجع فى كل بَيِّنة تُبصر [3] وتقام ، وشبهة تُدْحض وتُضام .

هذا عهد أمير المؤمنين إليك ، ووثيقته الحاصلة فى يديك ، فاتّبع آثار أوامره ، وازدجر عن نواهيه وزواجره ، واستمسك به تنجُ وتسلَمْ ، واعمل به تَفُزْ وتغنم ،

(١) في صبح الأعشى أمانة ، وعليه أن يؤديها .

(٢) في صبح الاعشى : معارف البرهان .

(٣) في صبح الأعشى : تنصر .

واسترشد الله يرشدك ، واستهده يهدك ، واستعن به ينصرك ، وفوِّض إليه يَعْصِمْك ، إن شاء الله تعالى .

الأُسلوب الثانى :

أَن يفتتح ما يكتب بلفظ أَما بعد . ثم الذى كان فى الزمن القديم أَن يكتب : أَما بعد فإن كذا . ويؤتى على مقصد الولاية إلى آخره ، ثم انتهى الحال فى الدولة العباسية بالعراق إلى أَن يقال : أَما بعد فالحمد لله ، ويؤتى بخطبة مناسبة للحال ، ثم يؤتى على مقصد الولاية .

والأَصل فى ذلك أَن أَمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين ولّى أَبا موسى الأَشعرى القضاء كتب له كتابا افتتحه بأَما بعد .

وهذه نسخته على ما أَورده صاحب « العقد » [1]

أَما بعد فإن القضاء فريضة محكمة ، وسُنة متَّبعة ، فافْهم إِذَا أُدْلِيَ إِليك ، وأَنْفُذْ إِذا تبيَّن لك ، فإنه لا ينفع تكلُّم بحقٍّ لا نفاذ له .

(١) صبح الأعشى جـ ١٠ ص ١٩٣ والعقد الفريد جـ ١ ص ٣٣

آسِ بين الناس فى وجهك وعدلك ومجلسك ، حتى لا يطمع شريف فى حيفك ، ولا ييأس ضعيف من عونك ، البيّنة على من ادّعى واليمين على من أنكر ، والصلحُ جائز بين المسلمين ، إلاَّ صلحا أَحلَّ حراما أَو حرم حلالا ، لا يمنَعْكَ قضاء قضيتَه بالأَمس فراجعت فيه اليومَ عقلَك (٢٤١ ب) وهُدِيَت فيه لرشدك ، أَن ترجع إلى الحق ، فإن الحق قديم ، ومراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل .

الفهمَ الفهمَ فيما تلجلج فى صدرك ، مما ليس فى كتاب ولا سُنَّة ، ثم اعرف الأَشباه والأَمثال ، وقِسِ الأُمور عند ذلك بنظائرها ، واعمد إلى أَقربها إلى الله وأَشبهها بالحق ، واجعل لمن ادعى حقا غائبا أَو بينة أَمدًا يَنتهى إليه ، فإن أَحضَر بينَّة أَخذت له بحقه ، وإلا استحللت القضية عليه ، فإنه أَنفى للشك ، وأَجلى للعمى .

المسلمون عُدول بعضهم على بعض ، إلا مجلودا حَدًّا أَو مُجرَّبا عليه شهادة زور ، ظَنِينا فى ولاءٍ أَو نسب ، فإن الله يتولى السرائر ، ويدرأُ بالبينات والأَيمان .

إياك والقلقَ والضجر والتأذِّى بالخصوم ، والتنكُّرَ عند الخصومات ، فإن الحق فى مواطن الحق يُعظم اللهُ به الأجر ، ويحسن عليه الذُّخر والجزاء ، فمن صحّت نيّته ، وأقبل على نفسه ، كفاه الله ما بينه وبين الناس ، ومن تخلق للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه شانه (١) الله ، فما ظنُّك بثواب الله (٢) فى عاجل رزقه وخزائن رحمته ، والسلام .

قلت : ووقع فى بعض المصنفات ابتداء هذا العهد بقوله .

من عمر بن الخطاب إلى عبد الله بن قيس ، سلام عليك ، أما بعد . وهو الذى استند إليه من كتب فى بعض المذاهب السابقة فى عهود الملوك عن الخلفاء : من عبد الله فلانٍ إلى فلانٍ ، ووقع فى « مسند » البزّار أن أوله : اعلم أنَّ القضاءَ فريضة محكمة .

مع تغيير بعض الألفاظ وتقديم بعض وتأْخير بعض .

وعلى الافتتاح بأما بعد : كتب عبد الحميد بن يحي

(١) في الأصل « حابه » والتصويب من صبح الأعشى .

(٢) في الأصل : في ثواب الله .

عن مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أُمية لبعض أُمراء السرايا .

أَما بعد فإن أَمير المؤمنين عندما اعتزم عليه من توجيهك إلى عدو الله الجِلْف الجافى الأَعرابى المُتَكَسِّع [1] فى حيرة الجهالة ، وظلم الفتنة ، ومهاوى الهلكة ، ورَعَاعِه الذين عاثوا (٢٤٢ ا) فى الأَرض فسادا ، وانتهكوا حرمة الإِسلام استخفافا ، وبدلوا نعمة الله كفرا ، واستحلوا [2] سِلْمه جهلا ، أَحب أَن يعهد إليك .

إلى آخر ما أَتى به منه ، وهو عهد طويل جدا ، ضربت عن ذكره لإِطالته ، وقد ذكرته بجملته فى كتابى « صبح الأَعشى فى كتابة الإِنشا » [3] . وعلى ذلك كانت عهود الوزراء من خلفاء بنى العباس فى العراق .

وهذه نسخة عهد بالوزارة [4]

كتب به الإِمام المسترشد بالله لبعض وزرائه وهى :

أَما بعد ، فالحمد لله المنفرد بكبريائه ، المتفضل

---

(١) تكسع في ضلاله : ذهب ، مثل تسكع .

(٢) في صبح الأعشى حـ ١٠ ص ١٩٥ أضيفت : « واستحلوا [دماء أهل] سلمه » وذلك نقلا عن كتاب مفتاح الأفكار ص ٢٣٠

(٣) انظر صبح الأعشى حـ ١٠ ص ١٩٥

(٤) صبح الاعشى حـ ١٠ ص ٢٣٧

على أوليائه ، مجزل النعماء ، وكاشف الغَمَّاء ، ومسبغ العطاء ، ومُسبل الغطاء ، ومُسنى الحباء ، ومُسدى الآلاء ، الذى لا تَؤُوده الأَعباء ، ولا تَكيده الأَعداء ، ولا تبلغه الأَوهام ، ولا تحيط به الأَفهام ، ولا تُدركه الأَبصار ، ولا تتخيّله الأَفكار ، ولا تهزمه الأَعوام بتواليها ، ولا تُعجزه الخطُوب إذا ادلهمَّت لياليها ، عالم هواجس الفِكَر ، وخالق كل شئ بِقَدر ، مُصرّف الأَقدار على مَشيئته ومُجريها ، ومانح مواهبه من أَضحى بيد الشكر يَمْتريها ، حمدًا يَصُوب حَيَاه ، ويَعذب جَناه ، وتتهلل أَسرَّة الإِخلاص من مطاويه ، ويستدعى المَزيد من آلائه ويَقتضيه .

والحمد لله الذى استخلص محمدًا صلّى الله عليه وسلم من زَكِىّ الأَصلاب ، وانتخبه من أَشرف الأَنساب ، وبعثه إلى الخليقة رسولا ، وجعله إلى منهج النجاة دليلا ، وقد بَوَّأَ الشرك بَوارَ الذُّلّ وقضاه [1] ، وشهر عَضْب العزّ وانتضاه ، والأُمم عن طاعة الرحمن عازفة ، وعلى عبادة الأَوثان عاكفة ، فلم يزل بأَمر ربه صادعا ، وعن التمسك بعُرا الضلال الواهية وازعا ، وإلى ركوب

(١) الجملة في صبح الأعشى خالية من النقط غير واضحة

محجَّة الهدى داعيا ، وعلى قدم الاجتهاد فى إبادة [(١)] الغَواية (٢٤٢ ب) ساعيا ، حتى أصبح نور الحق منيرا مشرقا ، وعُوده بعد الذبول أخضر مُورقا ، ومضى الباطل موليا أدبارَه ، ومستصحبا تَتْبِيره وبَوَارَه ، وقضى صلى الله عليه [وسلم] بعد أن مَهَّد من الإيمان قواعده ، وأحكم أسَاسَه ووطائده ، وأوضح سبل الفوز لمن اقتفاها ، ولحَبَ طريقها بعد ما دثرت صُوَاهَا ، فصلّى الله عليه وعلى آله الطاهرين ، وصحبه الأكرمين ، صلاة مُتصِلاً سَحُّ غمامِها ، مسفرا صُبح دوامِها .

والحمد لله على أن صار لأمير المؤمنين من أدب [(٢)] النبوة ما هو أجدر بحيازة فَخْره ، وأولى بفيض غَدْرِه [(٣)] ، ووطّأ له من الخلافة المعظمة مِهادا أحْفزته نحوه حَوافز ارتياحه ، وجذبته إليه أزمة راعه واكتباحه [(٤)] إلى أن أدرك من ذلك مُناه ، وألقى الاستقرارُ الذى لا يَرِيمُ عصاه ، وعضَّد دولته بالتأْييد من سائر أنحائه ومراميه ،

---

(١) في الأصل : إنارة الغواية .

(٢) في صبح الأعشى : أن حاز لأمير المؤمنين من إرث النبوة .

(٣) في صبح الأعشى : بحيازة مجده وأولى بفيض عده .

(٤) في صبح الأعشى : والتياحه .

وأَغراضه ومغازيه ، حتى فاقت الدول المتقادمة إشراقا ،
وأَعطتها الحوادث من التغير عهدا وفيًّا وميثاقا ، وأَصبحت
أَيامه أَدامها الله حالية بالعــدل أَجيادُها ، جائلة [1] فى
ميادين النضارة جِيادُها ، وراح الظلم دارسةً أَطلالُه ،
مقلَّصا سرباله ، قد أَنجمَ سحابُه ، وزُمَّت للرحلة رِكابُه ،
فمــا يستمر منهــا أَمرٌ إلا كــان صُنْــعُ الله سبحــانه
مُؤيِّده ،والتوفيق مصاحبه أَنَّى يَمَّمَ ومُسَدِّدَه ، وهو يَسْتَوْزِعه
جلّت عظمته [2] شكر هذه النعمة ، ويستزيده بالتحدث بها
من آلائه الجَمَّة ، ويستمدّ منــه المعونة فى كل أَرب
قصده وأَمَّه ، وشحذ لانتحائه عزْمه ، وما توفيقه إلا بالله
عليه يتوكل وإليه ينيب .

ولمــا كانت الوزارة قُطْب الأُمور الذى عليه مدارُها ،
وإليه إيرادها وعنه إصدارها ، وخلا منصبُها ممن كان [3]
يــكون لها أَهلا ، وينظم من جماله لها شملا [4] أَجال
أَميرُ المؤمنين فيمن يختار لذلك فــكره ، وأَنعم لأَهل
الاصطفاء لهذه (٢٤٣ ا) المنزلة نظره ، حتى صرّح مَحْضُ

(١) في صبح الأعشى : جالية .
(٢) في صبح الأعشى : من كان يكون .
(٣) في الأصل : عصمته
(٤) في صبح الأعشى : من شماله شملا .

رأْيه عن زُبدة اختيارك ، وهداهُ صائب تدبيره إلى اقتراحك وإيثارك ، فأَلقى إليك المقاليد ،وعوَّل فى دولته القاهرة على تدبيرك السديد ، وناط بك من أَمر الوزارة ما لم يُلْفِ له سواك مستحقًّا ، ولا لمتَسنِّم استيجابه مُتَرَقّى[1] ، عِلْما بما تبديه كفايتُك المشهورة ، وإيالتُك المخبورة ، من تقويم ما أَعجز مِياده ، وصلاح ما استشرى فسادُه ، واستقامة كلّ حال وَهَى عِمَادُها ، وأَصْلَدَ[2] على كثرة الاقتداح زِنادُها ، وتثبيتاً لما تبتسم عنه الأَيام من آثار نظرك المُعربة عن احتوائك على دلائل الجزالة ، واستيلائك على مخايل الأَصالة ، اللذين تُنال بهما غايات المعالى ، وتُفْرَع الذُّرَا والأَعالى .

ثم إن أَمير المؤمنين بمقتضى هذه الدعاوى اللازمة ، وحُرُمات جَدِّك وأَبيك السالفة المتقادمة ، التى استحصَدَتْ فى الدار العزيزة قُوَى أَمْرَاسها ، وأَدنَتْ[3] منك الآن ثمرة غراسها ، رأَى أَن يُشَيِّد هذه العارفة التى تأَرَّج لديك نسيمها ، وبدتْ على أَعناق نحرك رُسُومُهَا ، وجادتْ رِباعَك

(١) في صبح الأعشى : ولا لنسيم استيجابه مسترقا .
(٢) في صبح الأعشى : وأصلت .
(٣) في الأصل : أنراسها وأذنت .

شآبيبُها ، وضَفَتْ عليك جلابيبُها ، بما يزيد أَزرَك اشتدادا ، وباع أَمَلِك طولا وامتدادا ، فأَدناك من شريف حضرته مناجيا ، ومنحك من مزايا الأَيَّام مًا يكسبك ذِكْرًا فى الأعقاب ساريا ، وعلى الأَحقاب باقيا ، وأَفاض عليك من الملابس الفاخرة ما حزت به أَوصاف الجمال ، وجمع لك أَباديد الآمال ، وقلّدك من الفخر ما يدوم على مَرِّ الزمان وَيَبْقَى[1] ، وأَمطاك صهوة سابح يشْأَى الرِّياح سَبْقا ، ووسمك بكذا وكذا - فى ضمن التأْهيل للتكنية - إبانةً عن جميل معتقده فيك ، ورعاية لوسائلك المُحكَمة المرَائر وأَواخيك .

وأَمرك بتقوى الله التى هى أَحصن المعاقل ، وأَعذب المناهل ، وأَنفع الذخائر ، يوم (٢٤٣ ب) تُبْلَى السرائر ، وأَن تستشعرها فيما تبديه وتُخفيه ، وتذره وتأْتيه ، فإنها أَفضل الأَعمال وأَوجبُهَا [وأَوضح المسالك إلى الفوز برضا الله وأَلحبُها] ، وأَجلبُ الأَشياءِ للسعادة الباقية ، وأَجناها لقطوف الخيرات[2] الدانية ، عالما بما فى ذلك

---

(١) هذه الجملة في صبح الأعشى مقتضبة مضطربة

(٢) في صبح الأعشى : لقطوف الجنان الدانية .

من نفــع تتــكامل أَقسامه ، وتتفتــح عن نَوْر الصَّــلاح الجــامِــعِ أَكمامه[1].

قال الله جلّت آلاؤه ، وتقدَّست أَسماؤه﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمٰوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[2] وقال تعالى حاضًّا على تقواه ، ومُخبــرا عمّا خَصَّ به مُتَّقيه وحَبَاه ، وكفى بذلك رائدا[3] إليهــا ، وباعثا عليهــا ﴿إِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾[4].

وأَمرك أَن تتوخى المقاصد السليمة وتأْتيَها ، وتتوقَّى[5] الموارد الوخيمة وتَجْتَوِيَها ، وأَن تَشْفَــعَ[6] بالحزم أَفعالك ، وتجعل كتاب الله تعالى إمامك الذى تهتدى به ومِثَالَك ، وأَن تــكُفَّ من نفسك عند جِماحها وإِبائِها ، وتَصُدَّها عن متابعة أَهوائِها ، وتَثْنِــى عند احْتِدَامِ سَوْرة الغضب

(١) في الأصل : الجامعة كمامه .
(٢) سورة آل عمران الآية ١٣٣
(٣) في صبح الأعشى : داعيا إليها .
(٤) سورة التوبة الآيتان ٤، ٧
(٥) في صبح الأعشى : وتتوخم .
(٦) في صبح الأعشى : وأن تتبع .

عنانَها ، وتُشعرها من حميد الخلائق ما يوافق إسرارُها فيه إعلانَها ، فإنها لم تزل إلى منزلة السُّوءِ المُرْدية داعية ، وعن سلوك مناهج الخير المُنْجية ناهية ، قال الله تعالى ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّى إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١) .

وأمرك أن تُنجز (٢) للخدمة بين يديك من بَلَوْت أخباره ، واستشْفَفْتَ أسراره ، فعلمته جامعا أدوات الكفاية ، مَوْسوما بالأَمانة والدِّراية ، وعركَتْه رَحَا التجارِب عَرْكَ الثِّفَال ، وحلب الدهرَ أشطره على تصاريف الأَحوال ، ليكون أمر ما تولاّه على منهج الاستقامة جاريا ، وعن ملابس الخلل والارتياب عاريا ، فلا يَضَع فى مزلقةٍ قَدَما ، ولا يأْتى ما يقرع سِنَّهُ لأَجله نَدَما ، وأن تمنح رعايا أَمير المؤمنين من بِشْرِكَ ما يعقل شوارد الأَهواء ، ويَلْوِى إليه بأَعناق نوافرها اللاتى اعتصمن بالجماح والإِباء ، مازجاً ذلك بشِدَّةٍ (٢٤٤ ا) تستولى حُمَيَّا رهبتِها على القلوب ، وتفُلُّ مرهفات بأَسها صَرْفَ الخطوب ، من

(١) سورة يوسف الآية ٥٣

(٢) في صبح الأعشى : تتخير .

غير إفراط فى إستدامة ذلك يضيق بها على الطالب وَسِيعُ مَذْهَبِهِ ، ويغريها اتصالُه باستشعار وَعْر الخَطَإِ واستيطاء مَرْكبِه .

وأمرك أن تُعذب موارد الإحسان لمن أَحْمدتَ بلاءه ، وتحققت غَناءه ، واستحسنت أَثره ، وارتضيت عِيَانَه وخبره ، وتُسدل أسمال الهوان على من بَلَوْت فعله ذميما ، وأَلفيته بِعِراص الإساءة مُقيما ، وإلى رِباعها الموحشة مستأْنسا مستديما ، كَيْلاً لكل امرِئٍ بصاعه ، واتّباعا لما أَمر الله تعالى باتِّباعه ، وتجنُّبا للإهمالِ الجاعلِ المُحسِنَ والمُسِيءَ سَوَاءً ، والمعيدِهما فى موقف الجزاء أَكفاء ، فإن فى ذلك تزهيدا لذوى الحُسنى فى الإحسان ، وتتابعا لأَهل الإساءة فى العدوان ، ولولا ما فرضه الله تعالى على المؤمنين من إيجاب الحُجَّة ، والفكَاك من رِبقة الاجتهاد ببلاغ المعذرة ، لثنَى عِنان الإطالة مقتصرا ، واكتفى ببعض القول مُختصرا ، ثقة بامتناع سدادك وَنُهَاك ، أَن رآك صواب الفعل حيث نَهاك ، واستنامة إلى ما خوَّلك الله من الرأْى الثاقب ، المطَّلع من خصائص البديهة على مُحتَجِب العواقب .

فارتَبِطْ يا فلان هذه النُّعْمى التى جادت دِيَمُها مغانِيَكَ ، وحقَّقت الأَيامُ بمكانها أمانِيَّكَ ، بشكر ينطِقُ به لسان الاعتراف ، فيؤَمِّن وَحْشِيَّ النِّعم من النِّفار والانحراف ، واسْلُكْ فى جمال السيرة والاقتداء بهذه الأَوامر المتينة [1] المذكورة جَدَداً يُغْرِى بحمدك الأَلسنة ، ويعرب عن كونك من الَّذين يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَه ، والله يُصدِّق مَخِيلَةَ أَمير المؤمنين فيك ، ويُوزِعك شُكْرَ ما أَولاك ويُوليك ، ويجعل الصواب غرضا لِنبال عزائمه ، ويَذود عن دولته القاهرة كتائبَ الخطوب بصوارم السَّعْد ولهاذمِه ، ويصل أَيامه الزاهرةَ بالخلود ، ويبسط على أَقاصى الأَرض ظِلَّه الممدود ، ما (٢٤٤ ب) استهلَّ جَفْنُ الغيث المِدرار ، وابتسمت ثغور النُّوَّار ، إن شاء الله تعالى .

الأُسلوب الثالث

أَن يفتتح ما يكتب بخطبة مبتدأَة بالحمد لله ، وهو أُسلوب نادر الوقوع فيما كُتب به عن الخلفاء ، لم يُعرف منه إلا ما تقدم ذكره من عهد الملك الكامل محمد بن

(١) في صبح الأعشى : المبين .

العادل أبي بكر بن أيوب بمملكة الديار المصرية ، على ما تقدم فى عهود الخلفاء للملوك فى الفصل الأول من هذا الباب ، إلاَّ أنه كان قد استقرَّ عليه اصطلاح الفاطميين بالديار المصرية .

وعليه أورد على بنُ خلف مثل ما يُكتب عنهم فى الولايات ، وتبعهم ملوك الديار المصرية من بنى أيوب ، فَمَن بعدهم على ذلك ، على ما هو معروف فى ذلك .

ولما استقلَّ الإمام المستعين بالله أبو الفضل العباس بالخلافة والسلطنة جميعاً ، عند القبض على الناصر فرج ، كتب عنه كما كان يكتب عن الملوك قبله ، لم يختلف الحال فى ذلك إلاَّ (١) فى الألقاب السلطانية ، فكان يقال : فلذلك رسم بالأمر الشريف العالى المولوىّ الإمامىّ النبوىّ المستعينىّ ، ثم بطل ذلك بانتقال السلطنة عنه ، ورجع الأمر فى ما يكتب إلى السلطان إلاَّ فى الأمور الخاصة بالخلافة .

---

(١) في الأصل : لا في الألقاب .

وهذه نسخة تفويض شريف

كتب به عن الإمام المعتضد بالله خليفة العصر الموضوع له هذا الكتاب ، بتفويض نظر الجامع الجديد بمصر للمقرّ الناصرىّ محمد بن البارزى كاتب السر الشريف بالممالك الإسلامية ، من إنشاءِ الشيخ الإمام علاَّمة الدهر تَقىِّ الدين بن حجَّة . وهى :

الحمد لله الذى جعل التفويض العباسى متصلا بمحمد ، ونفَّذ (٢٤٥ ا) أَحكام الخلافة الدَّاوُودية قديماً وحديثاً إلى أَن تسلسل حديثها المُسند ، وعضَّد الإسلام والمسلمين بمعتضدٍ ما قام فى نُصرة بيتهِ إلاَّ من هو مُؤَيَّد ، نحمده على أَن أَتحفنا من هذا البيت بكل أَمين على الأُمة ورشيد ، ونشكره على أَن أَقام له بعد أَبى مسلم أَبا النَّصر فأَمسى وهو بأَركان الشَّرف مَشِيد .

ونشهد أَن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، بشهادة تجمع بين حسن النظر والشهادة ، ونشهد أَن محمدا عبده ورسوله الذى هو جامعُ شَمْل هذه الأُمة وقبلتها وسراجها المنير للعبادة ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه

الذين تمسَّكوا بطيب أثـره ، وتبصَّروا بحسن نظره ، صلاةَ تُعْلى منارَ الشهادتين فى جوامع الـكلم بَرَكَتُها ، وتعلو فى جوامع الأَمصار بمحمّد كَلِمَتُها ، ما سجع على أفنانِ المنابر ساجع وغرَّد ، وأعلن تحت العلمين[1] العباسية بقرب المعتضد من مُحمد ، وسلّم تسليما .

وبعد ، فإن سَجايا الـكرم فى آل بيت النبيّ ما برحت لعقود المنائح خُلاصَة ، وكيف لا وهو الذى أَنـزل بأَكنافه ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَة﴾[2] لا سيما بنـو العباس فإن شجـرتهم التى أَصلها ثابت وفرعها فى السماءِ نعم الخَلَف ، وما منهم إلاَّ واثق بالله ومتوكل على الله ومعتضد به وهذا غاية الشَّرف ، فمن أخذ عنهم حديثا فى أَمر بيت من بيوت الله فقد ظفر بحُسْنِ نظرٍ وفضْلٍ جامع ، فإن البيت والحديث لهم بغير منازع ، فلا مَعْبَدٌ إلاَّ وله الطَّرَب عند جَسِّ عيدان المنابر بأَوصافهم المشهورة ، ولا خائف من عصاة الأُمة إلاَّ دَاسَ بساط الطاعة فى جوامعهم ودخل تحت أَعلامهم المنشورة ، فمن قصد

(١) هكذا في الأصل .

(٢) سورة الحشر الآية ٩

القُرْب إليه فقد فاز بأَعظم قُرْبة ، لا سيما إن نَهَل من سقايتهم نَهْلَةً فإنه لم يجد بعدها فى المناهل منهلا مستعذبا للمحبَّة ، وكان الجناب الكريم العالى(٢٤٥ ب) القاضوىّ الكبيرىّ السفيرىّ الناصرىّ محمد بن البارزىّ الجهمىّ الشافعىّ صاحب دواوين الإنشاء الشريف بالممالك الشريفة المحروسة الإسلامية ـ ضاعف الله تعالى نعمته ـ هو الركن السامى فى قواعد بيتنا الشريف ، والمنتصب لرفع علمه العباسى حتى تَفَيَّأَ كلُّ قائل بظلّه الوَريف ، والملاحَظ بعين سِرّه الذى هو فى نسبنا أَبدع من بديع النسيب ، والسرّ المحمدىّ ما برح لبنى العباس فيه حظٌّ ونصيب ، والمساعد بعد عمارة بيتنا فى عمارة بيت الله الذى صار بحُسنِ نظره قريرَ العَيْنَ ، ولقد أَبدع فى إنشاءِ نظمها حتى تحقَّق الناس أنه أَعظم من إنشاء نَظْمِ البَيْتَين .

فلذلك رسم بالأَمر الشريف العالىّ المولوىّ الإمامىّ المعتضدىّ ، لازالت تفاويضه الشريفة العباسية محروسة بالأَسرار المحمدية ، أَن يُفَوَّض إلى المشار إليه نظرُ الجامع الجديد بمصر المحروسة ووَقْفِه المنسوبِ إلى السلطان الشهيد الملك الناصر بَقَّى الله تعالى عهده ، عِلْمًا أَنه إن شَمِل نظره

الجـامـعَ المصرىَّ فقـد مدَّ الله هـذا النظرَ فى سـائـر الأَمصار ، ويعلم أَنه يصير بحسن مهاجره لمُوقفه الناصرىِّ من أَعظم الأَنصارِ ، ويحق لهذا الجـامـع أَن يقول : ما برحتُ بمصر متمسـكا من محمد بالآثار ، ولقد هـام البيتُ العتيق إلى رُؤيَـةِ هـذا البيتِ الجـديد الذى هو بالمدينة الآهلة بالجناب المحمدىِّ ودارِ الخلافة ، وَوَدَّ الأَقصى أَن يـكون الأَدنى إليـه ليطالع تفسيره الذى يجعل من البحر اغترافه ، وتمنى الأَموىّ أَن يطير بـأَجنحة النَّسْرِ ليُزوِّجه بعروسه العالية المنار ، واستصغر تنكزُ نفسَه عن مقابلة الناصر وأَحـكم الحاكم وقصَّر طولون عن السبق فى هذا المضمار ، وقال الأَزهر : هذا بنور النظـر المحمدى أَزهر ، وقال الأَقمر هذا بالطلعة البارِزِيَّة أَقمر ، فَلْيتَلَقَّ حديث هذا التفويض عن (٢٤٦ ا) أَبى الفتـح عن أَبى النصر ويَتبَرَّك بسنده العـالى ، ويُمْلِى ما أَخذه من شواهد المحبة عن المعتضد عن المؤيَّد لا عن القـالى ، وليُباشِرْ ذلك على ماعهد من أَدواته التى ما نُسبت إلى غير الـكمال ، فإن الخَلَل لم ينظر إليه بعينـه من خِلال ، والوصايا كثيرة ولـكنه بحمد الله أَبو عُذْرتها ، وابنُ

بجِدْتها وجُهَيْنَة أخبارها ، وكاتب أسرارها ، والله تعالى يمدُّ فروعَ أُصوله حتى تستظل الأُمة بظل هذه الشجـرة ، ويفتـح له أبواب الخير بأَبى الفتـح فإن أبواب العلم لديه مُحَرَّرة ، ويديم على بيوت الله بالممالك الإسلامية نظره ، والاعتمادُ على الخطّ الشريف أعلاه ، حجّة بمقتضاه ، إن شاءَ الله تعالى .

الأُسلوب الرابـع

أَن يفتـح ما يـكتب بلفظ : أَحق ، أَو : أَولى ، أَو نحو ذلك ، وبذلك كان يُـكتب فى تواقيـع صغار الولايات .

وهذه نسخـة [1] توقيـع من ذلك

كتب به عن الإمام الناصر لدين الله للقاضى محيي الدين ابن فَضْلان بتدريس المدرسة النظامية ببغداد ، فى سنـة أَربـعَ عشرَة وستمائة وهى :

أَحق من أُفيضت عليه مَجَاسِدُ النِّعم ، وجُذِب بِضَبْعِه إلى مقـام التنويه وتقدُّم القَـدَم ، من أَسفر فى أَقْضية

(١) صبح الأعشى جـ ١٠ ص ٢٩٢ .

الفضائل صباحُه ، وانتشر فى العالم علمه وأَزهر مِصْباحُه .

ولمـا كان الأَجلُّ الأَوحد العالم ، محيي الدين ، حُجَّة الإسلام ، رئيس الأَصحاب ، مفتى الفريقين ، مُفيد العلوم ، أَبو عبد الله محمد بن يحيي بن فَضْلان أَدام الله رفعته ، ممن نَظَم فرائدَ المحامدِ عِقْدُهُ النَّضيد ، وأَوى من العلم والعمل إلى ركن شديد ، وثبتَتْ قدمُه من الديانة على مُسْتَثْبَتٍ راسخ وقرار مَهِيـد ، رُئِّى (٢٤٦ ب) التعويل فى تفويض التـدريس بالمـدرسة النظاميـة إليـه ، ثقة باضطلاعه واستقلاله ، وتبريزه فى حَلَبات الاستباق على نظرائه وأَمثاله ، وأَسند إليه أَدام الله رفعته النظرَ فى أَوقاف المدرسة المذكورة بأَجمعهـا ، واعتمـاد ما شرطه الواقفُ فى مصارفها وسُبلها ، سُـكونا إلى كفايته ، وركونا إلى سداده وأَمانته .

ورسم له تقديم تقوى الله تعالى التى ما زال مُنتهجـاً لطرائقها ، مستمسكا بِعِصَمِها ووثائقها ، وأَن يشرح صدره للمتعلمين ، ولا يأْخذه ضُجْرَة من المستفيدين ، ولا تَعْدُوَ عيناه عن الطالبين ، ولا يتبرَّم بالمبالغة فى تفهيم المُبتـدى ، ولا يغفل عن تذكير المُنْتهـى ، فإنه إذا

احتمل هذه المشقّة ، وأعطى كل تلميذ حقه ، كان الله تعالى كفيلا بمعونته ، بحسب ما يعلمه من حرصه عليهم وإخلاص نيَّته ، وليكن بسائر المتفقهة مُعْتنيا رفيقا ، وعليهم حَدِبا شفيقا ، يُفرِّع لهم من الفقه ما وضَح وتَسهَّل ، ويبيّن لهم ما التبس من غوامضه وأشكل ، حتى تَستنير قلوبهم بأَضواءِ علوم الدين ، وتنطلق أَلسنتهم فيها باللفظ الفصيح المُبين ، وتظهر آثار بركاته فى مراشده وتَبِين ، ولْتَتَوَفَّرْ همَّتُه فى عِمارة الوقف واستِنْمائها ، والتوفر على كل ما عاد بتزايُدها وزَكائِها ، بحيث يتَّضح مكان نظره فيها ، ويبلغ الغاية الموفية على من تقدَّم ويُوفيها ، ولا يستعين إلا بمن يُؤَدّى الأَمانة ويُوفِّيها ، ويقوم بشرائط الاستحفاظ ويَكْفيها ، وهو أدام الله رفعته يَجْرى من عوائد المدرّسين والمتولّين على أَوفى معهود ، ويرقى [1] فيه إلى أَبعد مُرتقًى ومقام محمود ، وأذن له فى تناول إيجاب التدريس ، ونظر الوقوف المذكورة أُسوةَ مَنْ تقدَّمه فى التدريس والنظر فى الموقوف ، على كل ما شرطه الواقف فى كل وِرْد وصَدَر ، واعتمادِ كلِّ ما حَدَّ له فى ذلك ومثَّله من غير تجاوز .

(١) في صبح الأعشى : ويسامى به .

أَن يفتــح ما يــكتب بلفظ : هذا كتاب ، ثم يقال : أَمَّا بعد فالحمد لله ، ويؤتى بخطبة مناسبة للحال ، وربما أَتى فيها بثلاث تحميدات ، ثم أَتى على المقصود إلى آخره .

وعلى ذلك كان يــكتب لزعماءِ أَهل الذمة من البطاركة ونحوهم .

وهذه نسخة توقيــع من ذلك[1]

كتب به أَمين الدولتين ابن مُوصَلاَيا عن القائم بأَمر الله لعبد يَسوع [2] الجاثَليق الفَطْرك [3] بمدينة السلام وسائر البلدان فى ربيــع الأَول سنة سبع وستين وأَربــع مائة وهى :

هذا كتاب أَمر بــكتبه عبدُ الله أَبو جعفر عبدُ الله الإمام القائم بأَمر الله أَميرُ المؤمنين لعبد يسوع الجاثليق الفَطْرك .

أَما بعد فالحمد لله الواحد بغير ثان ، القديم لا عن وجود زمان ، الذى قَصُرت صنيعة الأَوهام ، عن إدراكه

(١) صبح الأعشى حـ ١٠ ص ٢٩٤

(٢) كتب في صبح الأعشى : عبد يشوع .

(٣) في كتب اللغة : البطرك

وحارَتْ ، وضلّت صنيعة الأَفهام ، عن بلوغ مدى صفاته وحالَتْ ، المتنزّه عن الولد والصاحبة ، العاجزة عن إحاطة العلم به دلائل العقول الصافية الصائبة ، ذى المشيئة الحالية بالمضَاءِ ، والقدرة الجارية عليها تصاريف القدر والقضاء ، والعظمة الغنيّة عن العون والظهير ، المتعالى بها عن الكُفءِ والنظير ، والعزة المكتفية عن العَضُد والنصير ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (١) .

والحمد لله الذى اختار الإسلام دينا وارتضاه ، وشام به عَضْب الحق على الباطل وانتضاه ، وأَرسل محمدا صلى الله عليه وسلم منقذا من إشراك الضِّلة ، وكاشفا عن الإيمان ما غمره من الإشراك وأَظَلَّه ، وبعثه مَاحِياً أَثر الكفر عن القلوب والأَسماع ، وناحيًا فى اتِّباع ما جَدَّ فى البِدار (٢٤٧ ب) إليه والإسراع ، وأَدْلى ما حمله أَحسن الإدلاء (٢) ، وداوى بمعجزة النبوة من النفوس مُعضل الداء ، ولم يزل لأَعلام الهُدى مبينا ، ولحبائل الغَىِّ حاسما مُبينا ، إلى أَن خَلَص الحق وَصَفَا ، وغدا الدينُ من أَضداده مُنتصفا ، واتضح للحائر سَنَنُ

(١) سورة الشورى الآية ١١
(٢) هو كذلك في صبح الأعشى ، وصوِّب : وأدى . . . الأداء .

الرَّشَد ، وانقاد الأَبِـيُّ باللَّيِّن والأَشَدّ ، فصلى الله عليه وعلى آله الطـاهرين ، وأَصحابه المنتَخَبِين ، وخلفائه الأَئمة الراشدين ، وسلَّم تسليما .

والحمد لله الذى استخلص أَميرَ المؤمنين من أَزكى الدوحة والأُرومة ، وأَحلَّه من عِز الإِمامةِ ذِرْوةً للمجد غيرَ مَرومة ، وأَصَار إِليه من تُراث النبوة ما حَواه بالاستحقاق والوجوب ، وأَصاب به من مرامى الصلاة ما حُمِيتْ شموسُه من الأُفول والوُجوب ، وأَولاه من شرف الخلافة ما استقدم به الفخر فَلَبَّى ، واستخدم معه الدهرَ فيما تَأَبَّى ، ومنـح أَيَّامه من ظهور العـدل فيهـا وانتشاره ، ولَقَاح حَوائل [1] الإِنصـاف فيها ووضْـع عِشَارِه ، ما فضـل به العصورَ الخاليـة ، وظلَّت السِّيَرُ متضمنة من ذكرها ما كانت من مثله عاريةً خاليـة ، وهو يستديمـه سبحـانه المعونةَ على ما يُقَرِّب لديه ويُزلِفُ عنده ، ويستمدُّه التوفيقَ الذى يغدو لعزائمه الميمونة أَوفى العَضُدِ والعُدَّة ، وما توفيق أَمير المؤمنين إِلاَّ بالله عليه يتـوكل وإِليـه ينيب .

وأَمير المؤمنين مع ما أَوجب الله تعالى عليه من اختصاص

---

(١) في صبح الأعشى : « حوامل » هذا والحوائل جمع حائل وهى كل أنثى لا تحمل .

رعاياه بأَكنافه الذى يَمُدُّ عليهم رُوَاقها ، ويردُّ بها إلى أَغصان صلاحهم أَوراقَها ، ويُلْقى على أَجيادهم عقودَهَا ، ويقى رِياح ائتلافهم رُكودَها ، يرى أَن يُولِيَ أُولى الاستقامة من أَهل ذمَّته ضُروب الرأْفة وصُنوفَها ، وأَقسام العاطفة الدافعة عنهم حوادث الغِيَرِ وصُرُوفَها ، بمقتضى عُهودهم القويَّةِ القُوَى ، وذِمَّتهم التى يلزم أَن يُحافظ عليها أَهلُ العدل والتقوى ، ويَغْتمدهم من الصَّوْنِ [1] الغامر ، (٢٤٨ ا) والإِجمام المضاهى الآنفُ منه الغابر ، بما قنص [2] يد الضيم وكَفَّه ، ويُفيض عليهم من الملاحظة كلَّ ما حسم الضير دونهم وَكفَّه [3] ، وأَن يَحْتويهم [4] من الحِياطة بما يحْرُس رسومهم المستمرّة من أَسباب الاختلال ، ويُجْرِيهم فيها على ما سنَّه السلف الصالح معهم من مأْلوف السجايا والخلال .

ولَمَّا أُنْهِى إلى حضرة أَمير المؤمنين تمييزُك عن نظرائك ، وتحلِّيك من السَّداد بما يستوجب معه أَمثالُك المبالغَةَ فى وصفك وإطرائك ، وتخصُّصك بالأَنحاء التى فُتَّ فيها

(١) في صبح الأعشى : الضرر .
(٢) في صبح الأعشى : بما يقبض.
(٣) جملة : « ويفيض عليهم ... وكفه » غير موجودة في صبح الأعشى .
(٤) في صبح الأعشى : وأن يحبوهم .

شَأْوَ أقرانك ، وأفدْتَ بها ما قصَّر معه مُساجلك من أبناء جنسك أن يَعْدِلَك فى ميزانك ، وما عليه أهلُ نِحْلتك من حاجتهم إلى جاثليق كافلٍ بأُمورهم ، كاف فى سياسة جُمهورهم ، مستقلٍّ بما يلزم القيامُ به ، غيرُ مُقِلٍّ بما يَتَعَيَّن مثله فى أدوات مَنْصبه ، وأن كُلاً ممن يُرْجَع إليه منهم لمَّا تصفَّح أحوالَ متقدِّمى دينهم واستشَفَّ ، وأعمل الفكر فى اختيار الأَرجح منهم والأَشَفّ ، واتفقوا من بعدُ على إجالة الرأى الذى أفاضوا بينهم قدَاحه ، وراضُوا به زَند الاجتهاد إلى أن يُورى حين راموا اقتداحه ، فلم يصادفوا مَنْ هو بالرياسة عليهم أحقّ وأَحَرى ، وللشروطِ الموجبة التقديمَ فيهم أجمع وأحْوى ، وعن أموال وقوفهم أعفّ وأورع ، ومن نفسه لداعى التحرّى فيها أطوع وأتبع ، منك ، اختاروك لهم راعيا ، ولما يشدُّ نظامهم ملاحظا مراعيا ، وسأَلوا إمضاء نصِّهم عليك والإذن فيه ، وإجراء الأَمر فيما يخصك أسَدَّ مَجاريه ، وترتيبَك فيما أُهِّلْت له وحُمِّلْتَ ثِقْله ، واختصاصك على من تقدّمك من الأَضراب بمزيد من الإرعاء والإيجاب ، وحَمْلَك وأهلَ نِحْلتك على الشروط المعتادة ، والرسوم التى إمضاءُ الشريعة لها أَوْفَى الشهادة ، رأَى أمير المؤمنين الإجابَة إلى ما وُجِّهَتْ

إليه فيه الرغبة ، واستخارة الله تعالى (٢٤٨ ب) فى كل عَزْم يُطلق شَبَاهُ ويُمْضِى غَرْبَه ، مقتديا فيما أسداه إليك وأسناه من النعمة [١] لديك ، بأفعال الأئمة الماضين ، والخلفاء الراشدين ، صلوات الله عليهم أجمعين ، مع أمثالك من الجَثَالقة الذين سبقوا ، وفى مَقامك اتّسقوا ، وأوعز بترتيبك جاثَليقا لنُسْطور النصارى بمدينة السلام وسائر البلاد والأصقاع وزعيما لهم وللروم واليَعَاقبة طُرّا ، ولكلٍّ من تحويه ديار الإسلام من هاتين الطائفتين ممن بها يستقرّ وإليها يَظْرَا ، وجعل أمرك فيهم ممتثلا ، وموضعك من الرياسة عليهم مُتَأَثِّلا ، وأن تنفرد بالتقدُّم على هذه الطوائف أجمع ، ليكون قولك فيما يجيزه الشرعُ الشريفُ فيهم يُقْبل وإليك فى أحوالهم يُرْجع ، وأن تتميّزَ بأُهبة الزعامة فى مجامع النصارى ومُصَلَّياتهم عامّة ، من غير أن يَشْركك فيها أو يشاكلك فى النسبة الدالة عليها مَطْرَان أو أُسْقُف للروم أو اليعاقبة ، لتغدُوَ شواهدُ ولايتك بالأوامر الإمامية بادية للسامع والناظر ، وآثار قصورهم عن هذه الرتبة التى لم يبلغوها كافّة للمجادل منهم والمُنَاظر ، ومُنِعوا بأسرهم عن مساواتك

(١) في صبح الأعشى : أنعمه .

فى كل أَمر هو من شروط الزعامة ورسومها ، والتزيِّــى بمــا هو من علاماتها وَوُسومها ، إذ لا سبيــل لأَحدهم أَن يَمُدَّ فى مباراتك باعه ، ولا أَن يخرُج عن المُوجب عليه من الطاعة لك والتِّباعة ، وحملك فى ذلك على ما يدلُّ عليه المنشور المنشأُ لمن تقدّمك ، الممضى لك ولــكلّ [1] من يــأْتى بعــدك ، المُجــدِّد بما حواه ذكْر ما نطقتْ به المناشيرُ المقرَّرة فى أَيام الخلفاء الراشدين ، صلوات الله عليهم أَجمعين ، لمن تقدَّمك فى مقامك ، وأَحرز سَبْق مَغْزاك ومرامك ، من كون المنصوب فى الجَثْلَقة إليه الزعامة على ما تضُمُّه ديار الإسلام من هذه الفِرَق جَمْعا ، والمنصوص عليه فى التقدم الذى ليس لغيره من رياضه مَرْعى ، (٢٤٩ ا) وتقدَّم أَميرُ المؤمنين بحياطتك وأَهلِ نِحْلتك فى نفوســكم وأَموالــكم وبِيَعِــكُم ، ودياركم ومقار صلواتــكم وحراسة أَمواتــكم [2] ، واعتمادكم بأَقسام الــكلاءة عــلى أَجمــل الرسم معــكم ؛ وأَن تُحْمَوْا من نَقْضِ سُنَّةٍ رَضِيَّةٍ قُرِّرت لــكم ، ودَحْضِ وَتيرة حَميدة اسْتُعمِلت فى فَرْضــكم ، وأَن تُقْبض الجِزْية من رجالــكم

(١) في الأصل ولعمل من يأتي .
(٢) في صبح الأعشى : أموالكم .

ذوى القدرة على أَدائها بحسب ما جرت به عادتكم دون النساء ومن لم يبلغ الحلم دفعة واحدة فى السنة ، وتُجْرَوْا فى ذلك على السَّجِيَّة التى تناقَلَها الرُّواة وتداولَتْها الأَلْسنة ، من غير تَثْنِية ولا تكرير ، ولا تَرْنيق لمنهل المَعْدَلَة عندكم ولا تكدير ، وأَن تُحْبَى بالشَّدِّ دائما وتقوية يدك على من نَصَبْتَه فى أُمورهم ناظرا ولشملهم ناظما ، ويُفْسح لك فى فصل ما شَجَر بينهم على سبيل الوَسَاطة ، لتقصد فى ذلك ما يَحْسِم دواعىَ الخُلْف ويَطْوِى بِساطه ، وأَنْ تُمْضِى تثقيفك لهم وأَمرَك فيهم ، أُسوَة ما جرى عليه الأَمر مع من كان قَبْلَك يليهم ، لتُحْسِن معه السيرةَ العادلة [1] عليهم بحِفْظ السَّوَام ، المطابقة للشروط السائغة فى دين الإِسلام .

وأَمر بإِنشاءِ هذا الكتاب مشتملاً على ما خصَّك به ، وأَمضى أَنْ تُعامل بمُوجبه ، فقابِلْ نعمةَ أَمير المؤمنين عندك بما تستوجبه من شكر تَبلغ فيه المَدَى الأَقصى ، وبِشْرٍ لا يُوجِدُ التصفُّح له عندك قُصورا ولا نَقْصا ، وواظب على الاعتراف بما أُوليته من كلّ ما جَمَّلك ، وصدَّقَ ظنَّك وأَمَلك ، واستَزِد الإِنعامَ بطاعة تَطْوِى عليها الجوانح ، وأَدعية لأَيامه تُتْبِع الغادىَ منها بالرائح ،

(١) وضع هامش في صبح الأعشى نصه : لعله العائدة . تأمل .

وتجنَّب التقصير فيما بك عُدِق ،[1] وإليك وُكِلّ وعليك عُلِّق ، واحتفظ بهذا الكتاب جُنَّة تمنع عنك رَيْب الدهر وَغِيَرَه ، وحُجَّة تَحْمِل فيها على ما يَحْمِى ما مُنِحْته من كُلٍّ ما شَعَّثَه وغَبَّرَه ، وليعمَلْ بهذا المِثال كافة المطارنة والأَساقفة والقِسِّيسين ، والنصارى أجمعين ، وليعتمدوا (٢٤٩ ب) من اتباعه كُلَّ ما يستحقه تقديمُك على الجماعة ، ولْيَثِقُوا بما يغمرهم من المعاطف[2] الحامية سِرْبَهُمْ من التفريق والإضاعة ، إن شاء الله تعالى .

تنبيه : قد ذكر محمد بن عمر المدائنى أنه كان يكتب للأُمراء فى قرطاس من نصف طومار وللعمال والكُتَّاب فى قرطاس من ثلث طومار ، وللتُّجَّار وأَشباههم فى قرطاس من ربع طومار ، وللحُسَّابِ والمُسَّاح فى قرطاس من سُدس طومار ، وقد تقدم أَن المراد بالطومار قَطْع البغدادى الكامل ، ولا يخفى أَن المُناسب لقطع النصف قلم الثلث الخفيف ، ولقطع الثلث قلم الكوفة ، ولما دون ذلك قلم الرِّقاع .

---

(١) عدق يده : أدخلها في نواحي البئر أو الحوض ونحوهما كأنه يطلب شيئاً . وكأنه يراد هنا تجنب التقصير فيما طلب أن يكون فيك .

(٢) في صبح الأعشى : العاطفة .

الباب الخامس

فيما كان يكتب عن الخلفاء من الإقطاعات وتحويل السنين وإلزام أهل الذمة الشرائط اللازمة لهم وفيه [ثلاثة فصول] .

الفصل الأول

فيما كان يكتب عنهم من الإقطاعات ، وقد كان عاداتهم فيه أن يُكتب : هذا كتابٌ من عبد الله فلان الإمامِ الفلانىِّ . ويأْتى على المقصد إلى آخره من إقطاع استغلال ، وهو الذى يؤخذ فيه خراج الأَرض وَرَقبتها باقية لبيت المال ، أَو إقطاع تمليك ، وهو أَن يملك الأَرض ويقرر عليه قَطِيعة تؤخذ منها لبيت المال ، وتسمى هذه : المقاطعة .

والأَصل فى ذلك ما رواه الحافظ بن عساكر فى « تاريخ الشام » بسنده إلى أَبى قائد [1] الدارِىّ أَن النبى صلى الله عليه وسلم أَعطاه أَرضا بفلسطين ، وكتب له بها كتابا

(١) في صبح الأعشى : بسنده إلى زياد بن فائد عن أبيه فائد عن جده زياد ابن أبى هند عن أبى هند الدارى . . . . . . انظر صبح الأعشى ﺟ ٢٣ ص ١١٨

فى قطعة من أَدَم ، وهو ، بعد البسملة : هذا ذِكْرُ ما وَهَبَ محمد رسول الله للدَّارِيِّين إذا أَعطاه الله الأَرض . وَهَب لهم بيت عَيْنُون وحَبْرُون وبيت إبراهيم بمن فيهن لهم أَبدا .

شهد عبّاسُ بن عبد المطلب وجُهَيم[1] بن قيس وشُرَحْبِيل ابن حَسَنَة . وكَتَب . فلما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة كتب لهم بذلك كتاباً .

ونسختـــه [2]

هذا ما أَنْطى محمدٌ رسول الله صلى الله عليه وسلم تميمَ الدارِيَّ وأَصحابه ، إنى أَنطيتـــكم عينون [3] وحَبْرُون . (٢٥٠ ا) والرطوم وبيت إبراهيم برُمَّتهم وجميـــع مافيهم ، نَطِيَّةَ بَتٍّ ونفَّذْتُ وسلَّمت ذلك لهم ولأَعقابهم من بعدهم أَبدَ الأَبَدِ ، فمن آذاهم فيها آذاه الله .

شهد أَبو بـــكر بن أَبى قحافة ، وعُمر بن الخطاب وعثمان بن عفان ، وعلىُّ بن أَبى طالب ، ومعاوية بن أَبى سفيان [وكتب] .

---

(١) في صبح الأعشى : جهم « وفي الهامش نقلا عن السيرة الحلبية ص ٣٩٦ حـ ٣ خزيمة » . وانظر الإصابة : جهم بن قيس ... أبو خزيمة ويقال له جهيم بالتصغير

(٢) صبح الأعشى حـ ١٣ ص ١٢٠

(٣) كتب في الأصل : عين .

وفى رواية : إنما كتب أولا : هذا كتاب من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لتميم بن أوس الدارى ، إن له قرية حبْرا وبيت عينون [1] قَرْيَتَها كُلَّها ، سهلَها وجبلَها ماءَها وحَرْثها [2] وأنباطَها وبَقَرها ولعَقبه من بعده ، لا يُحَاقُّه فيها أحد ، ولا يَلِجُه عليهم أَحدٌ بِظُلم ، فمن طلبهم [3] أو أخذ من أحدهم شيئًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين [وكتب علىّ] .

وروى الحافظ ابن منده نحوَهُ [4] ، فصار ذلك أُسلوبا ينسجُ على منواله .

قلت : ويقال : إن الرقعة موجودة عند التميميِّين ببلد الخليل [5] إلى الآن فى رقعة أدم .

وهذه نسخة مقاطعة [6]

كتب بها أبو إسحاق الصابى عن المطيع لله بإقطاعِ أرضٍ إقطاعَ تمليك وهى :

---

(١) في الأصل : «عينوا» والتصويب من صبح الأعشى جـ ١٣ ص١٢١

(٢) في صبح الأعشى : وحرّتها

(٣) في صبح الأعشى : فمن ظلمهم .

(٤) انظرنصه في صبح الأعشى جـ ١٣ ص ١٢٢

(٥) في صبح الأعشى : خدام حرم الخليل .

(٦) صبح الأعشى جـ ١٣ ص١٢٣ — ١٣١

هذا كتاب من عبد الله الفضل الإمام المطيع لله أمير المؤمنين لفلان بن فلان .

إنك رفعت قِصّتك تذكر حال ضَيعَتِك المعروفة بكذا وكذا [من رُسْتاق كذا وكذا] من طَسُّوج كذا وكذا ، وأنها أَرض رَقيقةٌ قد نزل عليها [1] الخراب ، وانغلق أكثرها بالسَّدِّ والدغَل ، وأَنَّ مِثْلها لا [تتسع يد الليالى للإنفاق عليه وفلب بالابله (؟) واستخراج سدوده وقفل أرضه ولا] يرغب الأَكرة فى ازدراعه والمعاملةِ فيه ، وإن أمير المؤمنين مقاطِعُك [2] عن هذه الضيعة على كذا وكذا من الوَرِق المُرْسل فى كلّ سنة ، على استقبال سنة كذا وكذا الخراجية ، مقاطعةً مُؤَبَّدة ، ماضية مُقررة نافذة ، يُستخرج مالها فى أَول المحرَّم من كل سنة ، ولا تُتبع بنقض ولا يتأَول فيها مُتَأَوِّل ، ولا تُعتَرض فى مستأْنِف الأَيام ما اجتهدت فى عمارتها وتكلفت الإنفاق عليها (٢٥٠ ب) ، واستخراج سدودها ، وتَنقية [3] أَراضيها واحتفار سواقيها واجتلاب

(١) في صبح الأعشى : قد توالى عليها .

(٢) في الأصل : وإنه يأمر المؤمنين بمقاطعتك . .

(٣) في صبح الأعشى : وتقفل

الأَكرة إليها ، وإطلاق البذور والتقاوى فيها ، وإرغاب المزارعين بتخفيف طُسُوقها [بحق الرقبة] ومقاسماتها ، وكان فى ذلك توفيرٌ لحقّ بيت المال وصلاح [ظاهر] لايختلّ .

وسأَلتَ أَمير المؤمنين الأَمرَ بذلك والتقدم به والإسجال لك به ، وإثباته فى ديوان السواد ودواوين الحضرة وديوان الناحية ، وتصييرَه ماضيا لك ولعَقِبِك وأَعقابهم [ومن لعل هذه الضيعة أَو شيئا منها ينتقل إليه ببيع أَو ميراث أَو صدقة أَو غير ذلك من ضروب الانتقال] فإن أَمير المؤمنين بإيثاره الفلاح (١) واعتماده أَسبابه ، ورغبته فيما عاد بالتوفير على بيت المال ، والعمارة والتّرفيه للرعية ، أَمرنا بالنظر فيما ذكرته ، واستقصاء البحث عنه ، ومعرفة وجه التدبير ، وسبيل الحظ فيه ، والعمل بما يوافق الرشد فى جميعه ، فرُجع إلى الديوان فى تعرُّف ما حَكَيْته من أَحوال هذه الضَّيعة ، فأَنفذَ منه رجلاً مختارًا ثقةً مأْموناً من أَهل الخبرة بأُمور السواد وأَعمال الخراج ، قد عرف أَميرُ المؤمنين أَمانته وديانته ، وحكمه (٢)

(١) في صبح الأعشى : الصلاح .
(٢) في صبح الأعشى : وعلمه .

ومعرفته ، وأمره بالمصير إلى هذه الناحية وجمع [1] أهلهـا من الأَدِلاَّء والأَكَرَة والمزارعين [وثقات الأُمناء] والمجاورين والوقوف على هـذه الأَقرحة ، وإيقاع المساحة عليهـا وكشف أَحوال غامرها وعامرها ، والمَسير عـلى حدودها ، وأَخْذ أَقوالهم وآرائهـم فى وجه صَـلاَحِ وعمارةِ قَراحٍ قَراحٍ منهـا ، وما يوجبه صواب التدبير فيما التمستَه من المقاطعة بالمبلغ الذى بَذَلْته ، وذكرتَ أَنه زائد على الارتفاع ، والـكِتاب بجميـع ذلك إلى الديوان ليُوقَف عليه ويُنْهـى إلى أَمير المؤمنين لينظر فيه ، فمـا صحَّ عنـده منـه أَمضاه ، وما رأَى الاستظهار على نظر الناظر فيه استظهر فيما يَرى منه ، حتى يقف على حقيقته ، وَيَرْسُم بما يُعْمَل عليه .

فذكر ذلك الناظرُ أَنه وقف على هذه الضيعة ، وعلى سائر أَقْرِحتها وحدودها ، وطافها [2] بمشهد من أَهل الخبرة بأَحوالها (٢٥١ ا) من ثقات الأَدِلاَّء [والمجاورين] والأَكرة والمزارعين [والأُمناء] الذين يرجع إلى أَقوالهم [ويُعمل

(١) في الأصل وجميع .

(٢) في صبح الأعشى : ونطاقها .

عليهــا] فوجد مساحة بطون الأَقرحة المزدرعة من جميعها ، دون سَواقيهــا وبرُورها وتِلالها ومُستنقعاتها وما لا يُعتمد من أَرضها ، بالجَرِيب الهاشميّ الذى تُمســح به الأَرض فى هذه الناحية كذا وكذا جَرِيباً ، منها قراح كذا وكذا [1] وقراح كذا وكذا ، ومنهــا [الحصن و] البيوت والساحات [والقراحات] والخزّانات ، ووجد حالها فى الخراب والانسداد وتــكدّر [2] العمــارة والحاجة إلى عظــيم المعرفة ومفرط النفقة [3] ، على ما حــكيتَه وشــكوتَه ، ونظر فى مقدار أَصل [هذه الخزانات من] هذه الضيعة وما يجب عليها وكيفية [4] الحــال فى ذلك .

ونظر أَمير المؤمنين فيما رفعه هذا المؤتمن المُنْفَذ من الديوان ، واستظهر فيه بما يراه من الاستظهار ، ووجب عنده من الاحتياط ، فوجد ما رفعــه صحيحاً صحّةً عرفها أَمير المؤمنين وعَلِمها ، وقامت فى نفسه وثبتت عنده ،

(١) فى صبح الأعشى : منها جميع القراح المعروف بكذا وكذا .

(٢) فى صبح الأعشى : وتعذر العمارة .

(٣) فى صبح الأعشى عظيم المئونة ومفرط النفقة

(٤) فى صبح الأعشى : وكشف الحال .

ورأى إيقاع المقاطعة التى التمسْتَها على حقّ بيت المـال فى هذه الضَّيعة ، فقاطعك عنه فى كلّ سنة هلاليّة ، عـلى استقبال سنة كذا وكذا الخراجية ، عـلى كذا وكـذا ، درهما صحاحا مرسلة بغير كسر [1] ، ولا حَقِّ حَرْب ولا جَهْبَذة ، ولا محاسبة ولا زيادة ، ولا شىء من جميـع الْمؤَن وسائر التوابـع [2] والرسوم ، تُؤدَّى فى أول المحرم كلّ سنـة حسب مـا تؤدَّى المقـاطعة ، مقاطعةً ماضيةً مُؤبَّدة ، نافذة ثابتة ، على مُضِىّ الأَيام ، وكرور [3] الأَعوام ، لا تُنقض ولا تُفسـخ ولا تُتْبـع ، ولا يُتَـأَوَّل فيها ، ولا يُعتبر [4] ، على أَن يـكون هذا المال ، وهو من الوَرَقِ المرسلِ كذا وكذا فى كل سنة ، مُؤَدَّى فى بيت المـال ، ومصحَّحا عند من تُورَد عليه فى هذه الناحية أموالُ خراجهم ومقاطعاتُهم وجباياتُهم ، لا يُعْتَلُّ فيها بـآفة [5] تلحق الغـلات سماويّة ولا أَرضيـة ، ولا بتعطُّل أَرض

---

(١) بعدها في صبح الأعشى كلمة غير واضحة في أصله عليها استفهام وهذه الكلمة لا توجد في كتابنا هذا . وصور تهافيه « ولا كمانه »

(٢) في صبح الاعشى : وسابق التواقيع .

(٣) في صبح الأعشى : ولزوم الأعوام .

(٤) في صبح الأعشى : « ولا تغيّر » وهو الأقرب للصواب .

(٥) في الأصل : لا تقبل فيها آفة .

ولا بقُصورِ عمارة ، ولا نُقصان رَيْـع ، ولا بانحطاط سعر ، ولا بتـأَخر قَطْر ، ولا تشرُّب علة[1] ، ولا (٢٥١ ب) حَرَق ولا سَرَق [2] ، ولا بغير ذلك من الآفات بوجه من الوجوه ، ولا بسبب من الأَسباب ، ولا يحتَـجُّ فى ذلك بحجـة يحتج بها [التُّناء و] [3] المزارعون وأَرباب الخراج فى الالتواء بما عليهم ، وعلى أَن لا يدخل عليك فى هذه المقاطعة يدٌ ماسِح ولا مُخَمِّن ولا حازِر [ولا مقدَّم ولا أَمين ولا حاظر] ولا ناظر [ولا] متتبـع [ولا متعرف لحال زراعة وعمارة] ولا كاشف لأَمر زرع وغلة ، ماضيا ذلك لك ولعقبك من بعدك ، وأَعقابهم وذريتك وذريتهم [3] أَبدا ما تناسلوا ، ولمن عسى أَن تنتقل هذه الأَقرحة أَو شىء منهـا إليه بإرث أَو بيـع أَو هبـة ، أَو نَحْل أَو صدقة أَو وقف أَو مُناقلة أَو إجازة أَو مُهايـأَة أَو تمليك أَو إقرار ، أَو بغير ذلك من الأَسباب التى تنتقل بهـا الأَملاك من يد إلى يد ولا يُنقَض ذلك ولا شىء منـه ، ولا يُغيَّر

---

(١) فى صبح الأعشى : ولا بشرب غله .

(٢) فى صبح الأعشى : شرق .

(٣) زيادة الكلمـة من صبح الأعشى وقد وضع عليها عـلامة استفهام فيه . والتناء هم سكان البلد .

(٣) فى صبح الأعشى ورثتك وورثتهم .

ولا يُفسخ ولا يُزَال ولا يُبَدَّل ، ولا يُعَقَّب ولا يُعتَرَض فيه بسبب زيادة عِمارة ولا ارتفاع سعر ولا وُفور غَلَّة ولا زَكَاءِ رَيْع ولا إحياء مَوَات ، ولا إعمال [1] مُعَطَّل ولا عمارة خراب ، ولا استخراج غامر ، ولا صلاح سرب [2] ولا استحداث غَلاَّت لم يجر الرسم باستحداثها وزراعتها ، ولا يُعَدُّ ولا يُمْسَح ما عسى أن يُغرس بهذه الأَقرحة من النخل وأَصناف الشجر المعدود والكُروم ، ولا يَتَأَوَّل عليك فيما لعلَّ أَصلَ المساحة أَن تزيد به فيما تُعَمِّره وتستخرجه من [الجبابين و] [3] المُسْتَنقعات ومواضع المشارب المستغنى عنها ، إذ كان أَمير المؤمنين قد عرف جميع ذلك ، وجعل ما يجب على كل شيء منه عند وجوبه داخلا فى هذه المقاطعة وجاريا معها [4] .

وأَمر أَمير المؤمنين بإثبات هذا الكتاب فى الدواوين ، وإقراره فى يدك حُجَّةً لك ولعقبك من بعدك وأَعقابهم

---

(1) في صبح الأعشى ولا اعتمال .

(2) في صبح الأعشى شِرْب .

(3) فسرت الجبابين في صبح الأعشى بأنها الصحارى .

(4) بعد هذا في صبح الأعشى زيادة طويلة مقدارها فيه ثلاث صفحات من ص١٢٧ جـ١٣ إلى ص ١٣٠

وورثتك وورثتهم ، وثيقةً فى أَيديــكم ، وفى يد من عسى أَن تنتقل هذه الضيعة أَو الأَقرحة أَو شيء منها إليه بضرب من ضُروب الانتقال التى ذُكرت فى هذا الـكتاب ، والتى لم تُذكر فيــه ، وأَن لا يخلفوا إيرادًا من بعده [1] ، ولا يَتَأَولُ عليــكم مُتَأَوِّل فيه .

فمن وقف (٢٥٢ ا) على هذا الـكتاب أَو قرأَه أَو قُرِئَ عليه ، من جميــع الأُمراء وولاة العهود والوزراء والـكتاب والعمال والمُشرفين والمتصرفين والمباشرين [2] فى أُمور الخراج ، وأَصحــاب السيوف عــلى اختلاف طبقاتهم ، وتبايُن منازلهم وأَعمالهم ، فليمتثــل ما أَمر به أَميرُ المؤمنين ولْيُنفِّذ لفلانِ بنِ فلان ، وورثتِه وورثتِهم ، وعقبــه وأَعقابهم ، ولمن تنتقل هذه الأَقرحة أَو شيء منهــا إليــه ، هذه المقاطعة ، من غير مراجعــة فيهــا ، ولا استئمار عليها ، ولا تــكليف أَحد ممن يقوم بـأَمرها إيرادَ حُجَّة بعد هذا الـكتاب بها ، وليعمل بمثل ذلك من وقف على نُسخــة من نُسَخ هذا الـكتاب فى ديوان من

---

(١) في صبح الأعشى : وأن لاتكلفوا إيراد [حجة] من بعده .

(٢) في صبح الأعشى : والناظرين في الخراج .

دواوين الحضرة وأعمالها أو الناحية ، ولْيُقَرّ فى يد فلان بن فلان ويد من يُورده ويحتجّ به ، ممن يقوم مقامه ، إن شاء الله تعالى .

تنبيـــه ـ قد تقدم عن محمد بن عمر المدائنى أنه كان يـكتب للأُمراء فى قرطاس من نصف طومار ، وأن المراد نصف قطـع البغدادى ، ومقتضى ذلك أن إقطاعاتهم كانت تـكتب فى هذا القطـع ، ومَنْ دونهم من الجند كُلٌّ منهم بحسب رتبتـه .

الفصل الثـانى

من الباب الخامس

فيما كان [1] يـكتب فى تحويل السنين الخراجية عن الخلفاء ، وهو أن يـكتب بنقل السنة الشمسية إلى السنة الهِلالية بالاسم دون الحقيقة ، توفيقا بينهما ، وإزالةً للشبهة فى أمرهما ، وذلك أن أيام السنـة الشمسية فى المدة التى تقطع الشمسُ الفلكَ فيها مرّة واحدة حسب ما تُوجبه حركتُهـا فى ميلها فى الجنوب والشمال ثلاثمـائة وخمسة

(١) انظر صبح الأعشى جـ ١٣ ص ٥٤

وستون يوما وربع يوم بالتقريب ، وأيام السنة الهلالية فى المدة التى يقطع القمرُ الفلَك فيها اثنتى عشرة دفعة ثلاثمائة وأربعةٌ وخمسون يوماً وسدس يوم ، فيكون التفاوت بينهما أحد عشر يوما وسدس يوم ، وتكون زيادة السنين الشمسية على السنين الهلالية فى كل ثلاث سنين شهرا واحدا وثلاثة أيام ونصف يوم تقريبا ، وفى كل ثلاث وثلاثين سنة سنة واحدة بالتقريب ، فإذا تمادى الزمان زاد تفاوُت ما بين السنين حتى يكون كل ثلاثمائة سنة (٢٥٢ ب) شمسية ثلاثَمائة وتسعَ سنين هلالية ، وعليه حَمل بعضُ المفسرين قوله تعالى ﴿ وَلَبِثُوا فِى كَهْفِهِمْ ثَلَاثِمائةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعاً ﴾ [1] وربما كان استحقاق الخراج فى أول سنة من السنين العربية ، ثم تراخى الحال فيها إلى أن صار استحقاقه فى أواخرها ، ثم تراخى حتى يصير فى السنة الثانية ، فيصير الخراج منسوبا للسنة السابقة واستحقاقه فى السنة اللاحقة ، فيحتاج حينئذ إلى تحويل السنة الخراجية السابقة إلى التى بعدها ، حتى انتهت الحال فى جباية الخراج سنة إحدى وأربعين

(١) سورة الكهف الآية ٢٥

ومائتين فى خلافة المتوكل وخراج كل سنة يجبى فى السنة التى بعدها ، فلما دخلت سنة اثنتين وأربعين ومائتين كان قد انقضى من السنين التى قبلها ثلاث وثلاثون سنة ، أولهن سنة ثمان ومائتين من خلافة المأمون . فاجتمع من [هذا] المتأخر فيها أيامُ سنة شمسية كاملة وهى ثلاثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم وزيادة الكسر . وتَهَيَّأَ إدراك غلاّت سنة إحدى وأربعين ومائتين فى صدر سنة اثنتين وأربعين [ومائتين] فأمر المتوكل بإلغاء ذكر سنة إحدى وأربعين ومائتين إذ كانت قد انقضت ونُسب الخراج إلى سنة ثنتين وأربعين ومائتين ، وأمر إبراهيمَ بنَ العبّاس فكتب كتابا عنه بذلك ، وهو أول كتاب كُتب فى هذا المعنى . ولم أقف على نسخته .

وجرى العمل بعد المتوكل على ذلك سنة بعد سنة ، إلى أن انقضت ثلاث وثلاثون سنة . آخرُهُنَّ انقضاء سنة أربع وسبعين ومائتين . فجرى فيها خَبْطٌ بين الكُتّاب ، وبقى الأمر إلى سنة ثمان وسبعين ومائتين فى خلافة المعتضد ، فعُرِّف ما كان من فعل المتوكل من نقل سنة إحدى وأربعين ومائتين إلى سنة اثنتين وأربعين ومائتين . فأمر بنقل

سنة ثمان وسبعين ومائتين إلى سنة تسع وسبعين ومائتين ، وكان هذا النقل بعد مُضِىِّ أربع سنين من استحقاقه ، وكُتب بذلك كتابٌ [1] عن المعتضد وخُلِّد فى الدواوين .

ونسخته [2] (٢٥٣ ا) أما بعد ، فإن أولَى ما صرف إليه أميرُ المؤمنين عنايته ، وأعمل فيه فكره ورويِّته ، وشغل فيه تَفَقُّدَه [3] ورعايته ، أَمْرُ الفَىءِ الذى خصه الله به ، وألزمه جمعه وتوفيره ، وحياطته وتكثيره ، وجعله عماد الدين وقوام [4] أمر المسلمين ، وفيما يُصرف منه أعطيات الأولياء والجنود ، ومن يستعمل به فيه لتحصين البَيْضة والذّبِّ عن الحريم ، وحجّ البيت ، وجهاد العدو ، وسدّ الثغور ، وأَمْن السبيل ، وحقن الدماء ، وصلاح ذات البين ، وأمير المؤمنين يسأل اللهَ راغبا إليه ، ومتوكلا عليه ، أن يُحسن عَوْنه على ما حمَّله منه ، ويديم توفيقه [إلى ما أرضاه] ، وإرشاده إلى ما يقْضى بالخير عنه وله .

---

(١) في الأصل : كتابا .

(٢) صبح الأعشى ج ١٣ صفحة ٦٣

(٣) في الأصل : مفتقدة .

(٤) في الأصل : وقيام .

وقد نظر أَمير المؤمنين فيما كان يجرى عليه أَمرُ جِباية هذا الفىء فى خلافة آبائه الخلفاء الراشدين صلوات الله عليهم ، فوجده علی حسب ما كان يُدْرك من الغَلاَّت والثِّمار فى كل سنة أَوَّلاً على مجارى [شهور] سِنِى الشمسِ فى النجوم التى يَحِلُّ مالُ كلِّ صنف منها فيها ، ووجد شهور السنة الشمسية تتأَخَّر عن شهور السنة الهلالية أَحد عشر يوما ورُبعا وزيادةً عليه ، ويكون إِدراكُ الغلاَّت والثمار فى كلّ سنة بحسب تأَخّرها .

فلا تزال السنونَ تمضى على ذاك سنة بعد سنة ، حتى تنقضى منها ثلاث وثلاثون سنة ، ويكون عَدَدُ الأَيام المتأخرة منها أَيامَ سنة شمسية كاملة ، وهى ثلاثمائة وخمسة وستون يوما وربعُ يوم وزيادةٌ عليه ، فحينئذ [يَتَهَيَّأُ] بمشيئة الله وقدرته إدراك الغَلاَّت التى تجرى عليها الضرائبُ والطُّسُوق فى استقبال المُحَرَّم من سِنِى الأَهِلَّة ، ويجب مع ذلك إلغاءُ ذِكْر السنة الخارجة ، إذ كانت قد انقضَتْ ، ونِسْبَتُها إلى السنة التى أَدركتِ الغَلاَّتُ والثمارُ فيها ، وإنه وجد ذلك قد كان وقع فى أَيام أَمير المؤمنين المتوكّل على الله رحمةُ اللهِ عليه عند انقضاء ثلاث

وثلاثين سنة (٢٥٣ ب) آخرتُهن سنة إحدى وأَربعين ومائتين ، فاسْتَغْنَى عن ذلك ، وأَمر بإلغائه ، ونسبه إلى سنة اثنتين وأَربعين ومائتين ، فجرت المكاتباتُ والحُسباناتُ وسائر الأَعمال بعد ذلك سنةً بعد سنة ، إلى أَن مضت [1] ثلاث وثلاثون سنة آخرتهنّ انقضاء سنة أَربع وسبعين ومائتين [ووجب إنشاء الكتب بإلغاء ذكر سنة أَربع وسبعين ومائتين] [2] ونسبتها إلى سنة خمس وسبعين ومائتين ، فذهب ذلك على كُتَّاب أَمير المؤمنين المعتمد على الله ، وتأَخر الأَمر فيه أَربع سنين ، إلى أَن أَمر أَمير المؤمنين المعتضدُ بالله [رحمه الله] فى [سنة سبع وسبعين ومائتين بنقل خراج سنَةِ ثمان وسبعين ومائتين إلى] سنة تسع وسبعين ومائتين ، فجرى الأَمر على ذلك ، إلى أَن انقضت فى هذا الوقت ثلاث وثلاثون سنة أُولاهن السنة التى كان يجب نقلها فيها ، وهى سنة خمس وسبعين ومائتين ، وآخرتهن انقضاء شهور خراج سنة سبع وثلاثمائة ، ووجب افتتاح [خراج] ما تجرى

(١) في الأصل : بقيت .

(٢) هذه الزيادة أيضا خلا منها أصل صبح الأعشى وزادها محققوه من المقريزى حـ ١ ص ٢٧٧ وقالوا إنها لازمة لاستقامة الكلام .

عليه الضرائب والطسُوق فى أولها . مِنْ صواب التدبير واستقامة الأَعمال واسْتعمال ما يَخِفُّ على الرعية معامَلَتُها به نَقْلُ سنة الخراج لسنة سبع وثلاثمائة إلى سنة ثمان وثلاثمائة ، فرأى أمير المؤمنين - لما يُلْزِم به نفسَه ويأخذها [1] به من العناية بهذا الفىء ، وحِياطة أسبابه ، وإجرائها مجاريها ، وسلوك سبيل آبائه الراشدين رحمة الله عليهم فيها - أن يُكْتب إليك وإلى سائر العمال بالنواحى بالعمل على ذلك ، ويكون ما يَصْدر [إليكم] من الكتب وتُصْدِرونه عنكم وتجرى عليه [أعمالكم و] رُفوعكم وحُسباناتكم وسائرُ مناظراتكم على هذا النَّقْل .

فاعلم ذلك من رَأْى أمير المؤمنين ، واعمل به ، مستشعرا فيه وفى كل ما تمضيه تقوى الله وطاعته ، ومستعملا ثِقات الأَعوان وكفاتهم [2] مُشرفا عليهم ومقوِّما لهم ، واكتب بما يكون منك فى ذلك ، إن شاء الله تعالى .

ولم يزل الأَمر جاريا على ذلك فى كل ثلاث وثلاثين

(١) في صبح الأعشى : لما يلزمه نفسه ويؤاخذها به .

(٢) في الأصل : ثقات أعوان كفاتهم .

سنةً تُنْقلُ سنةٌ . إلى آخر الدولة العباسية بالعراق .

قلت : أَما الديار المصرية فقد ذكر صاحب « المنهاج (٢٥٤ ا) فى صنعة الخراج » أَن أَول نقل [١] السنين فيــه كان فى سنة تسع وتسعين وأَربعمائة الهلالية .

وكُتب فيها كتاب من إنشاء القاضى الفاضل [٢] ، وهى مستمرة على النقل فى كل ثلاث وثلاثين سنة إلى زماننا هذا يــكتب بها عن السلطان .

الفصل الثالث

من البـاب الخامس

فيما كان يــكتب عن الخلفاء فى إلزام أَهل الذمة ما يلزمهم بشريطة عقد الذمة وأَخذهم بذلك .

وأَول ما كُتب بذلك فى خلافة المتوكل على الله بن [المعتصم بن] هارون الرشيد وذلك [٣] أنه حج فسمع رجلا يدعو عليه ، فهمَّ بقتله ، فقال له الرجل : والله يا أَمير المؤمنين

(١) صبح الأعشى جـ ١٣ ص ٦٠

(٢) انظر صبح الأعشى جـ ١٣ ص ٧١

(٣) صبح الأعشى جـ ١٣ ص ٣٦٦

ما قلتُ ما قلت إلاَّ وقد أيقنتُ بالقتل ، فاسمع مقالى ثم مُرْ بقتلى ، فقال : قل . فشكا إليه استطالةَ كُتَّابِ أهل الذمة على المسلمين ، فى كلام طويل ، فخرج أمرُ أمير المؤمنين المتوكل بأن يلبس النصارى واليهود ثياب العَسَلِىِّ وأن لا يُمكَّنُوا من لُبْس البياض كى لا يتشبهوا بالمسلمين ، وأن تكون رُكُبُهُم خَشَباً ، وأن تهدم بِيَعُهم المُستجدَّة وأن تُطْلَق عليهم الجِزية ، ولا يُفْسح لهم فى دخول حمّامات [خدمها من] المسلمين ، وأن تفرد لهم حَمَّامات [خدمها] من أهل الذمة ، وأن لا يستخدموا مسلما فى حوائجهم ، وأفردهم بِمَنْ يَحْتَسِب عليهم ، وأمر أن يُكتب بذلك كلّه كتابا فكُتب .

وهذه نسخته (١)

أما بعد فإن الله تعالى اصطفى الإسلام دينا ، فشرّفه وكرَّمه ، وأناره ونَصَّرَه وأظهره ، وفضله ، وأكمله فهو الدين الذى لا يَقْبَل غيرَه ، قال الله تعالى ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ

(١) صبح الأعشى ج ١٣ ص ٣٦٧.

(٢٥٤ ب) الخَاسِرِين ﴾ [١] بعث به صفيّه وخيرته من خلقه محمدا صلى الله عليه وسلم ، جعله خاتم النبيين ، وإمـام المتقين ، وسيّد المرسلين ﴿ لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ القَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [٢] وأنزل كتابا عزيزا ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [٣] أَسعد به أُمَّته وجعلهم خيرَ أُمَـة أُخرجت لِلنَّاسِ يأْمُرون بالمعروف وَيَنْهَوْن عن المُنْكَر ويُؤْمنون بالله ﴿ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَاب لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمْ الْفَاسِقُونَ ﴾ [٤] وأهان الشِّرك وأهله وَوضَعهم وَصغَّرهم ، وقمعهم وخذلهم وتبرَّأ منهم ، وَضَرَبَ عَلَيْهِم الذِّلَّةَ والمَسْكَنَة وقال ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ [٥] واطَّلَع [٦]

---

(١) سورة آل عمران الآية ٨٥
(٢) سورة يس الآية ٧٠
(٣) سورة فصلت الآية ٤٢
(٤) سورة آل عمران الآية ١١٠
(٥) سورة التوبة الآية ٢٩
(٦) في الأصل : وطبع .

علـى قلوبهم وخُبْثِ سرائرهم وضمائرهم ، فَنَهـى عن ائتمانِهم والثقةِ بهم ، لعَـدَاوتهم للمسلمين ، وغِشِّهم وبغْضائهم فقال ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِـكُمْ لاَ يَأْلُونَـكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَت البَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِـى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَـكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[1] وقال [تعـالى] ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُون الْمُؤْمِنِين [أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا لله عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴾[2] وقال تعالى ﴿ لا يَتَّخِذِ المؤْمِنُونَ الْـكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُون المُؤْمِنِينَ] وَمَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ الله فـى شَىْءٍ إِلاَّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ﴾[3] وقال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْـكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾[4]

---

(١) سورة آل عمران الآية ١١٨

(٢) سورة النساء الآية ١٤٤

(٣) سورة آل عمران الآية ٢٨

(٤) سورة المائدة الآية ٥١

وقد انتهى إلى أمير المؤمنين أن أناسا لا رأى لهم ولا رَوِيّة يستعينون بأهل الذِّمّة فى أفعالهم ، ويتّخذونهم بطانة من دون المسلمين ، ويُسَلِّطونهم على الرعيَّة فيَعْسِفُونهم وَيَبْسُطون أيديهم إلى ظُلمهم وغِشِّهم والعُدوانِ عليهم ، فأعظَمَ أميرُ المؤمنين ذلك ، وأنكره وأكبرَه ، وتبرّأ منه ، وأحب التقرُّب إلى الله تعالى بِحَسْمِه والنَّهى عنه ، ورأى أن يَكتُب إلى عماله (٢٥٥ ا) على الكُوَر والأمصار ، وولاة الثغور والأجناد ، فى ترك استعمالهم [لأهل] الذمة فى شئ من أعمالهم وأُمورهم ، والإشراك لهم فى أُمورهم [١] وأماناتهم ، وما قلّدهم أمير المؤمنين واستحفظهم إياه ، إذ جعل فى المسلمين الثِّقةَ فى الدين ، والأمانة على إخوانهم المؤمنين ، وحُسْنَ الرعاية لما استرعاهم ، والكِفاية لما استُكْفوا ، والقيام بما حُمِّلوا . بما أغنى عن الاستعانة من [٢] المشركين بالله ، المكذِّبين برسله ، الجاحدين لآياته ، الجاعلين معه إلٰها آخرَ لا إلٰه إلاَّ هو وحده لا شريك له .

ورجَا أميرُ المؤمنين ــ بما ألهمه الله من ذلك وقذف فى

(١) لا توجد هذه اللفظة في صبح الأعشى .

(٢) كذا هي أيضا في أصل صبح الأعشى وزاد المحققون : [بأحد] من المشركين .

قلبه – جزيل الثواب ، وكريم المآب ، والله تعالى يعين أمير المؤمنين على نِيّته على تَعْزيز الإسلام وأهله ، وإذلالِ الشرْك وحِزْبِه .

فَلْتَعْلَمْ هذا من رأى أمير المؤمنين ولا تستَعِنْ[1] بأحد من المشركين وأنزِلْ أهل الذمة منازلهم التى أَنزلهم الله بها ؛ واقرأْ كتابَ أميرِ المؤمنين على أهل أعمالك وأَشِعْهُ فيهم ولا يَعْلَمُ أميرُ المؤمنين أنك استعنتَ ولا أحدٌ من عُمَّالك وأعوانك بأحد من أهل الذمة فى عمل الإسلام .

قلت : ثم لم يزل الخلفاء بعد المتوكل يتداولون كتابة مثل ذلك فى كل زمن ويُشدِّدون فيه حتى أن المقتدر بالله فى سنة خمس وتسعين ومائتين عَزل كُتَّاب النصارى وعُمَّالهم ، وأمر بأن لا يُستعان بأحد من أهل الذمة ، وَقَتَل بعضَ النصارى وكتب إلى عماله بها .

نسخته[2]

عوائدُ الله عند أمير المؤمنين تومى على عَادة[3] رضاه ،

(١) في صبح الأعشى : فلتعلم هذا ولا تستعن .
(٢) صبح الأعشى حـ ١٣ ص ٣٦٨ – ٣٦٩
(٣) في صبح الأعشى : على غاية رضاه .

ونهاية أمانيــه ، وليس أَحدٌ يُظْهِر عصيانه إلاَّ جعله اللهُ عظةً للأنام ، وبَادَرَهُ بعاجـل الاصطـلام ، والله عزيز ذو انتقام ، فمن نَـكَثَ وطغى وبغى ، وخالف أمير المؤمنين ، وخالف محمدا صلى الله عليه وسلم ، وسَعَـى فى إفساد دولة (٢٥٥ ب) أمير المؤمنين ، عاجَلَه أَميرُ المؤمنين بسطوته ، وطهَّر من رجسه دَوْلَته ، والْعَاقِبَـةُ لِلْمُتَّقِينَ .

وقد أَمر أَمير المؤمنين بترك الاستعانة بأَحد من أَهل الذمّة ، فليحذر العمال تَجاوز أَمْر أَمير المؤمنين ونواهيه .

وكذلك[1] وقع فى زمن الآمر الفاطمى بالديار المصرية ، أمر بِـكِتَابٍ كِتابٍ عنه بإلباس أَهل الذمة الغِيَار وإنزالهم بالمنزلة التى أَمر الله تعالى أَن ينزلوا بها من الذل والصغار ، وأَمر أَن لا يُولَّوْا شيئا من أَعمال الإسلام ، وأَن ينشأَ فى ذلك كتابٌ يقف عليه الخاص والعام ، فـكُتِب .

وأَوله : الحمد لله المعبود فى أَرضه وسمائه ، والمُجيب دعاء من يَدْعوه بأَسمائه .

(١) صبح الأعشى جـ ١٣ ص ٣٦٩

وهو كتاب طويل [1] قص عليهم فيه كلّ نــكال .

وعلى ذلك جرى ملوك الديار المصرية ، إلى أن كان آخر ما كُتب بمثل ذلك عن الملكِ الصالحِ صالحِ بنِ السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون فى سنة خمس وخمسين وسبــع مائة [2] .

(١) انظره في صبح الأعشى حـ ١٣ ص ٣٧٠

(٢) في الأصل : وخمسمائة والتصويب من صبح الأعشى حـ ١٣ ص ٣٧٨ وانظر فيه نص الخطاب .

الباب السادس

في الكتب الصادرة عن الخلفاء وولاة العهد بالخلافة ، والكتب الصادرة إلى الخلفاء وولاة العهد من الملوك ونحوهم ، وفيه فصلان :

الفصل الأول

في الكتب الصادرة عن الخلفاء وولاة العهد .

أما الكتب الصادرة عن الخلفاء

فللكتاب في المكاتبات العامة فيها أربعة مذاهب :

(٢٥٦ ا) المذهب الأول

أن يفتتح الكتاب بلفظ : أما بعد ، وربما أتى فيه بعد البعدية بالتحميد ، إذا كان الكتاب مما يدل على نعمة ظاهرة من فتح أو غيزه ، وقد ينتهى التحميد إلى ثلثه ، وقد يقصر فيه على تحميدة واحدة ، وربما أهمل التحميد ووقع الافتتاح بأما بعد فإن أمير المؤمنين .

والأصل في ذلك أن النبى صلى الله عليهم وسلم كان

يفتتح كتبه بأما بعد ، كما كتب صلى الله عليه وسلم إلى نصارى نجران [1]

[بسم الله الرحمن الرحيم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب]

أما بعد ، فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عِبادة العباد ، وأدعوكم إلى وِلاية الله من وِلاية العباد ، فإن أبيتم فالجزية ، فإن أبيتم [2] فقد آذنتكم بحرب الإسلام [3] .

وعلى ذلك

كتب [4] أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه حين حُصِر فى داره إلى أمير المؤمنين علىٍّ بن أبى طالب رضى الله عنه .

أما بعد فقد بلغ السَّيل الزُّبَى والحزامُ [5] الطُّبْيَيْن وطَمِع فىَّ كلُّ من كان يَضْعف عن نفسه [6] ، ولم يَغْلِبْكَ مثل مُغَلّب . فأَقْبِلْ إلىَّ صديقا كنت أم عَدُوًّا

(١) صبح الأعشى حـ٦ ص ٣٨١

(٢) في الأصل : فبالجزية فان أبيتكم .

(٣) هى كذلك أيضا في صبح الأعشى وعلق عليها بأن المناسب لها : بحرب والسلام .

(٤) صبح الأعشى حـ ٦ ص ٣٨٨

(٥) هى كذلك أيضا في أصل صبح الأعشى وأضيف إليه [وجاوز] الحزام .

(٦) زيد على أصل صبح الأعشى [عن الدفع] عن نفسه .

فإن كُنتُ مأْكولاً فكُنْ خيرَ آكلٍ
وإلاَّ فأَدْرِكْنِي ولَمَّا أُمَزَّقِ

وعلى مثل ذلك كتب [1] يزيد بن معاوية إلى أهل المدينة وقد خرجوا عن طاعته :

أما بعد ، فإن ﴿ الله ، لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلاَ مرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴾ [2] وإني والله قد لَبِسْتكم فأَخلقتُكم ، ورفعتُكُم على رأْسي ، ثم على عيني ، ثم على فمي ، ثم على بطني ، وايم الله لئن وضعتكم تحت قَدمي لأَطَأَنَّكُمْ وطأَةً أُقِلُّ بها عدَدكم ، وأَترُككم بها أَحاديث (٢٥٦ ب) تُنسخ منها أَخباركم كأَخبار عاد وثمود .

وعلى هذا الأُسلوب

كتب عن المعتصم بالله إلى ملوك الآفاق من المسلمين عند

(١) صبح الأعشى حـ ٦ ص ٣٩٠

(٢) سورة الرعد الآية ١١

قبض الأَفْشين على بابَك ملك الروم . وهو من الفتـــوح العظيمة فى الإسلام .

وهذه نسختــه [1]

أَما بعد ، فالحمد لله الذى جعل العاقبةَ لدينه ، والعصمةَ لأَوليائه ، والعزّ لمن نصره ، والفُلجَ لمن أَطاعه ، والحقَّ لمن عرف حقه ، وجعل دائرة السوءِ على من عصاه وصدف عنه ، ورغب عن ربوبيته ، وابتغى إلّـها غيره ، لا إلّـه إلا الله وحده [2] لا شريك له ، يحمده أَميرُ المؤمنين حمْدَ من لا يعبد غيرَه ، ولا يتوكل إلا عليه ، ولا يفوض أَمره إلا إليه ، ولا يرجو الخير إلا من عنده ، والمزيد إلا من سعة فضله ، ولا يستعين فى أَحواله كلها إلا به ، ويسأَله أَن يصلى على محمد عبده ورسوله ، وصفوته من عباده ، الذى ارتضاه لنبوته ، وابتعثه بوحيه ، واختصه بكرامته ، فأَرسله بالحق شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا . والحمد لله الذى توجه لأَمير المؤمنين بصنعه ، فيسَّر له

---

(١) صبح الأعشى جـ ٦ ص ٤٠٠

(٢) في صبح الأعشى : لا إله إلا هو وحده ...

أمره ، وصدَق له ظنَّه ، وأنجح له طَلِبَتَه وأنفذ له حيلته ، وبلّغ له بغيته [1] وأدرك المسلمون بثأرهم على يده . وقتل عدوهم ، وأسكن روعهم ، ورحم فاقتهم . وآنس وحشتهم ، فأصبحوا آمنين مطمئنين مقيمين فى ديارهم ، متمكنين من أوطانهم . بعد القتل والحرق [2] والتشريد وطول العناء ، وتتابع البلاء ، مَنًّا من الله عز وجل على أمير المؤمنين بما خصه به ؛ وصنعا له فيما وفقه لطلبه ، وكرامة زادها فيما أجرى على يده . فالحمد لله كثيرا كما هو أهله ، ويرغب إلى الله فى تمام نِعَمِه ودوام صنعه ، وسعة (٢٥٧ ا) ما عنده بمنّه ولطفه .

ولا يعلم أمير المؤمنين – مع كثرة أعداء المسلمين وتَكنُّفِهم إياه من أقطاره ، والضغائن التى فى قلوبهم على أهله ، وما يترصدونه من العداوة ، وينطوون عليه من المكايدة ، إذ كان هو الظاهرَعليهم ، والآخذ منهم – عدوًّا كان أعظم بلية ، ولا أَجَلَّ خَطْباً ، ولا أشد طلبا [3] ولا أبلغ مكايدة ، ولا أرمى بمكروه ، من هؤلاء

(١) في صبح الأعشى : وبلّغ له محبّتَه .

(٢) في صبح الأعشى : الخوف

(٣) في صبح الأعشى: ولا أشد كلباً .

الـكفرة الذين يغزوهم المسلمون ، فيستعلون عليهم ، ويضعون أيـديَهم حيث شاءوا منهم ، ولا يقبـلون لهم صلحـاً ، ولا يميلون معهم إلى موادعة ، وإن كانت لهم على طول الأَيام وتصرف الحالات وبعض ما لا يزال يكون من فترات وُلاة الثغور أَدنى دولة من دولات الظفر وخُلْسةً من خُلس الحرب ، كان مالهم [1] من خوف العاقبـة فى ذلك مُنَغِّصاً لما تعجّلوا من سروره ، وما يتوقعون [من] الدوائر بَعْدُ تـكدُّرا [2] لما وصل إليهم من فرحة .

فأَما اللعين بابَك وكفرته ، فإنهم كانوا يَغْزُون أَكثر مما يُغْزَوْنَ ، وينالون أكثر مما يُنال منهم ، وهم المنحرفون عن الموادعة ، المتوحِّشون عن المراسلة ، ومَنْ أُديلوا من تتـابـع الدول ، ولم يتجافوا [3] عاقبة تدركهم ، ولادائرة تدور عليهم ، وكان مما وطّأَ ذلك ومـكنه لهم أنهم قوم ابتدءُوا أَمرهم على حالٍ تشاغـلٍ من السلطان ، وتتابع من الفتن ، واضطراب من الحبل ، فاستقبلوا أَمرهم بِعزّة من أَنفسهم ، وضعف واستشارة [4] ممن باراهم ، فأَجْلوا من

(١) في صبح الأعشى : كان بمالهم . . .

(٢) في صبح الأعشى : مكدرا لما وصل . . . .

(٣) في صبح الأعشى : ولم يخافوا

(٤) في صبح الاعشى : واستثارة

حولهم لتخلص البلاد لهم ، [ثم أخربوا البلاد] ليعزّ مطلبُهم وتشتد المؤونة وتعظم الكُلْفة ، ويَقْوَوْا فى ذات أيديهم ، فلم يتواف[1] إليهم قواد السلطان إلا وقد توافت إليهم القوة من كل جانب ، فاستفحل أمرهم ، وعظمت شوكتهم ، واشتدت ضراوتهم ، واستجمع لهم كيدهم ، وكثر عددهم واعتدادهم ، وتمكنت المصيبة [2] فى صدور الناس منهم ، وتحقق فى نفوسهم أن كل ما يَعِدُهم الكافر ويمنّيهم أخذٌ باليد (٢٥٧ ب) [وكان الذى بقى عندهم منه كالذى مضى ، وبدون هذا ما يُخْتَدَع الأريب] ويُستزل العاقل ويُعتقل الفطن ، فكيف من لا فكرةَ له ، ولا رويةَ عنده ؟

هذا مع كل ما يقوم فى قلوبهم من حسد أهل النِّعم ومنافستهم على ما فى أيديهم ، وتَقَطُّعهم حسرات فى إثر ما خُصُّوا به ، وأنهم إلا يكونوا يرون أنفسهم أحق بذلك ، فإنهم يرون أنفسهم فيه سواء .

ولم يزل أمير المؤمنين قبل أن تُفْضِىَ إليه الخلافة

(١) في الأصل : فلم يتواق . . .

(٢) في صبح الأعشى : وتمكنت الهيبة . . . .

مادًّا عنقه ، موجِّها همته إلى أن يولِّيه الله أمر هؤلاء الكفرة ويملكه حربهم ، ويجعله المقارع [1] لهم عن دينه والمناجز لهم عن حقه ، فلم يكن يألو فى ذلك حرصا وطلبا واحتفالا [2] ، فكان أمير المؤمنين رضى الله عنه يأبى ذلك لضنِّه به ، وصيانته بقربه ، مع الأمر الذى أعده الله وآثره به ، ورأى أن شيئا لايَفِى بِقِوام الدين وصلاح الأمر .

فلما أفضى الله إلى أمير المؤمنين بخلافته ، وأطلق الأمر فى يده ، لم يكن شىء أحبَّ إليه ولا آخَذَ بقلبه من المعاجلة للكافر وكفرته ، فأعزه الله وأعانه الله ، فلله الحمد على ذلك وتيسُّره ، فأعد من أمواله أحصرها [3] ، ومن قواد جيشه أعلمهم بالحرب وأنهضهم بالمعضلات ، ومن أوليائه وأبناء دعوته ودعوة آبائه ـ صلوات الله عليهم ـ أحسنهم طاعة ، وأشدهم نكاية ، وأكثرهم عدة ، ثم أتبع الأموال بالأموال ، والرجال بالرجال ، من خاصة مواليه وعدد غلمانه ، وقبل ذلك ما اتَّكَلَ عليه من صنع

(١) في الأصل : القارع .

(٢) في صبح الأعشى : حرصا وطلبا واحتيالا .

(٣) في صبح الأعشى : فأعد من أمواله أخطرها .

الله جل وعز ، ووجَّه إليــه من رغبتــه [1] فـكيف رأى الـكافرُ اللعينُ وأَصحابُه المــلاعينُ ؟ أَلم يُـكـذب اللهُ ظنونَهم ، ويَشْفِ صدور أَوليائه منهم ، فقتلوهم كيف شاءوا فى كل موطن ومعترك ، ما دامت عند أَنفسهم مقاومة .

فلمــا ونوا وقلوا [2] وكرهوا الموت ، صاروا لا يتراءَوْن إلا فى رؤوس الجبال ومضايق الطرق وخلف الأَودية ومن وراءِ الأَنهار ، وحيث لا تنالهم الخيل ، حبا للمطاولة [3] وانتظارا للدوائر ، فكادهم الله عند ذلك وهو خير (٢٥٨ ا) الكائدين ، واستدرجهم حتى جمعهم إلى حصنهم معتصمين فيه عند أَنفسهم ، فجعلوا اعتصامهم لِحَيْنٍ لهم ، وصنع لأَوليائه وإحاطة منه به تبارك وتعالى ، فجمعهم وحصرهم كى لا تبقى منهم بقية ، ولا يُترجى لهم عاقبة ، ولا يكونَ الدين إلا لله ، ولا العاقبة إلا لأَوليائه ، ولا التَّعْس والنَّكْس إلا لمن خذله .

فلما حَصرهم الله تعالى وحبسهم [4] ودانتْهم مصارعُهم ،

---

(١) فى صبح الأعشى : ووجه إليه من رعيته .

(٢) فى صبح الأعشى : فلما زاوا وقلوا .

(٣) فى صبح الأعشى : حصنا للمطاولة . . .

(٤) فى صبح الأعشى : وحبسهم عليهم .

سلطهم الله عليهم كَيَدٍ واحدة ، يختطفونهم بسيوفهم ، وينتظمونهم برماحهم ، فلا يجدون ملجأً ولا مهربا ، ثم أمكنهم من أَهاليهم وأولادهم ونسائهم وخدمهم[1] وصير الدار دارهم والمَحِلَّة مَحِلَّتَهم ، والأَموال قَسْماً بينهم ، والأَهل إماء وعبيدا لهم ، وفوق ذلك كله ما فعل بهؤلاء وأَعطاهم من الرحمة والثواب ، وما أَعد لأُولئك من الخزى والعقاب ؛ وصار الكافر بابك لا فى من قُتل فيسلم من ذل الغلبة ، ولا فيمن نجا فعاين فى الحياة بعضَ العوَض ، ولا فيمن أُصيب فيشتغل بنفسه عن المصيبة بما سواه ، ولكنه سبحانه وتعالى أَطلقه وسَدّ مذاهبه ، وتركه مُلَدَّدًا بين الذل والخوف ، والغصَّة والحسرة ، حتى إذا ذاق طعمَ ذلك كله وفهمه ، وعرف بموقع المصيبة ، وظن مع ذلك كله أنه على طريق من النجاة ، فأَضرب اللهُ وجَهه ، وأَعمى بصره ، وسد سبيله ، وأَخذ بسمعه وبصره ، وحازه إلى من لا يرقّ له ، ولا يرثى لمصرعه ، فامتثل ما أَمر به الأَفْشِين (حيدر بن طاووس) مولى أَمير المؤمنين فى أَمره فبثَّ له الحبائل ، ووضع عليه الأَرصاد ، ونصب له

(١) في صبح الأعشى : وحرمهم

الأشراك حتى أظفره الله به أسيره ذليلا مُوثَقاً فى الحديد ، يراه فى تلك الحالة من كاد يراه ربًّا ، ويرى الدائرةَ عليه مَنْ كان يظنُّ أنها ستكون له .

فالحمد لله الذى أعز دينه ، وأظهر حجته ، ونصر أولياءه وأهلك أعداءه ، حمدا يُقْضَى به الحق وتتم به النعمة ، (٢٥٨ ب) وتتصل به الزيادة .

والحمدُ لله الذى فتح على أمير المؤمنين وحقّق ظنه وأنجح سعيه ، وحاز له هذا الفتح وذُخره وشرفه ، وجعله خالصا لتمامه ، وكمله بأكمل الصُّنع وأحسن الكفاية ، ولم ير يوما [1] فيه يقذى عينه ، ولا خلا من سرور يراه ، وبشارة تَتجدَّد له عنه ، فما يدرى أميرُ المؤمنين ما مُتِّع فيه من الأمل ، أو ما خُتِم له من الظفر ، فالحمد لله أولا ، والحمد لله على عطاياه التى لا تُحصى ، ونعمه التى لا تنسى [2] .

المذهب الثانى

فيما يكتب عن الخلفاءِ من الكتب أن يفتتح الكتاب بلفظ : من فلان إلى فلان .

---

(١) في صبح الأعشى : ولم ير بؤسا فيه ما يقذى عينه .

(٢) زاد في صبح الأعشى بعده : « إن شاء الله تعالى » .

والأصل فى ذلك أن معظم كتب النبى صلى الله عليه وسلم الصادرة عنه كانت على هذا النمط .

كما كتب[1] عنه صلى الله عليه وسلم إلى هرقل ملك الروم : من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتّبع الهدى .

أما بعد فإنى أدعوك بدعاية الإسلام ، أَسْلِمْ تَسْلَم ، أَسْلِمْ يُؤْتك اللهُ أَجرَك مرتَين ، فإن تولَّيت فإنّ عليك إثْمَ الأَرِيسِيِّين و﴿ يا أَهْلَ الكتابِ تَعَالَوْا إلَىَ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إلاَّ اللهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ فَإنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[2] .

وكان أبو بكر رضى الله عنه فى خلافته يُكتَب عنه : من أبى بكر خليفة رسول الله ، ثم الباقى من نِسْبَةِ ما يُكتب عن النبى صلى الله عليه وسلم .

ثم كُتب عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى أول

---

(١) صبح الأعشى جـ ٦ ص ٣٧٦

(٢) سورة آل عمران الآية ٦٤

خلافته : من عمر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلى أن لُقّب بأَمير المؤمنين فكتب (٢٥٩ ا) من عِمر أمير المؤمنين ، فلزمها مَن بعده من الخلفاء إلى أن كانت خلافة المأمون ، فزاد بعد التحميد : وأَسأَله أَن يصلى على محمد عبده ورسوله ، فتبعه من بعده مِن الخلفاء على ذلك ، ثم يؤتى بالبعدية ويدعى للخليفة مثل : أَطال الله بقاءك ، ونحوه ، ثم يؤتى على المقصود ، وكان صلى الله عليه وسلم يكتب فى كتبه إلى أَصحابه بعدَ مِنْ محمد رسول الله : سلامٌ عليك فإنى أَحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو .

وهذه نسخة كتاب كُتب به عن أَبى بكر الصديق [١] رضى الله عنه الى أَهل الردة حين ارتدوا عن الإسلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى :

من أَبى بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى من بَلَغَهُ كتابى هذا من عامَّة وخاصة ، أَقام على الإسلام أَو رجع عنه :

سلام على من اتبع الهدى ، ولم يرجع بعد الهدى إلى الضلالة والعَمَى ، فإنى أَحمد إليكم الله الذى لا

(١) صبح الأعشى حـ ٦ ص ٣٨٤

إلّه إلا هو ، وأشهد أن لا إلّه إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله ، وأقر بما جاء به [وأُكَفِّرُ مَنْ أَبَى وأُجاهده] [1] .

أما بعد ، فإن الله أرسل محمدا بالحق من عنده إلى خلقه بشيرا ونذيرا ، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا ، ﴿ لينذر من كان حيًّا ويَحِقَّ القول على الكافرين ﴾ [2] يهدى الله للحق من أجاب إليه ، وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بإذنه من أدبر عنه ، حتى صار إلى الإسلام طوعا وكرها ، ثم توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد نَفَّذَ لأمر الله ، ونصح لأمته ، وقضى الذى عليه ، وكان الله قد بين له ذلك ولأهل الإسلام فى الكتاب الذى أنزله فقال : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ [3] وقال ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الخالِدُون ﴾ [4] وقال للمؤمنين : ﴿ وما مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ (٢٥٩ ب) قَبْلِه الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ومَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى

(١) الزيادة في صبح الأعشى نقلا عن «العبر» أما أصله فلا توجد فيه .
(٢) سورة يس الآية ٧٠
(٣) سورة الزمر الآية ٣٠
(٤) سورة الأنبياء الآية ٣٤

عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِى اللهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ [1] فمن كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات . ومن كان يعبد الله وحده لا شريك له فإن الله بالمرصاد . حى قيوم لا يموت ولا تأخذه سنة ولا نوم ، حافظ لأمره ، منتقم من عدوه بجزبه . وإنى أوصيكم بتقوى الله وحظكم ونصيبكم من الله . وما جاء به نبيكم . وأن تهتدوا بهديه . وأن تعتصموا بدين الله . فإنه من لم يهده الله ضل . ومن لم يعافه مبتلى . وكل من لم ينصره مخذول . فمن هداه الله كان مهديا ، ومن أضله كان ضالاً : ﴿ مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِداً ﴾ [2] ولم يُقبل منه فى الدنيا عمل حتى يُقِرَّ به ، ولم يقبل له فى الآخرة صرف ولا عدل .

وقد بَلَغَنِى رجوعُ من رجع منكم عن دينه بعد أن أقر بالإسلام وعمل به ، اغترارا بالله وجهالة بأمره ، وإجابة للشيطان . وقال الله جل ثناؤه : ﴿ وإِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاّ إِبْلِيسَ كانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٤٤

(٢) سورة الكهف الآية ١٧

عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وذُرِّيَّتَهُ أَوْلِياءَ مِنْ دُونى وهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظّالِمينَ بَدَلاً ﴾[1] . وقال : ﴿ إنَّ الشَّيطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إنَّما يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ ، وإنى أنفذتُ إليكم فلانا فى جيش من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان ، وأمرته ألاّ يُعاجِلَ أحدا ولا يقتله[3] حتى يدعوه إلى ما عند الله[4] . فمن استجاب له وأقر وكفَّ وعمل صالحا قَبِلَ منه وأعانه عليه . ومن أَبى أمرتُه أن يقاتلَه على ذلك ، ولا يُبْقِيَ على أحد منهم قَدَرَ عليه . وأن يُحَرِّقَهم بالنيران ، ويقتلهم كل قِتْلة ، ويَسْبى النساء والذَّرارى ، ولا يقبل من أحد إلا الإسلام ، فمن آمن فهو خير له . ومن تركه فلن يُعْجِزَ الله ، وقد أمرتُ رسولى أن يقرأ كتابى فى كل مجمع لكم ، والداعيةُ الأَذانُ ، (٢٦٠ ا) فإن أَذَّن المسلمون فأَذَّنوا كُفُّوا عنهم ، وإن لم يُؤَذِّنوا سَلُوهم[5] عمّا عليهم ، فإن أبوا عاجلوهم ، وإن أَقرُّوا قَبِلَ منهم وحملهم على ما ينبغى لهم .

---

(١) سورة الكهف الآية ٥٠

(٢) سورة فاطر الآية ٦

(٣) فى صبح الأعشى : وألا يقاتل أحدا ولا يقتله .

(٤) فى صبح الأعشى : حتى يدعوه إلى داعية الله .

(٥) زاد محققو صبح الأعشى نقلا عن الطبرى : وإن لم يؤذنوا [عاجلوهم وإن أذنوا] سلوهم.

وهذه نسخة كتاب[1]

كتب به عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى عمرو بن العاص وقد بلغه فاشيةُ مال فشت له وهو يومئذ أمير مصر وهى :

من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عمرو بن العاص ، سلام عليك .

أما بعد فإنه قد بلغنى أنه فشتْ لك فاشيةٌ من خيل وإبل وبقر وعبيد ، وعهدى بك قبل ذلك ولا مال لك ، فاكتُبْ إلىَّ من أين أَصلُ هذا المال .

وهذه نسخة كتاب من ذلك[2]

كتب به عبد الملك بن مروان إلى الحجاج بن يوسف وقد بلغه أنه تعرض لأنس بن مالك رضى الله عنه وهى :

من عبد الله عبدالملك بن مروان إلى الحجاج بن يوسف : أما بعد فإنك عَبْد قد علت بك الأمور فطغيت ، وعلوت فيها حتى جُزت حدّ قدرك ، وعَدَوْت طَوْرك ، وايمُ اللهِ

(١) صبح الأعشى حـ ٦ ص ٣٨٦

(٢) صبح الأعشى حـ ٦ ص ٣٨٩

لأَغْمِزَنَّك كبعض غَمَزَات الليوثِ الثعالِبَ ، ولأَركُضَنَّكَ ركضة تدخل منها فى وَجْعَاء أُمِّك ، اذكر مكاسب آبائك فى الطائف ، إذ كانوا ينقلون الحجارة على أعناقهم ، ويحفرون الآبار والمَنَاهر بأَيديهم ، قد نسيت ما كنت عليه أنت وآباؤك من الدَّناءة واللُّؤم والضَّراعـة ، وقد بلغ أميرَ المؤمنين من استطالتك على[1] أنس بن مالك ، جُرْأَةً منك على أمير المؤمنين ، وغِرَّة بمعرفةِ غِيَرِه ونَقِمَاته وسَطَواته على من خالف سبيله وعمد إلى غير محجَّته ، ونزل عند سخطه[2] وأظنك أردت أن تَرُوزَه بهـا فتعلم ما عنده (٢٦٠ ب) من التغيير والتنكير فيها ، فإن سُوِّغْتَهـا نَصَبْت[3] قُدُما ، وإن غُصِّصْتَها[4] ولَّيت دُبرا ، أَيها العبد الأَخفش العينين ، الأَصكُّ الرِّجلين ، الممسوح الجاعِرَتين ، ولن يخفى على أَمير المسلمين[5] نبوُك ، و ﴿ لكل نَبإٍ مُسْتَقَرٌّ وسوفَ تعلمون ﴾[6]

---

(١) في صبح الأعشى : من استطالة منك .

(٢) في صبح الأعشى : عند سخطته .

(٣) في صبح الأعشى : مضيت قدما .

(٤) في صبح الأعشى : غصصت بها .

(٥) كذا هي في الأصل وفي صبح الأعشى : : عن أمير المؤمنين .

(٦) سورة الأنعام الآية ٦٧

وهذه نسخة كتاب على هذه الطريقة [1]

كتب به أبو إسحاق الصابى عن الطائع إلى صمصام الدولة بن عضد الدولة بن بويه ، عند قبضه على كردويه الكردى ، شاكرا همته فى ذلك ، فى ربيع الأول سنة خمس وسبعين وثلاثمائة ، وهى :

من عبد الله عبد الكريم الإمام الطائع لله أمير المؤمنين إلى صمصام الدولة وشمس الملة أبى كاليجار ابن عضد الدولة وتاج الملة مولى أمير المؤمنين .

سلام عليك ، فإن أمير المؤمنين يحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، ويسأله أن يصلى على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم .

أما بعد – أطال الله بقاءك – فإن أمير المؤمنين وإن كان قد بوأك المنزلة العليا ، وأنالك من أُثْرَتِه الغاية القصوى ، وجعل لك ما كان لأبيك عضد الدولة وتاج الملة رحمة الله عليه من القَدْرِ والمحلّ ، والموضع الأرفع الأَجَلّ ، فإنه يوجب لك عند ذلك [2] أثرا يكون لك فى الخدمة ،

---

(1) صبح الأعشى حـ ٦ ص ٣٩٦

(2) فى صبح الأعشى : فإنه يوجب لك عند بذلك . . . .

ومَقاما حميدا [1] تَقُومه فى حماية البَيْضة ، إنعاما بتظاهُرِه ، وإكراما بتتابعه وتواترِه [2] ،والله يؤيدك من توفيقه وتسديده ، ويمدك بمعونته وتأْييده ، ويَخير لأَمير المؤمنين فيما رأْيه مستمر عليه من مَزيدك وتمكينك ، والإبقاء بك وتعظيمك ، وما توفيق أَمير المؤمنين إلا بالله عليه يتوكل وإليه يُنيب .

وقد عرفْتَ - أَدام الله عزك - ما كان من أَمر كردويه كافر نعمة أَمير المؤمنين ونعمتك ، وجاحد صنعه وصنيعك ، فى الوثبة التى وثبها ، والكبيرة التى ارتكبها ، وتقديره [3] (١٢٦١) أَن ينتهز الفرصة التى لم يمكنه الله منها ، بل كان [من] وراء [ذلك] دفعه ورده عنها ، ومعاجلتك إياه الحرب التى أَصلاه الله نارها ، وأَتبعه عارها وشنارها ، حتى انهزم والأَوغاد الذين شركوه فى إثارة الفتنة على أَقبح أَحوال الذلة والقِلّة ، بعد القتل الذريع ، والإثخان الوجيع .

فالحمد لله على هذه النعمة التى جلَّ موقعها ، وبان على الخاصة والعامة أَثرها ، ولزم أَمير المؤمنين خصوصا

---

(١) فى صبح الأعشى : ومقاماً حمده تقومه . . . .

(٢) فى صبح الأعشى : إنعاما يظاهره ، وإكراما يتابعه ويواتره .

(٣) فى صبح الأعشى : وتقريره .

والمسلمين عموما نشرُها ، والحديث بها ، وهو المسئول عن إقامتها وإدامتها برحمته .

وقد رأى أمير المؤمنين أن يجازيك عن هذا الفتح العظيم ، والمقام المجيد الكريم ، بخلع تامة ، ودابتين ومركبين ذهبا من مراكبه ، وسيف وطوق وسوار مرصع ، فتلقَّ ذلك بالشكر عليه والاعتداد بنعمته فيه ، والبس خِلع أمير المؤمنين وتكرِمته ، وسر من بابه على حملاته ، وأظهر ما حباك به لأهل حضرته ، ليُعِزَّ الله بذلك وليّه ووليك ، ويذل عدوّه وعدّوك [إن شاء الله تعالى] والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

وعلى نحو من هذه الطريقة [1]

كُتب عن الإمام المستكفى بالله أبى الربيع سليمان بن الحاكم بأمر الله ثانى خلفاء بنى العباس بالديار المصرية إلى الملك المؤيد هزبر الدين داود بن الملك المظفر يوسف صاحب اليمن من ملوك بنى رَسول فى الدولة الناصرية محمد ابن قلاوون فى سنة سبع وسبعمائة حين منع صاحب اليمن

(١) صبح الأعشى حـ ٦ ص ٢١؛

الهدية التى جرت العادة بحملها من ملوك اليمن إلى ملوك الديار المصرية ، يهدده فيه ، ويطلبه بالقيام معه فى المساعدة له على التتار بمال يبعث به إليه ، مصدرا بآية من القرآن متبعا للتصدير بخطبة ، وهى : ﴿ يَأَيُّها الَّذِينَ آمنُوا أَطِيعُوا اللهَ (٢٦١ ب) وأَطِيعُوا الرَّسُولَ وأُولِى الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [١] .

من عبد الله ووليه أبى الربيع سليمان .

أما بعـدَ حَمْدِ الله مانح القلوب السليمة هداها ، ومرشدِ العقول إلى أَمر مَعادها ومَبْداها ، وموفِّقِ من اختاره إلى محجة صواب لا يضل سالكها ، ولا تُظْلِمُ عند اختلاف الأُمور العظام مسالكُها ، وملهم من اصطفاه لابتغاء[٢] آثار السنن النبوية ، والعمـل بموجبات القواعد الشرعية ، والانتظام فى سلك من طوّقتْه الخلافة عقودَها ، وأفاضت على سُدّته الجليلة بُرُودَها ، وملّكَتْه أَقاصِىَ البلاد ، وأَناطته[٣] بأَحكامه السديدة أُمورَ العباد ، وسارت تحت خوافق[٤] أَعلامه أَعلام الملوك والأَكاسرة ، وشُيِّدت بأَحكامه مناجح الدنيا

(١) سورة النساء الآية ٥٩

(٢) في صبح الأعشى : وملهم من اصطفاه لاقتفاء . . . .

(٣) في صبح الأعشى : وأناطت بأحكامه . . . .

(٤) في الأصل : خواص .

ومصالح الآخرة ، وتبختر كل منبر من ذكره فى ثوب من السيادة مُعْلَم ، وتهللت من ألقابه الشريفة أسارير كل دينار ودرهم .

يحمده أمير المؤمنين على أن جعل أُمور الخلافة ببنى العباس منوطة ، وجعلها كلمة باقية فى عَقِبه إلى يوم القيامة مَحوطة . ويصلى على ابن عمه محمد الذى أخمد الله بمبعثه ما ثار من الفتن ، وأطفأ برسالته ما اضطرم من نار الإِحنِ ،صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين حموا حمى الخلافة وذادوا عن مواردها ، وعمدوا إلى تشييد[1] المعالم الدينية فأقاموها على قواعدها ، صلاةً دائمة الغُدُوِّ والرواح ، متصلا أوَّلُها بطرة الليل وآخرها بجبين الصباح ، هذا وإن الدين الذى فرض الله على الكافة الانضمام إلى شَعبه ، وأَطْلَعَ فيه شموس هداية تشرق من مشرقه ولا تغرب فى غربه ، جعل الله حكمه بأمرنا منوطا ، وفى سِلْك أحكامنا مخروطا ، وقلدنا من أمر الخلافة المعظمة سيفا طال نِجاده ، وكثر أعوانه وأنجاده ، وفوض إلينا أمر الممالك الإسلامية فإلى حرمنا تُجْبَى ثمراتُها ، ويرجع[2] إلى ديواننا العزيز

(١) في صبح الأعشى : وعمدوا إلى تمهيد المعالم . . . .
(٢) في صبح الأعشى : ويرفع إلى ديواننا العزيز . . . . .

(٢٦٢ ا) نفيُها وإثباتها ، يخلف الأَسد فى غابه إن مضى شبله ، ويُلْفَىَ فى الخُبْرِ والخَبَرِ مثلُه .

ولما أَفاض اللهُ تعالى علينا حُلَّةَ الخلافة ، وجعل محلنا الشريف محل الرحمة والرافة ، وأَقعدنا على سُدّة خلافة طالما أَشرقت بالخلائف من آبائنا ، وابتهجت بالسادة الغطاريف من أَسلافنا ، وأَلبسنا خلعة من سواد السؤدد مصبوغة ، ومن سواد العيون وسويداء القلوب مصوغة ، أَمضينا على سدتنا الشريفة أَمر الخاص والعام ، وقلّدنا كل إقليم من أَعمالنا من يصلح لسياسته على الدوام ، واستكفينا بالكُفاة من عمالنا على أَعمالنا ، واتخذنا مصر دار مُقامنا ، وبها سُدَّة مقامنا ، لماكانت فى هذا العصر قبةَ الإِسلام وفيئة الإمام ، وثانية دار السلام ، تعين علينا أَن نتصفح جرائد أَعمالنا ، ونتأَمل نظام عمالنا ، مكانا مكانا ، وزمانا زمانا ، فتصفحناها فوجدنا قطر اليمن خاليا من ولايتنا فى هذا الزمن ، عرّفنا هذا الأَمر من اتخذناه للممالك الإِسلامية عينا وقلبا ، وصدرا ولُباً ، وفوضنا إليه أَمر الممالك الإِسلامية فقام فيها مقاما أَقعد الأَضداد ، وأَحسن فى ترتيب ممالكها نهاية الإِصدار وغاية الإِيراد ، وهو السلطان الأَجَلّ ، السيد

الملك الناصر المبجل ، لازالت أسباب المصالح على يديه جارية ، وسحابة الإحسان من أُفق راحته سارية ، فلم يُعِدْ جوابا لما ذكرناه ، ولا عذرا عما أبديناه ، إلا بتجهيز شرذمة من جحافله المشهورة ، وتعيين أُناس من فوارسه المذكورة ، يقتحمون الأهوال ، ولا يعبأُون بتغييرات الأحوال ، يرون الموت مغنما إن صادفوه ، وشَبا المُرهف مكتسبا إن صافحوه ، لا يشربون سوى الدماءِ مدامة[1] ، ولا يلبسون غير السرابيل[2] عِمامة ، ولا يعرفون طربا إلا ما أصدره صليل الحسام من (٢٦٢ ب) غِنا ، ولا ينزلون قفرا إلا ونبت ساعة نزولهم من قَنا . ولما وثقنا منه بإنفاذهم راجعنا رأينا الشريف ، فاقتضى أن يكاتب مَن بسطَ يده فى ممالكها ، واحتاط على جميع مسالكها ، واتخذ أهلها خَوَلا ، وأبدى فى خلال ديارها من عدم سياسة خللا ، برز مرسومنا الشريف النبوى أن يكاتب من قعد على تخت مملكتها ، وتصرف فى جميع أُمور دولتها ، فطولع بأنه ولد السلطان الملك المظفر يوسف بن عمر الذى له شبهة تمسك بأذيال المواقف المستعصمية ، وهو مستصحب الحال على زعمه ،

(١) في صبح الأعشى : لا يشربون سوى المدام مدامة (والمدام : المطر الدائم) .

(٢) في صبح الأعشى : ولا يلبسون غير الترائك عمامة .

أَوَ ما علم الفرق بين الأَحياء والأَموات ؟ أَوَ ما تحقق الحال التى بين النفى والإثبات؟ ، أصدرناها إلى الرحاب التعزيّة ، والمعالم اليمنية ، تشعر من تولى عنها فاستبدّ ، وتولَّى كِبره فلم يعرج على أحد ، أَن أَمر اليمن ما برحت نوابنا تحكم فيه بالولاية الصحيحة [1] ، والتفويضات التى هى غير جريحة ، وما زالت تحمل إلى بيت المـال المعمور ما تمشى به الجمال رويدا [2] ، وتقذفه بطون الجوارى إلى ظهور اليعملات وليدا ، ويطالعنا بـأَمر مصالحه ومفاسده ، وبحال دياره ومعاهده ، ولك أُسوة بوالدك فلان ، هلا اقتفيت ما سنه من آثاره ، ونقلت ما دونته أَيدى الزمن من أَخباره .

واتصل بمواقفنا الشريفة أُمور صدرت منك .

منها ــ وهى العظمى التى ترتب عليها ما ترتب ــ قطع الميرة عن البيت الحرام ، وقد علمت أَنه واد غير ذى زرع ، ولا يحل لأَحد أَن يتطرق إليه بمنع .

ومنها انصبابك إلى تفريغ مال بيت المال فى شِرَى [3]

(١) في صبح الأعشى : تحكم فيه بالآية الصحيحة .

(٢) في صبح الأعشى : تمشى به الجمال مشيا وئيدا .

(٣) في صبح الأعشى : في شراء لهو الحديث . . .

لهو الحديث ، ونقض العهود القديمة بما تبديه من حديث .

ومنها تعطيل أَجياد المنابر من عقود اسمنا ، وخلوّ تلك الأَماكن من أُمور عقدنا وحلنا ، ولو أَوضحنا لك ما اتصل بنا من أمرك لطال ، ولاتسعت فيه دائرة المقال ، (٢٦٣ ا) رسمْنا بها والسيف يود لو سبق القلمَ حَدُّه ، والعلَمُ المنصور يود لو فات العلم واهتز بتلك الروابى قَدُّه ، والكتائب المنصورة تختار لو بَدَرَتْ عنوانَ الكتاب ، وأَهل العزم والحزم يودون إليك إعمال الرِّكاب ، والجوارى المنشآت قد تكونت من ليل ونهار ، وبرزت كَصُوَرِ الأَفيلة لكنها على وجه الماءِ كالأَطيار ، وما عمدنا إلى مكاتبتك إلا للإنذار ، ولا احتجنا إلى مخاطبتك إلا للإعذار ، فأَقلع عما أَنت بصدده من الخيلاءِ والإعجاب ، وانتظم فى سلك من استخلفناه فأَخذ بيمينه ما أُعطى من كتاب ، وصُنْ بالطاعة من زعمتَ أَنهم مقيمون تحت لواءِ عَلَمك ، ومنتظمون فى سلك أَوامر كَلِمِك ، وداخلون تحت طاعة قلمك ، فلسنا نشنّ الغارات على من نطق بالشهادتين لسانُه وقلبُه ، وامتثل أَوامرَ الله المطاعةَ عقلُه ولبُّه ، ودان بما يجب من الديانة ، وتقلّد عقود الصلاح والْتَحَف مطارفَ الأَمانة ، ولسنا ممن

يأمر بتجريد سيف إلا على من علمنا أنه خرج عن طاعتنا ، ورفض كتاب الله ونزع عن مبايعتنا ، فأصدرنا مرسومنا هـذا إليه يقص عليه من أنبـاء حلمنا ما أطال مدة دولته ، وشيّد قواعد صولته ، ونستدعى منه رسولا إلى مواقفنا الشريفة ، ورحاب ممالكنا المُنيفة ، لينوب عنه فى قبول الولاية مَنابَ نفسه ، ولْيجْنِ بعد ذلك ثمار شفقاتنا إن غَرَسَ شجرَ طاعتها - وَمِن سعادة المرءِ أن يجنى ثمار غرسه - بعد أن يُصحبه من ذخائر الأَموال ما كَثُرَ قيمةً وخَفَّ حَمْلا ، وتعالى رتبةً وحسن مِثْلاً ، واشْرُط على نفسك فى كل سنة قطيعة ترفعها إلى بيت المال ، وإياك ثم إياك أن تكون عن هذا الأَمر ممن مال ، ورتِّبْ جيشا مقيما تحت علم السلطان الأَجل الملك الناصر للقاء العدو المخذول التتار ، أَلحق الله أَولَهم بالهلاك وآخرهم بالبوار ، وقد علمتَ (٢٦٣ ب) تفاصيلَ أَحوالهم المشهورة ، وتواريخ سيرهم المذكورة ، فاحرص على أَن يَخُصَّك من هذا المشرب السائغ أَوْفَرُ نصيب ، وأَن تكون ممن جهَّز جيشا فى سبيل الله فرمى بسهم فله أَجرٌ مُصيباً كان أَو غيرَ مُصيب ، ليعود رسولُك من دار الخلافة بتقاليدها وتشاريفها حاملا أَعلامنا [1]

(١) في صبح الأعشى : حاملا أهلة أعلامنا .

المنصورة ، شاكرا بِرَّ مواقفنا المبرورة ، وإن آلَ حالك إلى[1] أن استمرَّيْتَ على غيِّك ، واسْتَمْرَيْت مرعى بَغْيك ، فقد منعناك التصرف فى البلاد ، والنظر فى أَحكام العباد ، حتى تَطأَ خيلُنا العتاق مُشْمَخِرَّاتِ حُصونك ، وتُعجِّل حينئذ ساعةَ مَنُونِك ، وما أَعلمناك غيرَ ما عَلِمه قَلْبُك ، ولا فَهَّمناك غير ما حَدَسَه لُبُّك ، ولا تكن كالصغير يَزيده كثرةُ التحريك نَوْما ، ولا ممن غَرَّه الإمهال يوما فيوما . أَعلمناك ذلك فاعمل بمقتضاه ، موفقا إن شاء الله تعالى .

وعلى نحو من هذه الطريقة فى الابتداء

كان يكتب عن الإمام المستعين بالله أَبى الفضل العباس ابن المتوكل على الله حين استقلّ بالخلافة والسلطنة ، مع زيادة فى أَلقاب الخليفة ، وإثبات أَلقاب المكتوب إليه التى يُكتَب إليه بها فى المكاتبات السلطانية . فكان يكتب عنه لمن رتبته المَقَرُّ الكريم : من عبد الله ووليّه الإمامِ المستعين بالله أَبى الفضل أَمير المؤمنين ، وإمام المسلمين ، وخليفة رب العالمين ، المُفْتَرَضِ طاعتهُ على سائر الخلائق أَجمعين ، أَعزَّ الله ببقائه الدين ، وأَمتع به الإسلام

(١) فى صبح الأعشى : وإن أبى حالك إلا أن .

والمسلمين ، إلى المَقَرِّ الكريم ، أَو : إلى الجناب الكريم ، أَو الجناب العالى ، أَو : المجلس العالى ، أَو : المجلس السامى أَو : مجلس الأَمير ، بالأَلقاب التى يُكتب بها عن السلطان من ديوان الإِنشاء الآن ، وكذلك فى سائر الرتب .

(٢٦٤ ا) المذهب الثالث

مما يكتب عن الخلفاء أَن يفتح الكتاب بخطبة ، ثم يؤتى بِبَعْدِيَّة

و [1] ، منها إلى مقصد الكتاب .

وعلى ذلك كُتِب عن الإِمام الحاكم بأَمر الله

أَبى العباس أَحمد بن المستكفى بالله أَبى الربيع سليمان إلى السلطان الملك الناصر أَحمد بن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون مُسْتَدْعًى من الكَرَك إلى الديار المصرية لتقليده السلطنة ، بعد خلع أَخيه الأَشرف كُجُك بن الناصر محمد بن قلاوون ، وإمساك الأَمير قُوصُون ومن معه من الأُمراء ، من إنشاء المَقَرِّ الشهابى بن فضل الله تغمده الله برحمته .

---

(١) هنا فراغ صغير لعله أيضا : و [يخلص] منها .

وهذه نسخته[1] مصدرة بآية من القرآن

﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلاَ هُدًى وَلاَ كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴾[2]

فالحمدُ لله الذى أسبغ نِعمه الظاهرة والباطنة ، وألف قلوب أوليائه المُتَّفقة والمُتباينة . وأخذ بنواصى أعدائه الكاذبة المائنة[3] ، وأعلى جَدَّ هذه الدولة القاهرة ، وأطلع فى أسنَّة العوالى نُجومَها الزاهرة ، وحرَّك لها العزائم فملكتْ والأُمورُ — بحمد الله — ساكنة . والبلاد واطنةٌ للهِ آمنة[4] ، والرعايا فى مَظانِّها[5] قاطنة . والسيوف فى أغمادها مثل النيران فى قلوب حُسَّادها كامنة ، وأقام أهلَ الطاعة بالفرض ، واستوفى منهم القَرْض[6] ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لله الَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا (٢٦٤ ب) الأَرْضَ ﴾[7] وأعز أنصار المقام

---

(١) صبح الأعشى حـ ٦ ص ٤٢٦

(٢) سورة لقمان الآية ٢٠

(٣) في صبح الأعشى . أعدائه المراجعة والبائنة .

(٤) في صبح الأعشى : والبلاد — والمِنَّة لله — آمنة . وهو أحسن

(٥) في صبح الأعشى : في مكانها .

(٦) في صبح الأعشى : واستوفي بهم القرض .

(٧) سورة الزمر الآية ٧٤

العالى وأعز نصره ، وأعد لعدوه حصره ، وأتى بدولته الغراء تسمو شموسُها ، وتثمر غُروسُها [وتظهر فى حلل الصباح المشرق عروسها] [1] وتجىء منه بخير راع للرعية يسوسها ، وبشره بالملك والدوام ، [وسره بما اجتمع له من طاعة الأنام . وأقدمه على كرسى مُلْكِه تُظلِّه الغمام] [2] وأراه يوم أعدائه وكان لا يظن أن يرى فى المنام ، ولا يزال مؤيد الهمم ، مؤكد الذِّمَم ، مجدد البيعة على رقاب الأُمم ، ولا برحت أيامه المقبلة مقبلة بالنعم ، خضر الأَكناف على رغم من كاد وغيظ من رَغِم ، ولا فتئت عهود سلفه الشريفة تُنشأُ له كما كانت ، ورعاياه تَدين له بما دانت ، وجنوده تفديه من النفوس بأَعز ما ذخرت وما صانت ، وسعادة سلطانه تكشف الغُمم ، وتنشر الرِّمم [3] ، وتعيد إلى أُنوف أَهل الأَنَفة الشَّمم ، وتحفظ على ما بقى [4] لأَوليائه من بياض الوجوه وسواد اللِّمَم .

سَطَّرها وأَصدرها وقد حُقِّقت بعوائد الله الظنون ،

(١) الزيادة من صبح الأعشى .

(٢) الزيادة من صبح الأعشى .

(٣) في صبح الأعشى وتنشر الذمم .

(٤) في صبح الأعشى : وتحفظ مابقى

وصَدّقت الخواطرَ العيون ، وأنجز الله وعده ، وأتم سعده ، وجمع على مقامه الكريم قلوب أوليائه ، وفَرّقَ فِرَقَ عدوه بإجابة ندائه [1] ، ووطّد لرقيه المنابر ، ورجّل لتلقيه [2] العساكر ، وهيّأ لمقاتل أعدائه فى أيدى أوليائه السيوف البواتر ، وأخفق [3] قوصون وأُمسك ، ونُهب ماله واستهلك ، وهدمت أبنيته ، وخُرِّبت دياره ، وقلعت آثاره ، وأُخليت خزائنه ، [وأُخرجت من بطون الأرض دفائنه ، وما منعت عنه تلك الربائب] [4] التى ظنها قساور ، ولا ناضلت تلك القسى التى طبعها أساور ، ولا أغنى عنه ذلك المال الذى ذهب ، ولا ذلك الجوهر الذى كان عَرَضا لمن نهب ، وأُعيد إلى المهد ذلك الطفل الذى أكل الدنيا باسمه ، وقهر أبناءها بحكمه ، وموه به على الناس ، وأخلى له الغاب وما خرج من الكِناس ، وغالب به الغَلَب حتى وطىء الرقاب ، وداس الأعقاب ، وخادع ودَلّهُ الشيطان بغروره ، ودلس عليه عاقبة أموره ، فاعْتَدَّ بعتاده ، واغترّ بعناده [5] واغتر بأن الأرض

---

(١) فى صبح الأعشى : وأباته بدائه .

(٢) فى صبح الأعشى : ورجّل لترقيه العساكر

(٣) فى صبح الأعشى وأخذ توصون ....

(٤) الزيادة من صبح الأعشى .

(٥) فى صبح الأعشى : واعتز بقياده .

له وما علم أن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده ، فأمسك ومعه رؤوس من أشياعه ، وحصِرت بالخوف (٢٦٥ ا) نفوس أتباعه ، ومنهم الطنبغا ، وقد أحاط به العِلم الشريف بكيفية وصوله وحقيقة الخبر ، وما قاساه فى طريقه من العِبرَ ، وداس عليه حتى وصل من وخز الإبر ، وكذلك من جاء معه ، وخلّف وراءه الحق وتبعه ، بعد الهزيمة التى ألجأهم إليها خوف العساكر المنصورة التى قعدت لهم على الطريق ، وأخذت عليهم بمدارج أنفاسهم فى فم المضيق ، وعُبئت لهم صفوف الرجال ، وأعدت لهم حتوف الآجال ، وحيرتهم فى سعة الفجاج ، وأرتهم بوارق الموت فى سحب العَجاج ، ثم لم يصلوا إلا وهم أشلاء ممزقة ، وأعضاء مفرقة ، قد فنى تحتهم الظهر ، وفنى[1] بيومهم الدهر ، وساقتهم سعادة سلطان المقام العالى إلى شقاوتهم وهم رقود ، وعُبئت لهم الخيل والخلع إلا أنها ملابس الذل وهى القيود ، فأُخذوا جميعا هم ومن كانوا على موالاته ، وفارقوا الجماعة لمواتاته ، وحُملوا إلى المجلس[2] النائى المكان ، وأُودعوا أحياء فى ملحدة إلا أنهم

(١) فى صبح الأعشى : وفنى بيومهم الدهر .

(٢) فى صبح الأعشى : وحملو إلى الحبس النائى . . .

كالأَموات ، وقد فاتوا [1] المقصد إلا أَنهم ما أَمنوا الفوات ، ووكِّل بحفظهم إلى أَن يُشَرَّف سرير الملك بقعود مقامه وعقود أَيامه الحوالى ، وسعود زمانه التى أَزهرت بطلوعهـا الليالى [2] .

وهذا النصر إنما تهيأَت — ولله الحمد — أَسبابه ، وهذا الفتح إنما فتحت بمشيئة الله أَبوابه ، بِمِنَّة الله تعالى ونية المقام العالى لا بمنة أَحد ، ولا بشدة بأْس من أَقر[3] ، ولا يأْس من جحد [4] ، وما قضى الله تعالى به من سعادة هذه الأَيام . ومضى به القدر السابق وعلى الله التمام ، وبمظافرة الجَناب الكريم السيفى ، قطلوبغا الفخرى الساقى الناصرى ، أَدام الله نصرته بهذه العصابة المؤيدة ، وبمضاء عزائمه التى ما ونت ، وقضاء قواضبه التى ما انثنت ، وبمؤازرة من التفَّ عليه من أَكابر الأُمراء ، وبما أَجمعوا عليه من مظافرة الآراء ، ونزولهم على التيه لا يضر بهم من خذلهم [5] ، ولا يهينهم من بذلهم ، ولا يبالون (٢٦٥ ب) بعساكر دمشق المقيمة

(١) في صبح الأعشى : وقد نالوا المقصد . . .
(٢) في صبح الأعشى : وسعود زمانه الذى لا يحتم بالنجوم إلا خدم الليالى .
(٣) في صبح الأعشى : ولا بمنة بأس من أقدر .
(٤) في صبح الأعشى : ولا يأس من حجر .
(٥) في الأعشى : على النية لايضرهم

على حلب ومن مال إليهم ، وتمالأ معهم عليهم ، ومن انضاف إليهم من جنود البلاد ، وجيوش العناد ، ولا لواهم ما كان يَبْعَثُ إليهم ذلك الخائنُ من وعيده ، ولا ولاّهم ما كاد يخطف أبصارهم من تهديده ، ولا بَالَوْا بما تألب[1] به عليهم جند الشام من كل أوب ، وصب عليهم سيوله من كل صوب ، وخادعهم بالرسائل التى ما تزيدهم عليه إلا إباء ، ولا تشككهم أن السيف أصدق منه إنباء ، حتى ولّى لا تنفعه الخدع ، ولا تنصره البدع ، فما أسعدته تلك الجموع التى جمعها ، ولا أجابته تلك الخيول [2] التى سار عليها إلى مكمن أجله ، ولا وَقَتْهُ تلك السيوف التى لم يظهر له من بوارقها إلاحمرة خجله ، حتى أُخذ مع طاغيته بل طاغوته بمصر ذلك الأَخذَ الوبيل ، وقُذف به إلى مهوى هلكه سَيْلُ ذلك السبيل ، وقام من بالديار المصرية قيام رجل واحد ، وتظافروا على إزالة ذلك الكافر النعمة الجاحد ، ولم يبق من الأُمراءِ إلا من بذل الجهد ، وجمع قلوب الرعية والجند ، وفعل فى الخدمة الشريفة مالم يكن منه بد ، حتى حُمِد الأَمر ، وخَمد الجمر ، وتواترت الكتب بما عمت به

(١) في صبح الأعشى : ولا بالوا بما ألب عليهم من جند . . . .

(٢) في صبح الأعشى : الجنود

البشرى ، من إقامة البيعة باسمه الكريم ، وأنه لم يبق إلا من أعطى اليمين وأُعطِى الثمين[1] ، وأتم الحَلِفَ إتماما لا يغادر معه يمين[2] ، وأُقيمت له السّكّة والخطبة ورفع على المنابر اسمه وتهلل به وجه النقود ، وظهر على أسارير الوجود ، وضُرِبت البشائر ، وَنَهبتِ المسرَّاتُ السرائر ، وتشوقت أولياء هذه الدولة القاهرة ــ أدام الله سلطانها ــ إلى حضور ملكها ، وسُفُور الصباح لإذهاب ما أبقته عقائب[3] تلك الليلة من حَلَكِها ، والمقام العالى ما يزداد عِلْما ، ولا يُزاد عزما ، وهو أدرى بما فى التأخير ، وبما فى بعده من الضرر (٢٦٦ ا) الكثير ، ومثله لا يُعلَّم ، ومنه يُتَعلَّم ، فهو أعلم بما يجب من مسابقة قدومه للبشير ، وما يتعين من معاجلته لامتطاء جواديه ظهر الحصان[4] وبطن السرير ، فالله الله . فى تعجيل حفظ هذا السوام المشرَّد ، وضم هذا الشمل المشتت ونظم هذا العقد المبدد ، وجمع كلمة الإسلام التى طالما افترقت ، وانتجاع عارض هذه النعمة

---

(١) في صبح الأعشى وأنه لم يبق منهم إلا من أعْطَى اليمين وأعْطي اليمين .

(٢) في صبح الأعشى : لا يقدر معه ثمين .

(٣) في صبح الأعشى : عقابيل تلك الليلة .....

(٤) في صبح الأعشى : وما سيعن من معالجته لامتطاء جواديه ظهر الحمال ....

التى أبرقت ، وسرعة المسير فإن صبيحة اليوم المبارك الذى يُعرف من أوله قد أشرقت ، فما بقى ما به يعتذر[1] ، ولا سوى مقدمه السعيد ينتظر .

وقد كتبناها ويدنا ممدودة لمبايعته ، وقلوب الخلق [كلها] مستعدة لمتابعته ، وكرسى الملك قد أُزلف إليه مقعده ، ومؤمّل الظَّفَر قد أُنْجز له مَوْعِدُه ، والدهرُ مطاوعه والزمان مُسْعِده ، وطوائف أوليائه ليوم لقائه ترصده ، [والعهد له قد كُتب] ولواء الملك عليه قد نُصب ، والمنبر باسمه عليه قد خُطب ، والدينار والدرهم هذا وهذا له قد ضُرب ، ولم يبق إلا أن يَقْترب ، وترى العيونُ منه ما تَرتقب ، ويجلس على السرير ، ويُزْمِع المُبشِّر ويَعزم على المسير ، وتتزين الأقاليم ، ويتبين لتسيير شهابه ما كان يقرأ له فى التقاديم[2] . لازال جيب ملكه على الأقطار مزرورا ، وذيل فخاره على السماء مجرورا ، وجَدُّ وَلِيِّه مُقبلا[3] وقلبه مسرورا ، ومقدمه يحوز له من إرث آبائه نعما جمة ومُلكا كبيرا ، إن شاء الله تعالى .

(١) فى صبح الأعشى : فما بقى ما به يقتدر .

(٢) فى صبح الأعشى : التقاويم .

(٣) فى صبح الأعشى : وحبل وليه متصلا .

المذهب الرابع

مما يكتب به عن الخلفاء أن يفتتح الكتاب بالسلام ، بأن يُكتب : سلام الله تعالى ورحمته وبركاته يَخُصُّ : المَقَرَّ الكريم ، أو : الجناب الكريم ، أو غير ذلك من الألقاب (٢٦٦ ب) التى يكتب بها عن السلطان ، ويُؤتى على تلك الألقاب إلى آخرها ، ثم يقال : ويُبدى لعلمه ، أو : يوضح لعلمه ، على حسب ما تقتضيه تلك المكاتبة فى السلطانيات .

وعلى ذلك كانت كُتب الإمام المتوكل على الله أبى عبد الله محمد بن الإمام المعتضد بالله أبى الفتح أبى بكر بن المستكفى بالله أبى الربيع سليمان وولده الإمام المستعين بالله فى أول ولايته ، ولم يكن فيه من المكاتبات الجليلة ما يُدَوَّن فأذكره .

وأما الكتب الصادرة عن ولاة العهد بالخلافة

فقد قال أبو جعفر النحاس فى كتابه « صناعة الكتاب » بعد أن ذكر أن صورة ما يكتب به عن الخليفة : من عبدالله أبى فلانٍ فلانٍ الإمام الفلانىِّ إلى فلانٍ ، أتبع ذلك

بأَن قال : وليس أَحد من الرؤساء يكاتب عنه بالتصدير إلاّ الإمام وولى العهد ، ولم يزد على ذلك .

والتصدير على ما فسّره ابن حاجب النعمان فى كتابه « ذخيرة الكتاب » ، هو : من عبد الله أَبى فلانٍ فلانٍ إلى آخره على ما تقدم ، وقد قال النحّاس فى الكلام على العنوان : إنه يُحذفُ من الكتاب عن ولى العهد لفظُ أَمير المؤمنين ، ويقال فيه : ولى العهد ، ومقتضى ذلك أَن المكاتبة عن ولى العهد كالمكاتبة عن الخليفة إلاَّ أَنه لا يقال فيه : ولىُّ العهد الإمامُ ، ويقام لفظُ ولىّ العهد فيه مُقام أَمير المؤمنين .

فيكتب فيه : من عبدالله ابن فلانٍ فلانٍ الواثق بالله مثلا — ولىِّ عهد المسلمين ، سلامٌ عليك فإنى أَحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، وأَسأَله أَن يُصلى على محمد عبده ورسوله ، أَما بعد ، فإن كذا ، ويُؤتى على المقصد إلى آخر الكتاب ، على نحو ما تقدم فى الكتابة عن الخليفة .

تنبيه : قد تقدم عن محمد بن عمر المدائنى أَنه كان يُكتب عن الخلفاء للإمراء فى قرطاس نصف طومار وللعمال والكتاب فى قرطاس من ثلث طومار ، وللتجار وأَشباههم

فى قرطاس من ربع طومار ، وللحُسَّاب والمُسَّاح فى قرطاس من سدس طومار ، وتقدم بيان أن المراد بالطومار قطع البغدادى الكامل .

أَما الذى استقر عليه الحال فيما يكتب به عن خلفاء بنى العباس بالديار المصرية إلى ملوكها فقد ذكر صاحب « الدر الملتقط » ، عن المقرّ الشهابى بن فضل الله أنه كتب الكتاب الصادر عن الإمام الحاكم بأَمر الله أَبى العباس أحمد بن المستكفى بالله أَبى الربيع سليمان إلى الملك الناصر أَحمد بن الناصر محمد بن قلاوون عند استدعائه للسلطنة من الكرك على ما تقدم ذكره فى هـذا الفصل ، كُتب فى قطع البغدادى الكامل ، فايجْرِ الأَمر على ذلك .

(٢٦٧ ا) الفصل الثانى

من الباب السادس

فى الكتب الصادرة عن الملوك ومن فى معناهم إلى الخلفاء وولاة العهد بالخلافة .

أما الكتب الصادرة إلى الخلفاء

فللكاتب فيها [(١)] ستة أساليب

الأُسلوب الأَول وهو أَقدمها اصطلاحا أَن يفتتح الكتاب بلفظ : لفلان من فلان ، ثم يصدر بالسلام والتحميدِ وسؤالِ الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم يقال : أما بعد ، فإن كذا ، ويختم بالسلام ونحوه ، على نحو ما تقدم فى المكاتبات عن الخلفاء ، لا يختلف ذلك فى شىء إلاَّ فى تقديم اسم المكتوب إليه على المكتوب عنه .

والأَصل فى ذلك أَن الصحابة رضى الله عنهم كانوا يكتبون فى غالب كتبهم إلى النبى صلى الله عليه وسلم : لمحمد رسول الله .

---

(١) فى الأصل : فيه .

كمـــا كتب [1] إليه خالدُ بنُ الوليد رضى الله عنه بإسلام بنى الحارث بن كعب حين وجَّهه إليهم :

لمحمد النبى صلى الله عليه وسلم [رسول الله] من خالد ابن الوليد .

السلام عليك يارسول الله ورحمة الله وبركاته ، فإنى أَحمد إليك اللهَ الذى لا إله إلا هو .

أَما بعد يارسول الله ، صلَّى الله عليك ، فإنك بعثتنى إلى بنى الحارث بن كعب ، وأَمرتنى إذا أَتيتهم أَن لا أُقاتلهم ثلاثة أَيام ، وأَن أَدعوهم إلى الإسلام ، فإن أَسلموا قبلتُ منهم وعلَّمتهم مَعَالِم (٢٦٧ ب) الإسلام ثلاثة أَيام وكتاب الله وسنَّة نبيِّه ، وإن لم يسلموا قاتلتهم ، وإنى قدِمْتُ إليهم فدعوتهم إلى الإسلام ثلاثة أَيام ، كما أَمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعثت فيهم رُكْبانا : [2] يا بنى الحارث أَسلِموا تَسْلَموا ، فأَسلَمُوا ولم يقاتلوا ، وأَنا مقيم بين أَظْهُرِهم ، آمرهم بما أَمرهم الله به ، وأَنهاهم عما نهاهم

(١) صبح الأعشى حـ ٦ ص ٤٦٥

(٢) في صبح الأعشى : « كتابا » وبالهامش نقلا عن « مفتاح الأفكار » ص٦٦ : وبعثت فيهم ركبانا قالوا : يابنى الحارث .

الله عنه ، وأُعلمهم مَعَالم الإِسلام ، وسُنَّة النبى ، حتى يَكتب إلَىَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، والسلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته .

وعلى نحو من ذلك كتب إليه صلى الله عليه وسلم النجاشىُّ ملكُ الحبشة والمُقوقس صاحب مصر أَيضا فى رواية ذكرها ابنُ عبد الحكم ، وقد ذكرت كتابيهما فى « صبح الأَعشى فى كتابة الإِنشا » [1] .

ثم لما كانت خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ولُقِّب أَمير المؤمنين ، وزاد فى أَول كتبه الصادرة عنه لفظ عبد الله ، قبل اسمه ، فكان يكتب : من عبد الله عمر أَمير المؤمنين ، على ما تقدم ذكره فى المكاتبات الصادرة عن الخلفاء ، اعتمدُوا مثل ذلك فى المكاتبة إليه أَيضا .

كما كتب[2] عمرو بن العاص لأَمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى جواب الكتاب الوارد من أَمير المؤمنين عليه يذكر فيه بأَنه بلغه فاشيةُ مالٍ فشتْ له .

---

(١) انظر الجزء السادس ص٤٦٦ ، ٤٦٧ من صبح الأعشى .

(٢) صبح الأعشى جـ ٦ ص ٤٧٧

لعبد الله عمر أمير المؤمنين . سلام عليك ، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو .

أما بعد ، فإنه أتانى كتاب أمير المؤمنين يذكر فيه فاشيةَ مالٍ فشَتْ لى ، وأنه يَعْرِفنى قبل ذلك ولا مال لى ، وإنى أُعلم أميرَ المؤمنين أنى ببلدٍ السِّعرُ فيه رخيص ، وأنى أُعالج من الزراعة ما يعالجه الناس ، وفى رزق (٢٦٨ ا) أمير المؤمنين سعة ، واللهِ لو رأيت خيانتك حلالا ما خُنتك .

فى كلام آخر [١] . وجرى الناس بعد ذلك على هذا الأُسلوب فى الدولة الأَموية وأول الدولة العباسية .

كما كتب الحجاج بن يوسف إلى عبد الملك بن مروان [٢]

فى جواب كتابه إليه بتوبيخه له بسبب تعرُّضه لأَنس بن مالك رضى الله عنه ، على ما تقدم ذكره :

لعبد الله عبد الملك أمير المؤمنين ، فإنى أَحمد [٣] إليه الله الذى لا إله إلا هو .

---

(١) بعده في صبح الأعشى : فأقصر أيها الرجل فإن لنا أحسابا هى خير من العمل لك إن رجعنا إليها عشنا بها . ولعمرى إن عندك من لا يذم معيشة ولا تذم له ، فإن كان ذلك فلم يفتح قفلك ولم يشركك في عملك .

(٢) صبح الأعشى ح ٦ ص ٤٧٨

(٣) جملة « فإنى أحمد . . . . . أما بعد أصلح الله » ساقطة من صبح الأعشى .

أما بعد أصلح الله أمير المؤمنين وأبقاه ، وشلا حظه [1] وحاطه ولا أعدمناه ، فقد وصلني كتاب أمير المؤمنين أطال الله بَقَاه ، وجعلني من كل مكروه فِداه ، يذكر شتمي وتوبيخي بِآبائي ، وتعْييري بما كان قبل نزول النعمة بي من عند أمير المؤمنين ، أَتمَّ الله نعمته عليه وإحسانه إليه ، ويذكر أميرُ المؤمنين استطالةً منّي على أنس بن مالك ، وأميرُ المؤمنين أحقُّ من أَقال عَثْرتي ، وعفا عن ذنبي ، وأمهلني ولم يُعْجِلني عند هفوتي ، للذي جُبِل عليه من كريم طباعه ، وما قلَّده اللهُ من أُمور عباده ، فرأْيُ أَمير المؤمنين أَصلحه الله في تسكين رُوعِي وإفراج كُربتي ، فقد مُلِئت رعبا وفَرَقا من سَطواته ، وقحمات نِقْماته ، وأَميرُ المؤمنين - أقاله اللهُ العثراتِ ، وتجاوز له عن السيئات ، وضاعف له الحسنات ، وأَعلى له الدرجات - أَحقُّ من صفح وعفا وتغمَّد وأَبقى ، ولم يُشمِت بي عَدُوًّا مُكِبًّا ، ولا حسودا مُضِبًّا ، ولم يُجَرِّعْني غُصصا ، والذي وصفَ أَميرُ المؤمنين من صَنيعته إليّ ، وتقويمه [2] بما أَسند من عمله إليَّ ، وأَوطأَني رقاب رعيَّته ، فصادقٌ فيه مَجْزِيٌّ عليه

(١) في الأصل : وسلا بحظه وفي صبح الأعشى : وسهل حظه . هذا : وشلاه رفعه .
(٢) في صبح الأعشى . وتنويهه بما أسند .

بالشكر . والتوسُّلُ منى إليه بالوِلاية ، والتقرُّب له بالكِفاية ، (٢٦٨ ب) وقد حضعت عند كتاب أَمير المؤمنين ، فإن رأى ـ طوّقنى الله شكره ، وأعاننى على تأْدية حقه ، وبلّغنى إلىَّ ما فيه موافقة مرضاته ، ومدَّ فى أَجله ـ أن يأْمر بالكتاب إلى من رضاه ، وسلامة صدره . ما يُؤَمِّننى به من سفك دمى ، ويردُّ ما شَرَدَ من نومى ، ويَطمئنُّ به قلبى ، فعل ، فقد وَرد عَلَىَّ أَمرٌ جليل خَطْبُهُ ، عظيم أَمْره ، شديد كَرْبُه ، أَسأَل الله أَن لا يسخط أَمير المؤمنين علىَّ ، وأَن يُنيله فى حزمه وعزمه ، وسياسته وفراسته، ومواليه وحشمه ، وعمَّاله وصنائعه . ما يُحْمَدُ به حسنُ رأْيه ، إنه ولىّ أَمير المؤمنين ، والذابُّ عن سلطانه ، والصانعُ له فى أَمره ، والسلام .

ولما زاد المأْمون فى الكتب الصادرة عنه بعد التحميد : وأَسأَله أَن يصلِّى على محمد عبده ورسوله ، أُلحقت فى الكتب المكتوبة إلى الخليفة أَيضا ، ويؤتى بعد البَعْدِيَّة بالدعاءِ للخليفة بما يناسبه من طول البقاءِ ونحوه .

والذى[1] استقرّ عليه الحال بعد ذلك فى الدولة العباسية فى العراق على ماذكره قُدامة فى كتاب « الخراج » أن يُكتب :

---

(١) انظر صبح الأعشى ج ٦ ص ٤٨١

لعبدِ الله فلانٍ أَبى فلانٍ ــ باسمه وكنيته ونَعْته ، ثم يقال : ــ أَميرِ المؤمنين ، سلامٌ على أَمير المؤمنين ، فإِنى أَحمد إليه الله الذى لا إله إلا هو ، وأَسأَله أَن يصلى على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم .

أَمّا بعدُ ، أَطال الله بقاء أَمير المؤمنين ، وأَدام عزه وتأْييده . وكَرامته وحِراسته ، وأَتمَّ نعمته عليه ، وزاد فى إحسانه إليه ، وفَضْلِه عنده ، وجميلِ بَلائه لديه ، وجزيل عطائه له .

قال فى « صناعة الكتاب » ثم يقال : أَما بعد ، فإن كذا وكذا ، حتى يأْتى على المعانى التى يحتاج إليها ، وتكون المكاتبة : وقد فعل عبدُ أَمير المؤمنين كذا [فإذا زادت حاله لم يقل عبد أَمير المؤمنين] فإذا بلغ إلى الدعاءِ ترك فضاءً وكتب : أَتم الله على أَمير المؤمنين نعمته ، وهنَّأَه كرامَته[1] ، وأَلبسه عفوه وعافيته[2] ، وأَمْنه وسلامته (١٢٦٩) والسلام على أَمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته . واعلم أَنه إن كان الكتاب فى معنى حدوث نعمة من فتح أَو غيره أَتى بعد البعدية

(١) فى صبح الأعشى : نعمته وهناءه وكرامته .

(٢) فى الأصل : وعاقبته .

بخطبة مفتتحة بالحمد ، وربما زيد على ذلك إلى ثلاث تحميدات ، ويكون خطاب الخليفة : بأمير المؤمنين ، وتعبير المكتوب عنه عن نفسه بلفظ الإفراد ، ويختم الكتاب بالإنهاء وما فى معناه .

وهذه نسخة [1] كتاب كتب به أبو إسحاق الصابى

عن عز الدولة بن معز الدولة بن بويه الديلمى ، إلى المطيع لله عند وصوله الموصل وانهزام أبى تغلب بن حمدان عنها فى سنة ثلاث وستين وثلاثمائة يوضح لك هذه الطريقة ويبين سبلها . وهو

لعبد الله الفضل [الإمام] [2] المطيع لله أمير المؤمنين ، من عبده وصنيعته عز الدولة بن معز الدولة مولى أمير المؤمنين ، سلام على أمير المؤمنين ورحمة الله فإنى أحمد إلى أمير المؤمنين اللهَ الذى لا إلٓه إلا هو ، وأسأله أن يصلى على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

---

(١) صبح الأعشى حـ ٦ ص ٤٨٢

(٢) الزيادة من صبح الأعشى نقلا عن مختارات الصابى .

أما بعد أطال الله بقاء أمير المؤمنين وأدام له العز والتأييد والتوفيق والتسديد ، والعلو والقدرة ، والظهور والنصرة .
والحمد لله العلى العظيم ، الأزلى القديم ، المنفرد بالكبرياء والملكوت ، المتوحد بالعظمة والجبروت ، الذى لا تَحُده الصفات ، ولا تَحُوزه الجهات ، ولا تحصُره قرارة مكان ، ولا يغيره مرور زمان ، ولاتتمثله العيون بنواظرها ، ولا تتخيله القلوب بخواطرها ، فاطر السموات وما تُظِلّ ، وخالق الأرض وما تُقِلّ ، الذى دل بلطيف صنعته ، على جميل[1] حكمته ، وبين بجَلِّى برهانه ، على خفى وحدانيته[2] ، واستغنى بالقدرة عن الأعوان ، واستقلّ بالعزة على الأقران[3] ، البعيد عن كل معادل ومضارع ، الممتنع عن كل مطاول ومقارع ، الدائِم الذى لا يزول ولا يحول ، العادل الذى لا يظلم ولا يجور ، الكريم الذى لا يضن ولا يبخل ، الحليم الذى لا (٢٦٩ ب) يعجل ولا يجهل ، ذلكم الله ربكم ﴿لا إلٓه إلا هو فادعوه مخلصين له الدين﴾[4] ، مُنْزِل الرحمة على كل ولى توكل عليه ، وفوض إليه ، وائتمر

(١) في صبح الأعشى : على جليل حكمته .
(٢) في صبح الأعشى : عن خفى وجدانه .
(٣) في صبح الأعشى : واستعلى بالعزة عن الأقران .
(٤) سورة غافر الآية ٦٥

بأوامره ، وازدجر بزواجره ، ومُحِلّ النقمة بكل عدو صد عن سبيله وَسَنَنِه ، وصدف عن فرائضه وسُنَنِه ، وحاد فى مكسب يده ومسعاة قدمه ، وخائنة عينه وخافية صدره ، وهو راتع رتعةَ النَّعَم السائمة ، فى أكلاء النعم السابغة ، وجاهل جهلها بشكر آلائها ، ذاهــل ذهولها عن طــرق استيفائها ، فلا يَلبث أن يُنْزعَ سرابيلَها صاغرا ، ويُتَعرَّى منها حاسرا ، ويجعل الله كيده فى تضليل ، ويورده شر المورد الوبيل ، إن الله لا يصلح عمــل المفسدين ، ولا يَهدى كيد الخائنين .

والحمد لله الذى اصطفى للنبوة أحق عباده بحمل أعبائها ، وارتداء ردائها ، محمدا صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وعظَّم خَطَرَه وكرم ، فصدع بالرسالة ، وبالغ فى الدلالة ، ودعى إلى الهداية ، ونَجَّى من الغواية ، ونقل الناس عن طاعة الشيطان الرجيم ، إلى طاعة الرحمن الرحيم ، وأعلقهم بحبال خالقهم ورازقهم ، وعصمة محييهم ومميتهم ، بعد انتحال الأكاذيب والأباطيــــل ، واستشعار المحالات والأضاليل ، والتهوّك فى الاعتقادات الذابّة[1] عن النعيم ، إلى

(١) فى صبح الأعشى : الذائدة عن النعيم .

العذاب الأَليم ، فصلى الله عليه مِنْ ناطقٍ بالحق ، ومنقذ للخلق ، وناصح للرب ، ومُؤدٍّ للفرض ، صلاة زاكية نامية ، رائحة غادية ، تزيد على اختلاف الليل والنهار ، وتعاقبِ الأَعوام والأَدوار .

والحمد لله الذى انتخب[1] أَمير المؤمنين [أَطال الله بقاءه] [2] من ذلك السِّنْخِ الشريف ، والعنصر المنيف ، والعترة الثابت أَصلها ، الممتد ظلها ، الطيب جناها ، الممنوع حماها ، وحاز له مواريث آبائه الطاهرين ، صلوات الله عليهم أَجمعين ، واختصه من بينهم بتطاول أَمد الخلافة ، واستحصاف (٢٧٠ ا) حبلها فى يده ، ووفقه لإِصابة الغرض من كل مرمى يرميه ، ومقصد ينتحيه ، وهو — جل ثناؤه — الحقيق بإِتمام ذلك عليه ، والزيادة فيه لديه . وأَحمده سبحانه حمدا أَبتديه ثم أُعيده ، وأُكرره وأَستزيده ، على أَنْ أَهَّلَ ركنَ الدولة أَبا على ، وعضد الدولة أَبا شجاع ، موليا أَمير المؤمنين ، وأَهَّلنى للأُثْرة عنده التى نَدَدْنا فيها الأَكفاء[3] ، وفُتْنَا فيها القُرناء ، وتقطعت دونها أَنفاس

(١) في صبح الأعشى : انتجب أمير المؤمنين .

(٢) الزيادة من صبح الأعشى نقلا عن مختارات الصابى .

(٣) في صبح الأعشى : التى بذذنا فيها الأكفاء .

المنافسين . وتضرمت عليها أحشاء الحاسدين ، وإن أولاني في كل مَغْزًى في خدمة أمير المؤمنين أغزوه ، ومَنْحى أنحوه وثَأْيٍ أرْأبه . وَشَعث أَلُمّه [وعدو أُرغمه] ، وزائغ أُقومه ، أفضل ما أولاه عباده السليمة غُيوبهم . النقية جيوبهم ، المأمونة ضمائرهم . المشحوذة بصائرهم . من تمكين يده . وتثبيت قدمه . ونصرة رأْيه . وإعلاء كلمته . وتقريب بغيته . وإنالة أُمنيته . وكذلك يكون مَنْ إلى ولاء أمير المؤمنين اعتزاؤه . وبشعاره اعتزازه . وعن زناده قدحه . وفي طاعته كدحه . والله وليٌّ [بإدامة] ما خوّلنيه من هذه المنقبة . وسوّغنيه من هذه الموهبة ، وأن يتوحد[1] أمير المؤمنين في جميع خدمه الذابين عن حوزته ، المنتمين إلى دعوته . بيمن الطائر . وسعادة الطالع . ونجاح المطلب ، وإدراك الأَرب . وفي أعدائه الغامطين لنعمته ، الناقضين مواثيق بيعته . بإضراع الخد ، وإتعاس الجد ، وإخفاق الأمل ، وإحباط العمل ، بقدرته .

ولم يزل مولانا أمير المؤمنين [أطال الله بقاءه] [2] ينكر

---

(١) في صبح الأعشى : وأن يتوجه أمير المؤمنين . . . .

(٢) الزيادة في صبح الأعشى عن المختارات .

قديما من فضل الله بن ناصر الدولة أحوالا حقيقا مثلها بالإنكار ، ومستحقا من ارتكبها الإعراض . وأنا أذهب فى حفظ غيبه ، وإجمال محضره . وتمحّل حجته وتلفيقها وتأْليف معاذيره وتنميقها . مذهبى الذى أعمر[1] به كلَّ من جرى [مجراهُ] من ناشئ فى دولته . ومغتذٍ (٢٧٠ ب) بنعمته ، ومنتسب إلى ولايته ، ومشهور بصنيعته ، وأقدر أن أستصلحه لأمير المؤمنين ، [أطال الله بقاءه] وأُصلحه لنفسه بالتوقيف على مسالك الرشاد ، ومناهج السداد ، وهو يرينى أن قد قبل وارعوى ، وأبصر واهتدى ، حتى رغبت إلى أمير المؤمنين فيما شفّعنى متفضلا فيه ، من تقليده أعمال أبيه ، والقناعة منه فى الضمان بميسور بذله ، وإيثاره به على من هو فوقه من كبراءِ إخوته وأهله .

فلما بلغ هذه الحال ، أَلَطَّ بالمال ، وخاس بالعهد ، وطرّق لفسخ العقد ، وأجرى إلى أمورٍ[2] كرهتها ، ونفد الصبر منى عليها ، وخفت أن أستمر على الإغضاء عنها والمسامحة فيها ، فيطلع الله منى على إضاعه الاحتياط فى أمر قلدنى أمير المؤمنين زمامه ، وضمننى دركه ، وإرخاء

(١) فى صبح الأعشى : مذهبى الذى أُعِمُّ به .

(٢) فى صبح الأعشى : إلىّ أموراً

لبب رجل قَبِل فى الاعتماد عليه رأيى ، وعوّل فى أخذه بما يلزمه على نظرى واستيفائى — فتناولته بأطراف العدل مُلَوِّحا ، ثم بأثباجه مفصحا مصرِّحا .

ورسمتُ لعبد أمير المؤمنين الناصح أبى طاهر أن يحل[1] به وبوسطائه وسفرائه فى حال ، ويدخل عليهم من طريق المشورة والرفق فى أُخرى ، وينتقل معه بين الخشونة التى يقفو فيها أثرى ، واللين الذى لا يجوز أن يحسه منى ، تقديرا لانثنائه ، وزوال التوائه ، ففعل ذلك على رسمه فى التأنى لكل فاسد حتى يصلح ، ولكل آبٍ حتى يسمح ، ولم يَدَع التناهى فى وعظه ، والتمادى فى نصحه ، وتعريفه سوء عاقبة اللجاج ، ومغبة الإحراج ، وهو يزيد طمعاً فى الأموال وشرها ، وعَمًى فى الرأى وَعَمها ، إلى أن كاد أمرنا معه يخرج عن حدّ الانتظار ، إلى حدّ الرضى بالإصرار ، فاستأنفت ادِّراعَ الحزم ، وامتطاء العزم ، ونهضت إلى أعمال المَوْصِل وعندى أنه يغنينى عن الإتمام ، ويتلقّانى بالإعتاب وينقاد إلى المراد ، ويتجنّب طرق العناد .

(١) فى صبح الأعشى : أن يُجِدَّ به .

فحين عرف (٢٧١ ا) خبر مَسيرى ، وجِدِّى فيــه وتشميرى ، برز بروز المخالف ، المكاشف ، وتجرَّدَ تجرد المْواقِع المُواقِف ، وهو مع ذاك إذا ازددت منه قربا ازداد منى رعبا ، وإذا دلفت إليه ذراعا ، نكص عنى باعا.

وتوافت إلى حضرتى وجوهُ القبائل من عقيل وشيبان وغيرهما فى الجمع الكثيف من [صعاليكهما ، والعدد الكثير من] صناديدهما ، داخلين فى الطاعة ، متصرِّفين فى عوارض الخدمة .

فلما شارفتُ الحَدِيثةَ انتقضت عزائم صبره ، وتقوضت دعائم أَمره ، وبطلت أَمانيه ووساوسه ، واضمحلت خواطره وهواجسه ، واضطرب عليه من ثقاته وغلمانه من كان بهم يعتضد ، وعليهم يعتمد ، وبدأُوا بخذلانه والأَخذ لنفوسهم ، ومفارقته والطلب لحظوظهم ، وحصل منهم بحضرتى إلى هذه الغاية زهاء خمسمائة رجل ذوى خيل مختارة ، وأَسلحة شاكية ، فصادفوا عندى ما أَمَّلوا من فائض الإِحسان ، وغامر الامتنان ، وذكروا عمن وراءهم من نظرائهم التَّنَزِّىَ إلى الانجذاب ، والحرص على الاستئمان ، وأَنهم يرِدون ولا يتأَخرون ، ويبادرون ولا يتلوَّمون .

ولما رأى ذلك لم يملك نفسه أنْ مضى هاربا على طريق سنجار ، منكشفا عن هذه الديار ، قانعا من تلك الآمال الخائبة ، والظنون الكاذبة ، بسلامة حُشاشة هى رهينة غيِّها ، وصريعة بغيها .

وكان انهزامه بعد أن فعل الفعل السخيف ، وكاد بالكيد الضعيف [1] ، بأن أغرق سفن الموصل وعُرُوبَها [2] ، وأحرق جسرها ، واستذمَّ [3] إلى أهلها ، وتزود منهم اللعن المُطيف به أين يَمَّم ، الكائن معه حيث خيَّم .

ودخلتُها يومى هذا — أيد الله أمير المؤمنين — دخولَ الغانم الظافر ، المستعلى الظاهر ، فسكّنتُ من نفوس سكانها ، وشرحتُ صدور قُطّانها ، وأعلمتهم ما أمرنى به أمير المؤمنين — [أدام الله عزه] ، وأعلى الله أمره — من (٢٧١ ب) تأنيس وحشتهم ، ونظم ألفتهم ، وضمِّ نَشرِهم ، ولمِّ شعثِهم ، وإجمال السيرة فيهم فى ضروب معاملاتهم وعُلَقهم ، وصنوف متصرفاتهم ومعايشهم ، وكثر منهم الثناء

(١) في صبح الأعشى : و كادنا الكيد الضعيف .

(٢) العروب نوع من السفن الرواكد كان في دجلة « هامش صبح الأعشى » .

(٣) استذّم : فعل ما يُلمُّ عليه . « هامش صبح الأعشى » .

والدعاء ، والله سامع مارفعوا ومجيب ما سألوا ، وأجلَتْ حالُ هذا الجاهل —[1] أيد الله أمير المؤمنين — عن أقبح هزيمة ، وأذل هضيمة ، وأسوإ رأْى ، وأنكر إخساء[2] ، لأنه لم يلقنى لقاء الباخع بالطاعة ، المعتذر من سالف التفريط والإضاعة ، ولا لقاء المصدق لدعواه فى الاستقلال بالمقارعة ، المحقق لزعمه فى الثبات للمدافعة ؛ ولا كان فى هذين الأمرين بالبر التقى ، ولا الفاجر الغوِىّ[3] ، بل جمع بين نقيصة شقاشقه وغدره ، وفضيحة جبْنه وخوره ، متنكبا للصلاح ، عادلا عن الصواب ، قد ذهب عنه الرشاد ، وضربت بينه وبينه الأسداد ، وأنزله الله منزلة مثله ممن أساء حفظ الوديعة ، وجوار الصنيعة ، واستوجب نزعهما منه ، وتحويلهما عنه ، وتأملت — أيد الله مولانا أمير المؤمنين — أمره على التجريب ، وتصفحته بالتقليب[4] ، فإذا هو الرجل الذى أطاع أبوه فيه هوى أمه ، وعصى دواعِىَ رأيه وحزمه ، وقدّمه من ولده على من هو آنس

(١) في الأصل : وأجلت حال هذا الحال .

(٢) في صبح الأعشى : وأسوأ رأى ، وأنكر اختيار .

(٣) في الأصل الفاجر القوى .

(٤) في الأصل : أمره بالتجريب ، وتصفحته على التقليب .

رشدا ، وأكبر سنا ، وأثبت جأْشا ، وأَجرأُ جنانا ، وأَشجع قلبا ، وأَوسع صدرا ، وأَجْدَر بمخايل النجابة ، وشمائل اللَّبابة ، فلما اجتمعت له أَسباب القدرة والثروة ، وأَمكنته مناهز الغِرَّة والفرصة ، وثب عليه وثبة السِّرحان ، فى ثلة الضان ، وجزاه جزاء أُم عامر بمجيرها ، إذ فرَته بأَنيابهـا وأَظافرها ، واجتمع وأَخوه من الأُم ، المرتضع معه لبان الإِثم ، المكنى أَبا البركات ـ وليس بأَب لها ، ولا جَرَى [1] لشيء منها ـ على أَن نشَزا عنه وعقَّاه ، وقبضا عليه وأَوثقاه ، وأَقرَّاه من قلعتهما بحيث تُقَرّ العتاة ، وتُعَاقَب الجناة ، ثم أَتبعا ذلك باستحلال دمه ، وإفاضة مهجته ، غير راعييْن [2] فيه حق (٢٧٢ ا) الأُبوة ، ولا حانِيَيْنِ عليه حنو البنوة ، ولا متذمِّمَيْن من الإقدام على مثله ممن تقدمت عند سلطانه قَدَمهُ ، وتوكدت أَواصره وعِصَمهُ ، ولا راحِمَيْن له من ضعف شيخوخته ، ووهل كِبْرِه [3] ولامصغييْن إلى وصية الله إياهما به ، التى نصها فى محكم كتابه ، وكررها فى آيه وبيناته إذ يقول ﴿ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾ [4] وإذ يقول

(١) في صبح الأعشى : ولاحرىّ بشيء

(٢) في الأصل : غير راعين فيه . . . . ولا حانين .

(٣) في صبح الأعشى : وذهل كبرته .

(٤) سورة لقمان الآية ١٤

﴿ وقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إلاّ إيّاهُ وبِالْوالِدَيْنِ إحْسَاناً إمّا يَبْلُغَنَّ عِنْدكَ الكِبَرَ أَحَدُهُما أَوْ كِلاهُمَا فلاَ تَقُلْ لَهُما أُفٍّ ولا تَنْهَرْهُمَا وقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً . وٱخْفِضْ لَهُما جَناحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وقُلْ ربِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيراً ﴾ (١)

فبأَى وجه يلقى الله قاتل والد حدب قد أُمر ألا ينهره ؟ وبأَى لسان ينطق يوم يسأَلُ عما استجازه فيه وفعله ؟ وتالله لو أن بمكانه عدوًّا لهما قد قارضهما الذحُول(٢) ، وقارعهما عن النفوس ، لقبح بهما أَن يَلْؤُما ذلك اللؤمَ عند الظفر به ، وأَن يركبا تلك الخطة الشنعاء فى الأَخذ بناصيته ؛ ولم يرض « فضل الله » بما أَتاه إليه حتى استوفى حدود قطع الرحم ، بأَن تتبع أَكابر إخوته السالكين خلاف سبيله ، المستبرئين إلى الله من عظيم ما اكتسب، ووخيم ما احتقب ، لما غضبوا لأَبيهم ، وامتعضوا من المستحل فيه وفيهم ، فقبض على محمد بن ناصر الدولة حيلة وغيلة ، وغدرا ومكيدة ، ونابذ حمدان بن ناصر الدولة منابذة خار الله له فيها ، بأَن أَصاره من فناء أَمير المؤمنين إلى الجانب العزيز ،

---

(١) سورة الإسراء الآيتان ٢٣ ، ٢٤

(٢) في الأصل : قارصهما الدخول .

والحِرْز الحريز ، وأن أجرى الله على يده الحرب الواقعة بينه وبين المعروف بكنيته أبي البركات ، التي لقّاه الله فيها نحْسَه ، وأتلف نفسه ، وصرعه بعقوقه وبغيه ، وقنّعه بعاره وخزيه ، ومع ذلك لا يتعظ ، ولا ينزع ولا يقلع ولا يزدجر ، إصرارا على الجرائر التي الله عنها حسيبه ، وبها طَلِيبه ، والدنيا والآخرة (٢٧٢ ب) مرصدَتان له بالجزاء المحقوق عليه ، والعقاب المسبوق[1] إليه ، وأعظم من هذا كله — أيد الله أمير المؤمنين — خَطْبا ، وأوعر مسلكا ولَحْبًا ، أنّ من شرائط العهد الذى كان عهد إليه ، والعقد الذى عقد له ، والضمان المخفَّف مبلغه عنه ، المأخوذ عفوه منه أن يتناهى في ضبط الثغور وجهاد الروم ، وحفظ الأطراف ، ورم الأكناف ، فما وَفَى بشيء من ذلك ، بل عدل عنه إلى الاستئثار بالأموال واقتطافهـا ، وإحرازها فى مكامنها وقلاعها ، والضنّ بها دون الإخراج فى وجوهها ، والوضع لها فى حقوقها ، وأن تراخى فى أمرِ عظيم الروم مُهملا ، واطّرَح الفكر فيه مُغفلا ، حتى هجم فى الديار ، وأثّر الآثار ، ونكى القلوب ، وأبكى العيون ، وصدَع الأكباد

(١) في صبح الأعشى : والعقاب المسوق إليه .

وأحرّ الصدور ، فما كان عنده فيه ما يكون عند المسلم القارئ لكتاب الله إذ يقول ﴿ إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وأَمْوالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقاتِلُونَ فِى سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ ويُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى التَّوْراةِ والإِنْجِيلِ والْقُرْآنِ ومَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الّذِى بَايَعْتُمْ بِهِ وذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (١) بل صدف عن ذكر الله لاهيا ، وعدل عن كتابه ساهيا ، واستفسخه ذلك البيع والعقد ، وتنجّزه الوعيد لا الوعد ، ولاطف طاغية الروم وهاداه ، وأماره (٢) وأعطاه ، وصانعه بمال المسلمين الذين يلزمه ، إن سلم دينه وصح يقينه ، أن ينفقه فى مرابضهم (٣) ، ويذب به عن حريمهم ، لا أن يعكسه عن جهته ، ويلفته عن وجهه ، بالنقل إلى عدوهم ، وإدخال الوهن بذلك عليهم ، وقاد إليه من الخيل العِتاق ما هو الآن عون للكفر على الإيمان ، ونجدة للطاغية على السلطان ، وكان فيما أتحفه به الخمر التى حَظرَ الله عليه أن يشربها

(١) سورة التوبة الآية ١١١

(٢) في صبح الأعشى : وماره ، هذا وماره وأماره بمعنى واحد هو تقديم الميرة .

(٣) في صبح الأعشى : أن ينفقه في مرابطهم .

ويستميها ، وتعبّده بأن يجتنبها (٢٧٣ ا) ويجتويها ، وصلبان ذهب صاغها له وتقرب بها إليه تقربا قد باعده الله فيه عن الإصابة والأصالة ، وأدناه من الجهالة والضلالة . حتى كأنه عامل من عماله ، أو بطريق من بطارقته .

فأما فشله عن مكافحته ، ولهجه بملاطفته ، فضد الذى أمره الله به فى قوله تعالى : ﴿ يَأَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الكُفَّارِ ولْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً واعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (١) . وأما ما نقله من الخيل عن ديار المسلمين إلى ديار أعدائهم . فنقيض قوله عز وجل ﴿ وأَعِدُّوا لهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ومِنْ رِباطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وعَدُوَّكُمْ ﴾ (٢) .

وأما إهداؤه الخمر والصلبان . فخلافٌ عليه تبارك اسمه إذ يقول ﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ والْمَيْسِرُ والأَنْصَابُ والأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٣) كل ذلك عنادا لرب العالمين ، وطمسا لأعلام الدين ، وضنًّا بما

(١) سورة التوبة الآية ١٢٣

(٢) سورة الأنفال الآية ٦٠

(٣) سورة المائدة ٩٠

تحامى عليه من ذلك الحطام ، المجموع من الحرام ، المُثمَّـرِ من الآثام ،المقتطع من فئ الإسلام ، [وقد فعل الآن بى وبالعسكر التى معى ومن نضُمّ من أولياء أمير المؤمنين] [1] الذين هم إخوته وصحبه ، إن كان مؤمنا ، وأنصاره وحزبه إن كان موقنا ، من توعير المسالك وتفريق[2] العروب ، وتضييق الأقوات ، واستهلاك الأزواد ، ليوصل إلينا الضر ، ويلحق بنا الجهد ، فِعْلَ العدو المبين ، المخالف فى الدين ، فهل يجتمع فى [أحد من المساوى ـ أيد الله أمير المؤمنين ـ ما اجتمع فى] [3] هذا الناد العائد ، والشاذ الشارد ؟ وهل يُطمع من مثله فى حق يقضيه ، أو فرض يؤديه ، أو عهد يرعاه ، أو ذمام يحفظه ، وهو لله عاص ، ولإمامه مخالف ، ولوالده قاتل ، ولرحمه قاطع ؟ كلا والله ! بل هو الحقيق بأن تثنى إليه الأعنّة ، وتشرع نحوه الأسنة ، وتنصب له الأرصاد ، وتشحذ له السيوف الحداد ، ليقطع الله بها دابره ، ويجبّ غاربه ، ويصرعه مصرع[4] الأثيم المُليم ،المستحق

(١) الزيادة من صبح الأعشى .

(٢) في صبح الأعشى : وتغريق الغروب .

(٣) الزيادة في صبح الأعشى نقلت عن مختارات رسائل الصابى أما في الأصل فساقطة وترك لها فيه فراغ صغير و كذلك كانت غير موجودة في أصول صبح الأعشى .

(٤) في الأصل : ويصرعه المصرع الأثيم .

للعذاب الأليم ، أو يفيء إلى الحق ، إفاءة الداخل فيه بعد (٢٧٣ ب) خروجه ، العائد إليه بعد مروقه ، التائب المنيب ، النازل المستقيل ، فيكون حكمه شبيها بحكم الراجع عن الرِّدَّة ، المحمول على ظاهر الشريعة ، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

والحمد لله الذى هدانا لمراشدنا ، ووقف بنا على السبل المُنجية لنا ، والمقاصد المفضية إلى رضاه ، المُعِيذة [1] من سُطاه .

والحمد لله الذى أعز أمير المؤمنين بالنصر ، وأعطاه لِواء القَهْر ، وجعل أولياءه العالين الطاهرين ، وأعداءه السافلين الهابطين ، وهنَّأه اللهُ هذا الفتحَ ولا أخلاه من أشكال له تقفوه وتَتْبعه ، وأمثال تتلوه وتَشفعه ، وَاصِلاً فيها إلى ما وصل فيه إليه من حيازته مُهَنَّأً ، لم يُسفك فيه دم ، ولم ينْتهك فيه محرم ، ولم يُنَل جَهد ، ولم يَمْسَسْ نَصَب .

أنهيت إلى أمير المؤمنين ذلك ليضيف صنع الله [له] فيه ، إلى السالف من عوارفه عنده وأياديه ، وليجدِّد من

(١) في صبح الأعشى : البعيدة .

شكره جلّ وعلا ما يكون داعيا إلى الإدامة والمزيد ، مقتضيا للعون والتأييد ، إن شاء الله تعالى .

الأسلوب الثانى

مما يكتب به إلى الخلفاء أن يفتتح الكتاب بخطبة مفتتحة بالحمد لله ، وربما كرر الحمد إلى ثلاث ، ويقع ذلك فى الكتب التى تظهر فيها النعمة كالفتوح ونحوها

وهذه نسخة من ذلك[1]

كتب بها العماد الأصفهانى عن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب إلى الإمام الناصر لدين الله بفتح طبريّة وعكّا وما معهما من سواحل الشام ، مصدرة بآية من كتاب الله تعالى ، وهى : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ الصَّالِحُونَ ﴾[2] .

(٢٧٤ ا) الحمد لله على ما أنجز من هذا الوعد ، على نصرة هذا الدين الحنيف من قبل ومن بعد ، وعلى أن أجرى هذه الحسنة التى ما اشتمل على مثلها كرائم

(١) صبح الأعشى ج ٦ ص ٥١٧

(٢) سورة الأنبياء الآية ١٠٥

الصحائف ، ولم يجادَل عن مثلها فى المواقف . فى الأَيام الإمامية الناصرية زادها الله غررا وأَوضاحا ، ووالى البشائر إليها [(١)] بالفتوح غُدُوًّا ورواحا ، ومكن سيوفها فى كل مَازِق ، من كلّ كافر ومارق ، ولا أَخلاها من سِيرة سَرِيَّةٍ تجمع بين مصلحة مخلوق وطاعة خالق ، وأَطال أَيدى أَوليائها لتحمى بالحقيقة حِمَى الحقائق ، وأَنجزها الحقَّ وقذف بها على الباطل الزاهق ، وملكها هوادىَ المغارب ومرامىَ المشارق ، ولا زالت آراؤها فى الظلمات مصابح ، وسيوفها للبلاد مفاتح ، وأَطراف أَسنتها لدماءِ الأَعداءِ نوازح .

والحمد لله الذى نصر [سلطان] الديوان العزيز وأَيده ، وأَظفر جنده الغالب وأَنجده ، وجلا به جلابيب الظلماء وجدد جدده ، وجعل بعد عسر يسرا ، وقد أَحدث الله بعد ذلك أَمرا ، وهون الأَمر الذى ما كان الإِسلام يستطيع عليه صبرا ، وخوطب الدين بقوله ﴿ ولَقَدْ مَنَنّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى ﴾ [(٢)] فالأُولى فى عصر النبي والصحابة ، والأُخرى هذه التى عَتَق فيها من رق الكآبة ، فهو قد أَصبح حُرًّا ،

(١) في صبح الأعشى : ووالى البشائر فيها . . . . .

(٢) سورة طه الآية ٣٧

فالزمان كهيئته استدار ، والحق ببهجته قد استنار .
والكفر رد ما كان عنده من المستعار ، وغُسِل ثوب الليل بما فجّر الفجر منها أنهار النهار ، وأتى الله بنيان الكفر من القواعد ، وشفى غليل صدور المؤمنين برقراق الموارد ذات البوارد[1] ، أنزل ملائكة لم تظهر للعيون اللاحظة ؛ ولم تخف عن القلوب الحافظة ، عَزّتغُزَاةُ الإسلام بِمسوَّميها[2] وترادف نصره بمُرْدَفيها ، وأُخذت القرى وهى ظالمة فترى مترفيهاكأَنْ لم تُرَ[3] فيها ، فكم أقدم بها حيزوم ،وركض فأتبعه (٢٧٤ ب) سحابُ عجاجٍ مَرْكُوم ؛ وضرب فإذا ضربه كتابُ جراحٍ مرقوم ، وإلا فإن الحروب إنما عقدت سجالا ، وإنما جمعت رجالا ، وإنما دعت خفافا وثقالا ، فإما سيوف تقاتل سيوفا ، أو زحوف تقاتل زحوفا ، فيكون حد الحديد بيد مذكرا ويد مؤنثا ، وهو أن السيف فى اليد الموحِّدة ، يغنى بالضربة الموحَّدة ، وفى اليد المثلِّثة لا يُغنى بالضرب مثلَّثا ، وذلك أنه فى فئتين التقتا ، وعدوتين لغير مودة اعتنقتا ، وإن هذه النصرة

(١) في صبح الأعشى : برقراق ماء الموردات البوارد .
(٢) في صبح الأعشى : عزت سيما الاسلام بمسوّمها .
(٣) في صبح الأعشى : فترى مترفيها كأن لم تؤوَ فيها .

إن رويت عن ملائكة الله فما جحدت كراماتهم ، وإن رويت عن البشر فقد عرفت قبلها مقاماتهم . فما كان سيف يتمَيط من جفنه قبل أن ينبه الصريخ . ولا كان ضرب يُطير الهامَ قبل ضرب يراه الناظر ويسمع المُصيخ ، فكم ضربة [1] كأنها هجره الموت وبها التاريخ ، وكم طعنة تخرّ لها هِضاب الحديد وهي [2] شماريخ .

والحمد لله الذي أعاد الإسلام جديدا ثوبه ، حديدا حبله ، مبيضًا نصره . مخضرًّا نصله ، متسعا فضله . مجتمعا شمله . والخادم يشرح من نبإٍ هذا الفتح العظيم ، والنصر الكريم ، ما يشرح صدور المؤمنين ، ويمنح الحبور لكافة المسلمين ، ويكرر البشرى بما أنعم الله به – من يوم الخميس الثالث والعشرين من شهر ربيع الآخر إلى يوم الخميس منسلخه – وتلك سبع ليال وثمانية أيام حُسُوما سخرها الله على الكفار ﴿ فَتَرَى الْقَوْمَ فِيها صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ [3] ورايتها إلى الإسلام ضاحكة كما كانت من الكفر باكية ، فيوم الخميس الأول فتحت

(١) في صبح الأعشى : فكم قرية كأنها . . . . .

(٢) في صبح الأعشى : ولها شماريخ . وفي الأصل وكم طعنة تجر .

(٣) سورة الحاقة الآية ٧

طبرية وفاض رِى النصر من بُحيرتهـا ، ووقفت على جَسْرِها الفرنجُ بقلقها وَحَيْرَتِها[1] ، وفى يوم الجمعة والسبت كُسِر الفرنج الكسرة التى مالهم بعدها قائمة ، وأخذ الله أعداءه بأيدى أوليائه أَخْذَ القرى وهى ظالمة ، وفى الخميس منسلخ الشهر فُتحت عكًّا بالأمان ، وأُقيمت بها أعلام الإيمان ، (٢٧٥ ا) وهى أُم البلاد ، وأُختِ إرم ذات العماد ، وأصبحت كأن لم تَغْنَ بالكفر ولم تفتقر من الإسلام ، إذ بلغ المسلمون من أعدائهم المراد .[2]

وقد أصدر هذه المطالعة وصليب الصَّلبُوت مأْسورٌ ، وقلب ملك الكفر الأَسير جيشُه المكسورُ مكسور ، والحـديد الكافر الذى كان فى يد الكفر يضرب وجه الإسلام ، قد صار حديداً مسلما يفرق خطوات الكفر عن الإقدام ، وأنصار الصلبوت وكباره ، وكـل مَن المعمودية عُمْدته والدير داره ، قد أَحاطت به يد القبضة ، وأُخذ رهنا فلا تقبل فيه القناطير المقنطرة من الذهب والفضة ، وطَبَرِيَّة قد رُفعت أعلام الإسلام عليها ، ونكصت من عَكَّا مِلَّة الكفرِ على عقبيها ، وعُمِّرت إلى أن شهدت يوم الإسلام وهو خير

(١) في صبح الأعشى : وقفت على جسرها الفرنج فقضت نحبها بحيرتها .

(٢) جملة : « إذ بلغ ... » ليست في صبح الأعشى

يوميها ، بل ليس من أيام الكفر يوم فيه خير ، وقد غُسل من بلاد الإسلام بدماءِ الشرك ما كان يتخلّلها فلا ضرر ولا ضَير ، وقد صارت البِيَع مساجدَ [1] بها من آمن بالله واليوم الآخر ، وصارت المناحِر مواقفَ لخطباء المنابر ، واهتزت أَرضها لوقوف المسلمين فيها وطالما ارتجّت لموقف الكافر ، والبأْس الإماميّ الناصريّ قد أَمضى فتكاته على يد الخادم حتى بالدمى [2] فى الكنائس ، وإن عِزَّ أَول الإسلام بِحَطِّ تاج فارس [3] ، فكم حطت سيوفه فى هذا اليوم من تاج فارس .

فأَما القتلى والأُسارَى فإنها تزيد على ثلاثين أَلفا .

وأَما فرسان الداوِيّة [4] والاستبارية فقد أَمضى حكم الله فيهم وقطع بهم سيوف نار الجحيم ، ووصَّل الراحل منهم إلى الشقاء المُقيم ، وقتل بابرنس كافر الكفار [5] [ومشيد النار ، من يده فى الإسلام كما كانت يد الكليم ،] [6]

(١) في صبح الأعشى : مساجدهم بها .
(٢) في صبح الأعشى : قد أمضى مشكاته على يد الخادم حتى بالدّنىّ في الكنائس .
(٣) في صبح الأعشى : بحط تاريخ فارس .
(٤) في صبح الاعشى : و أما فرسان الديوية .
(٥) في صبح الأعشى : وفتك بافرنس كافر الكفار .
(٦) الزيادة من صبح الأعشى .

وعجل بجسده إلى السيف . وبروحه الخبيثة إلى النار[1]
وافترت النصرة عن ثغر عكا بحمد الله الذى يَسَّرَ فتحَها .
وتسلّمنها الملّة الإسلامية بالأمان وعَرَفت فى هذه الصفقة
ربْحَها . وأما طبرية فاقتسرتها[2] يد الحرب فأنْهَرَت
الحربُ جُرْحَها .

فالحمد لله حمدا لا تُضْرَب عليه (٢٧٥ ب) الحدود ،
ولا تُزَكّى بأزكى منه العقود ، وكأنه بالبيت المقدس وقد
دَنَا الأَقصى من أَقصاه ، وبلَّغ الله فيه الأَمل الذى علم أَن
لن يُحْصِيَه وأحاط بأَجلِّه وأَقصاه[3] : لكل أَجل كتاب ،
وأَجلُ العدوِّ هذه الكتائب الجامعة : ولكل عمل ثواب ،
وثواب من جُزِى بطاعته[4] جنات نعيمه الواسعة ، والله المشكور
على ما وهب ، والمسئول فى إدامة ما استيقظ من حَدِّ الإسلام
وهبّ .

وقد توجه من جانبه الأمير رشيد الدين دام تأْييده
فى إهداء هذه البشرى نيابة عن الخادم ، ووصف ما يسَّره

(١) جملة « وعجل بجسده . . . . . . إلى النار » غير موجودة في صبح الأعشى .
(٢) في صبح الأعشى : فافترتها .
(٣) في صبح الأعشى : الذى علم أن يحصيه .
(٤) في صبح الأعشى : وثواب من هدى بطاعته . . . . . .

الله لأوليائه من العزائم[1] ، والبلاد والمعاقل التى فُتِحت هى :
« طبَرِيَّة ، عكا ، الناصرة ، صَفُّورية ، قَيْسَارِيّة ، نابُلُس ،
حَيْفَا ، مَعْلَيَا ، القزلة ، الطُّور ، الشَّقِيف » وقلاعٌ بين هذه
كثيرة . والولدُ المظَفَّرُ تقىُّ الدين بصُور وحِصنِ تِبْنِين .
والأَخ العادل سيفُ الدين نصره الله قد أرْكب بالوصول[2]
مَنْ عنده من العساكر ، فنزل فى طريقه على غَزَّة وعَسْقلان ،
ويُجهّز مراكب الأُصطول المنصور فيكثر عددها ، ويُسَيِّرها
إلى ثغر عكّا المحروس ويشحنها بالرجال ، ويوفر سلاحها
وعُدَدها ، والنهوض إلى القدس فهذا أَوان فتحه ، ولقد
دام عليه ليل الضلال ، وقد آن أَن يستقر فيه الهدى
مشكور الإِحسان ، إِن شاء الله تعالى .

الأُسلوب الثالث ، مما يكتب للخلفاء أَن يفتتح الكتاب
بالتصلية على الخليفة على مذهب من يُجَوِّز من الفقهاء
الصلاةَ على غير الأَنبياء عليهم السلام إلا بطريق التبعية .

(١) في الأصل ووصف بالنصرة لأوليائه

(٢) في صبح الأعشى : قد أوفت (؟) بالوصول مِنْ عنده مَنْ عندى من العساكر.

وهذه نسخة كتاب من ذلك [1]

كتب به القاضى الفاضل عبد الرحيم البيسانى عن السلطان صلاح الدين (٢٧٦ ا) يوسف بن أيوب أيضا فى البشرى بفتح بلد من بلاد النُّوبة وانهزام ملكها بعساكره وهى :

صلوات الله التى أَعدَّها لأَوليائه وذَخَرها ، وتحيـاته التى قذف بشهبها شياطين أَعدائه ودَحَرها ، وبركاته التى دعا بها كلُّ موحد فأَجاب ، وانقشع بها غمام الغم وظلام الظلم فانْجابَ عن أَنجاب ، وزكاته [2] التى هى للمؤمنين سَكَن ، وسلامه الذى لا يعترى الموقنين فى ترديده حَصَرٌ ولاَ لكَن ، على مولانا أَمير المؤمنين عاقد أَلوية الإيمان ، وصاحب دَوْر الزمان ، وساحب ذيل الإحسان ، وغالب حزب الشيطان ، الذى زلزلت إمامتُه قدمَ الباطل ، وحلَّت خلافتُه ترائبَ الدهر العاطل ، واقتضَت سيوفُه ديونَ الدِّين من كل غريم ماطل ، وأَمضتْ غَرْب كلّ عزم للحق مفلول وأَطلعت غارب [3] كل نجم آفل ، وشفعت يقظات استغفاره

(١) صبح الأعشى جـ٦ ص ٥١٢

(٢) فى الأصل وبركاته .

(٣) فى الأصل : وأطلقت غارب كل هدى .

إلى غافر ذنب كلّ غافل ، وعلى آبائه الغايةِ والمفزع . والملاذ فى وقت الفزع ، والقائمين بحقوق الله إذ قعد الناس ، والحاكمين بعدل الله إذ عُدِم القِسْطاس ، والمستضيئين بأنوار الإلهام المؤرَّثة من الوحى إذا عجز الاقتباس ، والصابرين فى البأساء والضراء وحين الباس ، خُزّانِ الحِكَم وحفاظها ، ومعانى النِّعَم وألفاظها ، وأعلام العلوم المنشورة إلى يوم القيامة ، وكَالِئى السُّروح المنتشرة من كلاءته بيد الإمامة ، ومن لا ينفُذُ سهم عمل إلا إذا شُحِن[1] بموالاتهم ، ولا يتألّق صبح هداية إلا إذا استصبح السارى بدلالاتهم .

المملوك يقبل الأَرض بمطالع الشرف ومنازله ، ومرابع المجد ومعاقله ، ومحابس الجود ، ومحالّ السجود ، ومختلف أنباء الرحمة المنزّلة ، ومرسى أطواد البسيطة المتزلزلة ، ومُفترِّ مباسم الإمامة ، ومَجَرّ مَسَاحِب الكرامة ، ومكان جنوح أجنحة الملائك ، ومُشتجر مناسك المناسك ، حيث يدخلون (٢٧٦ ب) من كل باب مُسلِّمين ، وتتبعهم ملوك[3] الأَرض مُستسلمين ، ومشاهد الإسلام كيوم أُنزل فيه :

---

(١) في صبح الأعشى : شحذ .

(٢) في صبح الأعشى : ومجالس .

(٣) في الأصل : ملائكة .

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [1] . وينعقد على الولاية فأما غيره فله قوله ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ ﴾ [2] ويناجيها بلسان جلّى الإخلاص الصادق عقيدته ، ونَشَّط الولاء السابق عقيلته ، وأرهف الإيمان الناصح مضاربه ، وفَسَّحَ المعتَقَدُ الناصح مذاهبَه ، فأعرب عن خاطر لم يخطُر فيه لغير الولاء خَطْرة ، وقلبٍ أعانه على ورد الولاء صفاءُ [3] المصافاة فيه فِطْرة ، ويُخبر [أَنه ما وهنَ] عما أَوجبته آلاؤه ولا وَهىَ ، ولا انثنى عزمه عن أَن يقف حيث أَظلّت سِدرةُ المُنتهى ووضحت الآياتُ لأُولى النهى ، والله سبحانه يزيل عنه فى شرف المثول عوائقَ القدر وموانِعه ، ويكشف له عن قناع الأَنوار التى ليست هِمتَّهُ بما دون نظرها قانعة ، وكان توجّه منصورا بجيش دعائه ، قبل جيش لوائه ، وبعسكر إقباله ، قبل عسكر قتاله ، وبنصال سلطانه ، قبل نِصَال أَجفانه ، لا جرم أَنَّ كتائب الرعب سارت أَمام الكتائب ، وقواضبَ الحذر غُمِّضَت فى جفونها عُيونُ القواضب ، وسار أَولياءُ أَمير المؤمنين الذين تجمعوا من كل أُمة ، وتداعوا بلسان النعمة ، وتصرفوا بيد الخدمة ، وصالوا بسيف العزمة ،

(١) سورة المائدة الآية ٣
(٢) سورة التوبة الآية ١٢٣
(٣) أضيف في صبح الأعشى من المحققين : الولاء [أن] صفاء .

متواخية نياتهم فى الإقدام ، متألفة طوياتهم فى طاعة الإمام . كالبنيان المرصوص انتظاما ، وكالغاب المُشْجِر أعلاما ، وكالنهار الساطع حديدا وهَّاجا . وكالليل السابل[1] عَجَاجا عَجَّاجا . وكالنهر المتدافع أصحابا ، وكالمُشْط المُطَّرد اصطحابا ، والأرض تَرْحَل بِرَحْلهم لما ترفعه الحوافر من غيومها . والسماء تَنْزِل بنزولهم لما تضعه الذوابل من نجومها . فما انتشرت رياضها المزهرة . وغياضها المُشجرة ، إلا دلّت على أن السحاب الذى سقاهم كريم . والإنعام الذى غمَرهم عظيم . والدنيا التى وسعتهم من عزمتهم تَظْعَن وتُقيم . (٢٧٧ ا) ولما علم العدوُّ أن الخطب المظنون قد صرّح خِطَابه . والأمل المخدوع قد صَفِر وِطابه ، راسلَ ورأى سَلَّ السيوف يُغْمِدُه ، ومَا كَر وما كَرَّ لعلمه أن الحتف يَعْمِدُه ، واندفع هاربا هائبا ، وخضع كائبا كاذبا ،فمضى المملوك قُدُما[2] ، وحمَّله ظُلمَه ﴿ وقد خاب من حمل ظلْما ﴾ [3] وأجابه بأنه إن وطئ البساط برجله وإلا وطئه برأسه ، وإن قدم على المملوك بأمله وإلا أقدمه ببأسه ، وإن لم يُظهر أثر التوبة وإلاَّ أقام عليه الحدَّ بسكرة الموت من كأسه ، فلم

(١) في صبح الأعشى : الشامل .
(٢) في الأصل : أقدر .
(٣) سورة طه الآية ١١١

يخرج من مراوغة تحتها مُغاورة ، ومُكاسرة وراءها مكاشرة فاستخار الله فى طَلَبِه ، وانتهز فيه فرصة شغل قبه بِرِيَبِه ، ولم يَغُرّه ما أُمْلِى له فى البلاد من تَقَلُّبه ، وسار ولم يزل مُقتحما ، وتقدمّ أول العسكر مُحتَدِما ، وإذا الدار قد ترحَّل منها أهلها فبانوا ، وظعنوا عن ساحتها فكأنهم ما كانوا ، ولم يبق إلا مواقد نيران رَحَلت قلوبهم بضرامها [وَأَثافىّ دُهْم أعجلت المهابةُ ما رَدَّ سَغَبهم عن طعامها] وغِربان بَيْنٍ كأنها فى الديار ما قُطع من رؤوس بنى حَامِها ، وعوَافِى طيرٍ كانت تنتظر من أشلائهم فِطْر صيامِها ، وعادت الرسل المُنَفَّذةُ لاقتفاء آثارهم وأداء أخبارهم ، ذاكرة أنهم لَبِسوا الليل حِدَادا على النعمة التى خُلعت ، وغسَلُوا بماء الصبح أطماع نفس كانت قد تطلّعت ، وأنهم طلعوا الأَوعارَ أوعالا ، والعِقَاب عِقْبانا ، وكانوا لمَهابط الأَودية سيولا ولأَعالى الشجر قضبانا .

فرأى المملوك أن الكتاب فيهم قد بلغ أَجَله ، والعزم منهم قد نال أملَه ، والفتك بهم قد أعمل مُنْصُلَه ، وأنسيوف عساكر أمير المؤمنين منزّهة عن أن تُرِيق إلاَّ دماء أكفائِها من الأَبطال ، وأن تَلْقَى إلاَّ وجوهَ أنظارها من الرّجال ، وأن المذكورين

نَمْلُ حطمه سليمانُ عليه السلام وجنوده ، وَرَمْل أَطارَه العاصفُ الذى يُسْحِفُهُ[1] ويقوده ، وأَصدرهذه الخدمة والبلادُ من بُعُوثهم[2] عارية ، والكلمة بانخفاضهم [غالية] عالية ، ويد الله على أَعدائه عادية ، وأَنفُس المخاذيل فى وثاق (٢٧٧ ب) مهابته العالية عانية ، ورأَى المملوك أَن يرتّب بعده الأَميرَ فلاناً ليبذُل الأَمانات لسوقة أَهل البلاد ومزارعيها ، ويَفْصِل المحاكمات بين متابعى السلطنة ومطاوعيها ، ويُفَسِّح مجال الإِحسان لمعاودى المواطن[3] ومُرَاجعيها ، فيعمُرَ من البلاد ما قد شَغَر ، ويشعر بالأَمنة مَنْ لا شَعَر ، فإِنَّ مُقَام المملوك ومن معه من عساكر تمنع الشمس من مطلعها ، وتردُّ جِرْية البحر عن موقعها ، مما يضُرُّ بالغلال ويَنْسِفها ، ويُجحف بالرعايا ويَعْسِفها .

فالحمد لله الذى جعل النصر لائِذًا بِأَعطاف اعتزامه ، وأَنامِل الرعب السائر إلى الأَعداءِ محرِّكةً عَذَبات أَعلامه ، والعساكر المناضلة بسلاح ولائه ، تغنى بأَسمائها عن

---

(١) يسحفه يذهب به : أسحفت الريح السحاب وسحفته ذهبت به ، وفي الأصل : يستحفه .

(٢) في صبح الأعشى : معرتهم .

(٣) في الأصل : الوطن .

مرهفاتها ، والكتائب المقاتلة بشعار علائه[1] ، تقرأُ كتب النصر من حماتها . إن شاء الله تعالى [2] .

الأُسلوب الرابع

مما يكتب به إلى الخلفاء أَن يفتتح الكتاب بالسلام على الخليفة ، قال ابنُ شيت فى « معالم الكتابة » وعليه العمل فى زماننا ، وكان فى أَواخر الدولة الأَيوبية .

وهذه نسخة كتاب من ذلك [3]

كتب به القاضى الفاضل عن السلطان صلاح الدين إلى الخليفة ببغداد يعتذر فيه عن تأْخير الكتب ، ويذكر خبر صاحب قسطنطينية وصاحب صقلية من ملوك النصرانية من الروم والفرنج وهى :

سلام الله الأَطيب ، وبركاته التى يستدرّها الخُضَّر والغُيَّب ، وزَكواته التى ترفع أَولياءه إلى الدَّرَج ، ونعمه التى لم تجعَلْ على أَهل الطاعة فى الدين من حَرَج ، على مولانا سيد الخلق ، وسَادِّ

(١) في الأصل : أعلامه .

(٢) هذه الجملة غير موجودة في صبح الأعشى .

(٣) صبح الأعشى جـ ٦ : ٥١٥

الخَرْق ، ومُسدِّد أَهل الحَق ، ولابس الشعار الأَطهر سوادا ، ومستحق الطاعة التى أَسعد الله (٢٧٨ ا) من خصه بها [بَدْءًا ومعادا] ، ومولى الأُمة الذى تشابه يوم نداه وبأْسه إن ركض جُودًا أَو جوادا ، وواحد الدهر الذى لايُثَنَّى ، وإليه القلوب تُثْنى ، ولا يقبل الله جمعا لا يكون بولائه جمع سلامة لا جمع تكسير ، ولا استقبال قبلة ممن لا تكون محبته فى قلبه تقيم واسمه فى عمله إلى الله يسير ، مولانا أَمير المؤمنين ، وعلى آبائه المالئى الأَرض عدلا ، الملاء أَهلا[1] فضلا ، والضاربين فَيْصلا والقائلين فصْلا ، ومن تقول الجنة لأَهلها بهم أَهلا ، المخصوصين بالعناية الإلهية ، الحاكمين فكلُّ أُمة بطاعتهم مأْمورة وعن معصيتهم منْهِيّة ، والمشرِّفى الأَسارير على أَسِرَّة الشرف فكم ملأَت البَهْوَ مناظرهم البَهِيّة .

المملوك يخدم الحرم الشريف باحترامه ، والفناء الكريم بإعظامه ، والبساط المُقَبَّل بطول استلامه ، والسِّتر الذى أَسبله الله على العباد بتحيته وسلامه . ويُنْهِى أَنه آخِر الخَدَم عن أَن ينتظم الأَوقاتَ المُتجدِّدة ، ويقتضب الحالات

(١) في الأصل : المملبى أهلها .

المتجرِّدة ، والرسلِ عن أَن تتوارد دِرَاكا ، وتتوالَى وِشاكا ، والإنهاءات عن أَن تثبت بالمقامات الشريفة النبوية ، ومجالس العَرْض العلية ، ما انتهت إليه الأَقدار ؛ وما أَفضى إليه من كثير المناجح وقليل الأَعذار ؛ فإن أَدب الأَمساك[1] عن المطالعة كالصوم لا يُفَضُّ ختامه ، ولا يُحلُّ نِظامه ، إلا بُعَيْدَ يَطْلُع هلاله مُبشِّرا ، ويُبَثُّ خبره فى الآفاق مُعطِّرا ، فلو أَن متكلّفا أَفطر قبل موعده ؛ وورد الماء قبل مورده ، لكان مُفسدا لعقده ، ناكثا لعهده .

كذلك المملوك أَمسك حين كانت الأَخبار بجانبه مُشتبهة ، والحقائق لديه غير مُتوجِّهة ، فإنَّ طاغيتَىِ الكفر بقُسطنطينية وصِقِلِّية كانا قد أَوقَدا للحرب نارا ، ورفعا لها أَوزارا ، واتخذا لها أسطولا جاريا وعسكرا جرّارا ، وتباريَا ولم يزد الله الظالمين إلاَّتَبَارا ، وكَتَبا إلى الفرنج بعد انهزامهم بالنجدة والنُّصْرة ، وتضمَّنا لهم الخروج والكَرَّة ، ويَصفان (٢٧٨ ب) ما استعدَّا به بمالا يعبَّر إلا بالكثرة ، واستطارت الشناعة وتداولتها الأَلسن ، وخرجت من الأَفواه حتى لقد كادت تدخل فيما رأَته الأَعين ، وورد إلى المملوك رسُول

(١) في صبح الأعشى : أدب الأمالى .

من طاغية القسطنطينية وهو أقدم ملوك النصرانية قَدَما ، وأكثرهم مالاً مُنْتَمى ، يعرض عليه مُوادَعة يكون بها عسكرُهُ مُودَعا ، ويكون له بها مَفْزَعا ، ولصاحب صِقِلِّيَّة الذى زعم أنه أَصْلٌ للشرِّ يكون الشرُّ منه مُفَرَّعا ، فلم يَهِنْ ولم يُجب إلى السلم ، ولم يَزَعْه أن عسكره خذله الله مُبَارٌ فى البَرِّ وفى اليَمّ . إن شاء الله تعالى .

الأسلوب الخـــامس

مما يكتب به إلى الخلفاء أن تُفتتح المـكاتبة بالدعاء بشيء من متعلقات الخلافة فى الجملة .

وهذه نسخة (١) كتاب من ذلك

كُتب به إلى ديوان الخلافة ببغداد عن بعض ملوك بنى أيوب (٢) اعتذارا عن التقصير فى وصف إنعام صدر له عن الخليفة ، وهو :

أسعد الله عظماء الأملاك بالانتساب إلى الخدمة الشريفة النبوية ، وأوزعهم ما أمرهم به من طاعتها . وخلّد مُلْك

(١) صبح الأعشى حـ ٦ ص ٥٠٤

(٢) فى صبح الأعشى : كتب به القاضى الفاضل عن الملك الناصر صلاح الدين .

الديوان العزيز النبوىّ ما دامت الأَفلاك قائمة . والنجوم ناجمة ، ونقَع بغمائمها غُلَل الآمال الحائمة ، وفسَّر بمكارمها حُلُم الأَمانىِّ الحالمة ، ورَتق بتدبيراتها المعصومة فُتوق النُّوَب المتعاظمة ، وأَظهر على أَيدى أَوليائها معجزات نَصْرِها ، وصرَّف الأَيام والليالى بين المرضيَّين لله نَهْيِها وأَمرِها ، وأَودع بركات السماء والأَرض بمُودَعها ومستقرِّها .

المملوك وإِن كان قد يسَّر الله له — مذ أُطِلقت عذَبَةُ لسانه — خدمةَ الدولة العباسية ، فتفسَّح فى وسيع مآثرها ، وتخيّر من بديع جواهرها ، وامْتَاح من نَمِير زواخرها ، فإِنه لا يعتذر عن الحَصَر الذى اعتراه فى وَصْف المُنعَم عليه به من الخطاب الشريف ، الذى (٢٧٩ ا) لولا أَن عِصْمة الموالاة تُثبِّت قلبه[١] الخافق ، وتُسدِّد لسانه الناطق ، لَمَا تعاطَى وصفَ ما أَعطاه من كتابه المرقوم ، وسبق إِليه من سحابه المركوم ، فإِنه مما يشفُّ عنه الأَمل ناكصا وهو كَسِير ، وَينقلب دونه البصر خاسئا وهو حَسير ، إِلا أَن الإِنعام الشريف يبدأُ الأَولياء بما لو وكَلَهم إِلى أَمانِيِّهم لتهيَّبتْ أَن تتعاطى خُطبته ، ولو فوَّضه إِلى طلبتهم لنكلت

(١) في الأصل : ولاه .

عن أن تترقى هَضْبته[1] ، ولا غرو أَن للسحاب أن يصافح قطرُه الثَّرى ، وللفجر أَن يشرق على غير[2] الكرى والسرى .

فالحمد لله الذى قرَّبَ على المملوك منال الآمال ، وثبت قوى[3] فؤاده لما لا تستقلّ بحمله صُمُّ الجبال ، ويستنيب عن جهر الشكر بسِرّ الأَدعية ، ويقتصر على ما يُفضى به إلى المحاريب وإن لم يقصر عما يفيضه[4] فى الأَندية ، ويطالع بأَن مملوكَ الخدمةِ وابن مملوكها أَخذ الكتاب بقوة ، وشمَّر لخدمته تشمير خلافة لا تشهير بنوة[5] ، وتلقاه تلَقِّىَ أَبيه الأَوَّلِ الكلمات ، ورأَى إطلاع اللهِ لأَمير المؤمنين على ما فى ضميره من طاعته إحدى المعجزات والكرامات ، وسمع المشافهة خاشعا متصدّعا ، واشتمل عليها بفهمه ساميا طرفه متطلعا .

ولقد أَشبه هذا الكتاب الكريم بيعة أُخذت عليه ، مد لها يده آخذا بكلتا يديه[6] .

(١) في صبح الأعشى : ...أنت تتعاطى حظيته ، ولو فوضه إلى راحتهم لنكلت عن أن تترقى نصيته .
(٢) في صبح الأعشى أن يشرق نوره على عين الكرى والسرى .
(٣) في صبح الأعشى : وثبت حصاة .
(٤) في صبح الأعشى : عما يقصه .
(٥) كذا في الأصل . وفي صبح الأعشى : وشمر لخدمة أشرف خلافة لأشرف نبوة .
(٦) في الأصل : بكلتى يديه .

والمملوك يرجو بل يتحقق أن هذا العبد المشار إليه سَيُوفِى على سابقه من عبيد الدولة العباسية فى الزمان ، ويكون بمشيئة الله أسبق منهم بالإحسان .

وقد صدرت خِدمتان من جهته وبعدهما تصدُرُ الخِدَم ، ولا يَأْلُو جَهْدا فى الخدمتين مباشرا بيده السيف مستنيبا عنها للقلم [(١)] ، وله نُصرة باقية فى الولاء وهو غَنِىٌّ عن النظير [(٢)] ، وسريرة بادية فى الطاعة هو إليها أسكن منه إلى كلّ مشير .

يعود المملوك إلى ما [لا] يزال يفتتح به الصلوات المفروضة ، ويختتم به الخَتَمات المعروضة ، من الدعاء الصالح الذى إن أغنى الله وَلِيَّهُ عنه فقد أحوج ذوى العقائد (٢٧٩ ب) السليمة إليه ، لأنه مُزَكٍّ لأعمالهم ، بل متمّم لإسلامهم ، وكيف لا يَدْعُون لِمَن يُدْعَوْنَ به يوم يُدْعَى كُلُّ أُناس بإمامهم .

فيقول : جمع الله لأمير المؤمنين طاعة خلقه ، وأذل رقاب الباطل بسيف حقه ، وجعل الله ما هو قبضتُه فى

(١) فى صبح الأعشى : ومستنيبا عنها العلم .

(٢) فى صبح الأعشى : النصير .

الأخرى قبضةَ أَمير المؤمنين فى الأُولى من الأرض التى هى موطوءة كالسماءِ ذات العُلا ، وأدام نعمه على هذه الأُمة بإمامته ، وأَظهر كرامة نبيه عليه السلام بما يُظاهره من كرامته ، وعجّل لمن لا يقوم بفرض ولائه[1] إقامة قيامته ، وردّ بسيوفه التى لا تُردُّ ما الإسلام ممطول به من ظُلامته ، وأَقام به مناهج الدين لأَهله ، وأَظهره بمظاهرته على الدِّين كلِّه ، حتى يلقى الله وما خلَّف فى الدنيا كافرا ، ولا ضميرا إلا بالتوحيد عامرا ، ولا بلدا إلا وقد بات بالإسلام آهلا ، وقد أَصبح منه الكفر داثِرا[2] .

الأُسلوب السادس

أن يفتتح الكتاب بالدعاء لديوان الخلافة ، وعليه الاصطلاح الآن ، قال فى « التعريف » وكان سببُ مخاطبتهم الديوان الخضعانَ عن مخاطبة الخليفة .

ورسمه[3] على ما ذكره المقر الشهابى بن فضل الله فى كتابه « التعريف بالمصطلح الشريف » أَن يقال : أَدام الله أَيام

(١) في صبح الأعشى : ولايته .

(٢) بعده في صبح الأعشى : إن شاء الله تعالى .

(٣) انظر صبح الأعشى جـ ٧ ص١١٩

الديوان العزيز المولوىّ السيدىّ الإمامى الفلانىّ ، ثم يؤتى بالدعاء المعطوف ، والصدر بالتعظيم المألوف ، وقد يفتتح بغير هذا الدعاء ، مثل : أدام الله سلطان الديوان العزيز ، وخلد الله سلطان الديوان العزيز ، أو أيام الديوان العزيز ، وما أشبه ذلك مما يقتضى العز والدوام .

والصدر نحو : العبد ، أو المملوك ، أو الخادم ، يقبِّل الأرض أو العتبات أو مواطئ المواقف ، أو غير ذلك .

ويختم الكتاب تارة بالدعاء ، وتارة : بـ « طالَع » ، أو « أنهى » أو غيرهما مما فيه معنى الإنهاء ؛ ويخاطب الخليفة (٢٨٠ ا) فى أثناء الكتاب بالديوان العزيز ، وبالمواقف المقدّسة أو المشرفة ، والأبواب الشريفة ، والباب العزيز ، والمقام الأشرف ، والجانب الأعلى أو الشريف ، وبأمير المؤمنين ، مجرَّدة عن سيدنا ومولانا ، ومرة غير مجرّدة ، مع مراعاة المناسبة والتسديد والمقاربة .

وأما خطاب المكتوب عنه فاختلف بحسب من كُتِب [عنه] ، فكتَبَ بعض ملوك بنى أيوب بالديار المصرية والممالك الشامية : الخادم ، وبعضهم : المملوك ، وبعضهم

العبد ، وبعضهم : أقل المماليك ، وبعضهم : أقل العبيد .
وكان علاء الدين خُوارزم شاه صاحب خُوارزم وما معها يكتب : الخادم المِطْواع ، وتبعه ابنه جلال الدين على ذلك ، وكانت أُمُّ جلال الدين تكتب : الأَمَة الداعيــة .
قال فى « التعريف » : والملوك والسوقة فى ذلك لا تختلف .

وهذه نسخة كتاب من ذلك[1]

كتب به المقَرُّ الشهابىّ بن فضل الله ، إلى الحاكم بأَمر الله أَبى العباس أَحمد بن المستكفى بالله أَبى الربيع سليمان ، أَحد الخلفاء العباسية بالديار المصرية ، عن رماة البندق بالشام جوابا عما ورد عليه من كتابهم ، وهو يومئذ الحاكم فى رماية البندق فى أَمر نــاصر الدين بن الحِمْصىّ[2] أَحد الرماة . وهى :

أَدام الله تعالى أَيام الديوان العزيز المولوىّ السيدىّ النبوىّ الإِمامىّ الحاكمىّ ، ونصر به جَمْع الإِيمان ، وبشر بأَيامه الزمان ، ومتّعه بالملك الذى لا ينبغى لأَحد من بعده بما ورثه من سليمان .

---

(١) صبح الأعشى جـ ٧ ص ١٣٠

(٢) يكتب في الأصل دائما : « الحمص » وأثبت ما في صبح الأعشى .

ولا زال يخضع لمقامه كل جليل ، ويُعرف لأَيامه كلُّ وجه جميل ، ، ويعترف لشرفه كلُّ معترف بالتفضيل ، ولا كان إلاَّ كرمه المأْمول ، ودعاؤه المقبول ، وعدوّه المصروع ووليه المحمول ، ولا برِحت طاعته يُعقد عليها كلُّ جمع ، (٢٨٠ ب) ومراسمه يُنصِت إليها كل سَمْع ، وطوائف الذين كذبوا عليه لا تتلى عليهم آياته إلاَّ تَولَّوْا وأَعينهم تفيض من الدمْع .

المماليك يقبِّلون الأَرض بالأَبواب العالية التى هى خُطَّة شرفهم ، ومكان تعبد القدماء منهم ومن سَلَفِهم ، ويلوذون بذلك المقام ، ويعوذون بذلك الحرَم الذى لا يبعُد نسبه من البيت الحرام ، ويؤمّلون ذلك الكرم الذى ما منهم إلا من سَعِد به طائره ، وجاءته به فى وجه الصباح أَشائره[1] ، وفى وجه العِشاء بشائره ، فنالوا به أَقصى المرام ، وقضوا به من العمر ما إذا قالوا يا سعْدُ لا يعنون به إلا ذلك الإِمام ، وينتهون إلى ما ورد به المرسوم الشريف الذى ما من المماليك إلا مَنْ مَتَّ إليه بقديم عبودِيَّته ورِقِّه ، وسارع إلى طائره الميمون وحماه[2] بسبقه ، وفتح له عينه وظن أَنه حالم[3] ،

(١) أشائره لعلها جمع إشارة أى إشاراته .

(٢) في صبح الأعشى : وحمله .

(٣) في الأصل : حايم وفي صبح الأعشى : حاكم .

وامتثلوا أَمره وكيف لا تمتثل الرُّماة أَمر الحاكم ، ولا سيما ابنُ عم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الإمام الحاكم ، وأَجلُّوه عن رفعه إلى العين إذ كانت تلك منزلة الحاجب(١) ، وقدموا إليه خفوق قلوبهم الطائرة وما علموا أَنْ كانوا قاموا بالواجب ، ووقفوا على أَحكام حاكمه فما شَكُّوا أَن زمان هذا الفَنّ بزمان ناصره(٢) فى بغداد قد عاد ، وأَن مثاله المتمثِّل فى سواد الحدق مما حكَتْه أَيامه العباسية من شِعار السواد ، وعلموا ما رسم به فى معنى محمد بن الحمصىّ الذى ما نَوَّرت الليلةَ الظلماء أَكاريخُه ، ولا بعُدت فى الإقعاد له تواريخُه ، بل أَخمدت دموع ندمه نيرانَه المشتعلة ، وأَصبح به لا يحمل القوس فى يده إلا أَنه مَشغله ، وما كان أَنهاه إلى الديوان العزيز مما لم تذكر الخواطر الشريفةُ بأَنه فيه المفترِى(٣) وأَنه صاحب القوس إلاَّ أَن مَالَه سعادة المُشترِى ، وأَنه موَّه تمويه الجاحد ، وتلوَّن مثل قوس قُزح وإلاَّ فقوس البندق لونٌ واحد ، ودَلىَّ بغروره ، وَعَرض المَحضر الذى حمله على تغريره ،

(١) فى صبح الأعشى : على العين إذ كانت تلك بمنزلة الحاجب .

(٢) فى صبح الأعشى : بزمان ناصره .

(٣) فى صبح الأعشى : قبة المفترى .

وذلك فى غَيْبة الأَمير (٢٨١ ا) بهــاء الدين البُندقدار الحاكمىّ . الذى لو كان حاضرا لنَبَّأَ بخبره . وأَحسن بالإعلام بسوء محضره . وتحيّل لأَخذ الخط الشريف الذى لو عقل لكان[1] حجة عليه ، ومؤكدا لإبطال رميه وقوسه وبندقه فى يديه . لما تضمَّنه الخط الشريف [المقيَّد اللفظ] المكتتب على المصطلح ، الساحب ذيل فخاره على المُقْتَرَح ، الذى هدى إلى الخير ، وبدأَ به ما وُهب من الملك السليمانىّ الذى أُوتى من كل شىء وعُلِّم منطق الطــير ، فإنه لم يُكتب له إلاَّ بأَن يرمى عــلى الوجه المرضِىّ بساعده ، واستيفاء[2] شروط البندق والخروج من جميع الأَشكال عملا بقواعــده ، ويُعلِم أنه إنما رعى حقّ قُدْمته ولا [فعــل] فى الباب العزيز ما يجب من التحلّى بشعار الصدق فى خدمته وأَنه خالف عادةَ الأَدب ، وأَخطأَ فى الكل لكنه نَدَب ، وذلك بعدأَن عمل له جميعُ رماة البندق ، وسُئل فأَجاب بأَنه سالم من كُلّ إشكال يُشكل ، وأَنه بعد أَن أُقعد رَمَى وحَمَل وحُمِل ، فشهد عليه السادة الأُمراء ولاةُ العهد إخوة

(١) في صبح الأعشى : سقط كلام من أول قوله « لو كان حاضرا » إلى قوله « لكان حجة » ونصه فيه : لو كان حاضرا لكان حجه عليه .

(٢) في صبح الأعشى : المرضى واستيفاء .

أمير المؤمنين ومن حضر ، وكتبوا خطوطهم فى المحضر ، وما حصل الآن عند عرض قصة المماليك بالمواقف المقدّسة ، ووضوح قضيّته المدنّسة ، من التعجّب من اعتراف المماليك لكونهم رموا معه بعد أن رأوا الخطّ الشريف وهو لفظ مُقَيَّد ، وأمرٌ أُيِّد به رأىُ الإمام الحاكم بأَمر الله المسترشد بالله والمُؤَيَّد ، وكل ما أَمر به أَميرُ المؤمنين لا معْدِلَ عن طُرُقه ، ولا جدال إلاَّ به إذا أُلزم كلُّ أَحد طائِرَه فى عُنُقه ، وأَمير المؤمنين بحر لا يُورد إلاَّ عن علمه [1] ، وهو الحاكم ولا رادَّ لحُكمه ، وإنما ابن الحمصىّ المذكور عَدِم السّداد ، وخالف جارىَ العادة فى الحِمَّص فإنه هو الذى سُلِق فى الافتراء بأَلسنة حِداد ، ولم يُوقِفِ المماليك من الخط الشريف إلاَّ على بعضه ، ولا أَراهم من بَرقه المتهلّل غير وَمْضِه . والذى أَوقفهم عليه منه أَن يَرْمِى محمدُ بن الحمصىّ ويُرمى معه ، وكلمة أَمير المؤمنين (٢٨١ ب) مُستَمعَة ، ومراسيمه مُتَّبعة ، وإذا تقدم كان الناس [2] تبعه ، غير أَن المذكور بَدَتْ منه أُمور قطع بها الأَمير صارم الدين صارُوجا الحاكم البُنْدُقدار فى حقه ، وأَقعده عن قُدْمته التى كان

(١) في صبح الأعشى : لا يرد إلا من علمه .

(٢) في الأصل : الراس .

يَمُتُّ فيها بِسَبْقه ، وانتقل عنه غلمانُه ، وثقل عليه زمانُه ، ونودى عليه فى جمع كبير يزيد على تسعين قَوْسا ، وجُرح لِخطإٍ بندقه جرحا لا يُؤْسَى ، ثم بعد مدّة سنين توسّل بولد الأَمير المرحوم سيف الدين تنكز إلى أَبيه ، وتوصّل به إلى مراميه ، فأَمر أَن يُرمى معه وهدَّد المخالف[1] بالضرب ، ولم يَرْمِ معه أَحد برضاه إلاّ خوف أَن تُوقد نارُ الحرب ، فلما مضت تلك الأَيام ، وانقضت تلك الأَحلام ، جمع مملوكُ الأَبواب العالية الأَميرُ علاءُ الدين بن الأَبوبكرى الحاكم فى البندق الآنَ مِنْ رُماة البندق جمعا كثيرا ، واهتم به اهتماما كبيرا ، وذكر أَمر المذكور ، وأَحضر محضره المسطور ، ولم يكن عليه تعويل ، ولا فى حكم الحاكم المُقدَّم[2] تعليل ، ولا عند هذا الحاكم الذى ادّعَى له وادّعى عنده تجوز الأَباطيل ، وتحقّق أَن الحق فيما حكم عليه فتُبع ، وترجَّع أَنْ لا يقام منه من أُقعِد ولا يُوصل منه ما قُطِع ، فنفَّذ حكم الحاكم المتقدّم ، واستمرّ بقعوده المتحتِّم ، ووافقه على هذا سائر الرماة بالبلاد الشامية وحُكَّامها ، ومن يرُجْعَ إليه فى الرماية وأَحكامها ، وبطلت

(١) في الأصل : وهودا يخالف .

(٢) في صبح الأعشى : المتقدم .

قُدْمَةُ المذكور التى ذهب فيها عمرُه ضائعا ، وزمانه الذى إذا اشتريت منه ساعة بالعمر لم يكن نافعا .

ولما ورد الآن هذا المرسوم الشريف زاده الله شرفا قبَّلوا الأَرض لديه ، وأوقفوا عليه حاكمهم المُسمَّى فوقف له وعليه ، وجمع له جمعا لم يَدَع من الرُّماة مُعْتَبرا ، ولا من يُلْقِم القَوْسَ وتَرَا ، ولا من إذا قَعَد كالعَيْن جَرىَ ما جَرَى ، ثم قرأَ عليهم ما تضمَّن ، ودَعَوْا لأَمير المؤمنين ولم يبق منهم إلاَّ من دَعَا وأَمَّن ، وتضاعف سرورهم بحكمه الذى رفع الخَلَل ، وقطع الجَدَل ، وقالو لا عَدِمْنا أيام هذا الحاكم الذى أنصف (٢٨٢ ا) والإمامِ الذى عَدَل ، وبقى ابن الحمصىِّ مُثْلَة ، ونودى عليه إنه مَنْ رمى معه كان مُخطئا مِثْله ، وَوَقَرتْ هذه المناداة فى كل مَسْمَع ، وقرَّت استقراراً انْفَصل عليه المَجْمع[1] ، وذلك بما فُهم من أمير المؤمنين وبنصِّ كتابه المبين ، وبما قضى الله به على لسان خليفته الحاكمِ واللهُ أَحكمُ الحاكمين ، وطالعوا بها وأَنْهَوْا صورةَ الحال ، وجمعوا فى إمضائه الآمال ، لا زالت سعادة أَمير المؤمنين مُنزَّهةً عن الشُّبَه ، بعيدةً عن الشِّبْه[2]

(١) في صبح الأعشى : استقرار الفضل عليه المجمع .

(٢) في صبح الأعشى : سعادة أمير المؤمنين منزهة عن الشبه ، آخذة .

آخذة من خير الدارين كلَّ اثنين فى وَجْه ، حتى تَحْصُل كل رمية من كَثَب ، ولا يَرْمى فى كل لعبة [1] إلا كل مُصْطَحب ما غَبَّ فى السماء المِرْزَم ، ووقع العُقاب، على ثَنِيَّتِهِ يَقْرَع سِنَّه ويتندَّم ، وعلا النَّسرُ الطائر والواقع على آثاره وسائرُ طيور النُّجوم والحُوَّم ، إن شاء الله تعالى .

قلت : وهذا الكتاب أَنشأَه المقرّ الشهابى بن فضل الله المقـدّم ذكره بناء على مذهبه فى أَن المكاتبة إلى الخليفة تكون بالدّعاء للديوان العزيز من الملك والسوقة لايختلف ، وفيه نظر ، بل الذى ينبغى أن يُفتتح الكتابة إليه بتقبيل الأَرض ، على ما يكتب به للملوك ، إذ الملوك نُوَّابه وأَتباعه ولا أعلى منه رتبة .

وأَما الكتب إلى ولاة العهد بالخلافة [2]

فقال أَبو جعفر النحاس فى « صناعة الكتاب » : ويكون التصدير فى المكاتبة إلى ولىّ العهد على ما تقدَّم فى المكاتبة إلى الخلفاء مع تغيير الأَسماء ، يعنى أَنه لا يقال فيه الإمام ولا أَمير المؤمنين ، بل ولى عهد المسلمين ، وفى

(1) فى صبح الأعشى : «كل أمنة» وفي الأصل الكلمة غير منقوطة .
(2) انظر صبح الأعشى جـ ٦ ص ٤٥٦ وجـ ٧ ص ١٣٤

التصدير مع السلام : وبركاته ، فى أول الكتاب وآخره ، وفى ولى العهد يحذف « وبركاته » من التصدير ، فكانوا يكتبون لولى العهد : لعبد الله أبى فلانٍ فلانٍ ولىِّ عهد المسلمين ، سلامٌ على وَلِىِّ عهد المسلمين ورحمة الله (٢٨٢ ب) فإنى أحمد إليه الله الذى لا إله إلا هو ، وأسأله أن يصلى على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم ، أما بعد ، أطال الله بقاء ولى عهد المسلمين . ويأتى على المقصد على ما تقدم فى الكتب إلى الخليفة ، ثم يختمه بقوله : والسلام على ولىِّ عهد المسلمين ورحمة الله وبركاته .

أما على المصطلح المستقر عليه الحال فقد ذكر المقرّ الشهابى بن فضل الله فى كتابه « التعريف » أنه يكتب إلى ولى العهد بالخلافة ما صورته : ضاعف الله تعالى جلال الجانب الشريف المولوىّ السيدىّ النبوىّ الفلانىّ . ثم يُدعى له ، قال صاحب « التثقيف » : والخطابُ له بمولانا ولىّ العهد ونحو ذلك ، والتعبير عن المكتوب عنه : بالخادم يقبل العتبات الشريفة ، أو اليد الشريفة ، ونحو ذلك . والعلامة إليه : الخادم . على نسبة ما فى الصدر ، والعنوان عن نظير الألقاب التى فى الصدر . قال فى « التثقيف » :

وهذا على عادة من تقدم من الملوك ، أَما فى زماننا وقبله بمُدّة مديدة فإنه لم يكتب إلى ولىٍّ عهد

قلت : ومما يجب التنبيه عليه قطع الورق الذى يُكتب فيه إلى الخليفة ، لا شك فى أَنه كان يكتب للخليفة وولىّ العهد حين كانت الخلافة بالعراق فى قطع البغدادى بقلم مختصر الطومار على ما يظهر ، أَو فى ثلثى القطع البغـدادى على ما ذكره محمد بن عمر المدائنى حيث كانت بيعاتهم وعهودهم تكتب فى ذلك ، أَما الآن حيث صارت عهودهم وبيعاتهم تكتب فى قطع الشامى الكامل بقلم الثلث الخفيف فإنه ينبغى أَن يكون الكَتْب إليهم على هذا النمط ، تـأَسِّياً بما اعتمدوه فى ذلك ، وإلا فالواجب الكتابة فى البغدادى الكامل ، على ما كان الأَمر عليه فى الزمن القديم .

الباب السابع

(٢٨٣ ا) في ذكر أوائلَ منسوبةٍ إلى الخلفاء ، وغرائبَ ومُلَحٍ وأَعاجيبَ تتعلق بهم ، وفيه فصلان :

الفصل الاول

في ذكر نبذة من الأَوائل المنسوبة إليهم :

أَوّل من بويع بالخلافة أَبو بكر الصديق بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد مر ذكر ذلك في الباب الأَول في الكلام على الطرق التي تنعقد بها الخلافة ، وهو أَول خليفة ولي وأَبوه حيٌّ ، فقيل لأَبيه أَبي قُحافة : استُخْلِف أَبو بكر ، قال : أَقرَّت بذلك بنو قُصَيّ ، قيل : نعم ، قال : يفعل الله ما يشاء . وبقي أَبو قحافة بعد وفاة أَبي بكر رضي الله عنه ستة أَشهر وأَيام ، ثم توفي في المحرم سنة أَربع عشرة ،

وهو أَول من عَهد بالخلافة ، عَهِد بها لعمر بن الخطاب ، وقد مر ذكره في الباب الأَول أَيضا ،

وهو أَول من جمع القرآن حين قُتِل القُرّاءُ باليمامة في

حرب مُسيلمة الكذاب ، وسمَّاه مصحفا ، وكان قبل ذلك مكتوبا فى عُسُب النخل أَو أَكتاف الإِبل ونحوها .

[أَول خليفة سمى بأَمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وهو أَول من فتح الفتوح وأَول من مصر الأَمصار] [1] وهو أَول من دوّن الدواوين فى الإِسلام ، قال القضاعى : دوَّنها فى سنة تسع عشرة وقيل سنة عشرين . قال الماوردى [2] : واختلف فى سبب وضعه فقيل : إن أَبا هريرة رضى الله عنه قَدِم عليه بمال من البحرين فقال : ماذا جئت به ؟ قال : خمسمائة أَلف درهم ، فاستكثره عمر وقال : أَتدرى ما تقول ؟ قال نعم ، مائة أَلف خمس مرات ، فصعد عمر المنبر فحمد الله وأَثنى عليه ثم قال : أَيها الناس قد جاءَ مال كثير ، فإن شئتم كِلْنا لكم كَيْلا ، وإن شئتم عَدَدْنا لكم عَدًّا ، فقال رجل : يا أَمير المؤمنين قد رأَيتُ الأَعاجم يُدَوِّنون دِيوانا لهم ، فَدَوِّن لنا أَنت ديوانا . فأَمر

(١) في الأصل سقط وزدت ما اقتبسته من تاريخ الخلفاء للسيوطى ص٥٣ وكتاب محاضرة الأوائل ص ٨٠ . هذا وفي تاريخ الخلفاء أيضا أنه أول من جمع الناس في صلاة الجنائز على أربع تكبيرات وأول من احتبس صدقة في الاسلام وأول من أخذ زكاة الخيل وأول من قال : أطال الله بقاءك وأول من قال : أيدك الله وأول من استقضى القضاة في الأمصار . وفي كتاب محاضرة الأوائل: أول من رتب الناس والجنود شرقا وغربا . وسير الأعلام ورتب الألوية وسير الجيوش شرقا وغربا وفرض الفرائض وعرف العرفاء .

(٢) انظر صبح الأعشى حـ١٣ ص ١٠٦ والأحكام السلطانية ١٧٥

بوضع الدواوين ، وقيل : بل بعث (٢٨٣ ب) عمر رضى الله عنه بعثا وعنده الهرمزان ، فقال لعمر : قد أعطيت أهل هذا البَعْث الأموال ، فإن تخلّف منهم رجلٌ أخلَّ بمكانه من أين يعلم صاحبُه . فأثبت لهم ديواناً ، فسأله عن الديوان ففسره له ، فأمر بوضع الديوان . وقيل : إن عمر استشار المسلمين فى أمر المال فقال عَلِيٌّ : نَقْسِم كلَّ سنة ما اجتمع إليك من المال ولا تُمسك منه شيئا ، فقال عثمان أرى مالا كثيرا ، وإن لم تُحْصِ الناس حتى تعلم من أخذ ممن لم يأْخذ انتشر الأمر ، فقال خالد بن الوليد : قد كنتُ بالشام فرأيت ملوكها دوَّنوا ديوانا وجنَّدوا جنودا ، فدَوِّنْ ديوانا وجَنِّد جنودا ، فأخذ بقوله .

وهو أول من أرخ بعام الهجرة ، قال فى « ذخيرة الكتاب » : لما أراد وضع التاريخ جمع الناس للمشورة ، فقال بعضهم : نؤرخ بمبعث النبى صلى الله عليه وسلم ، وقال بعضهم : بل بوفاته ، وقال بعضهم : بل بهجرته من مكة إلى المدينة لأنها أول ظهور الإسلام ، فصوَّبه عمر وأجمع رأيُهم عليه ، وكانت الهجرة فى شهر ربيع الأول بعد عشر من النبوة ، وقدم المدينة لاثنتى عشرة ليلة خلت منه ، فاختلفوا فى

الشهر الذى يبـدؤُون به ، فأَشار بعضهم بالبَـدَاءَة برمضان لشرفه ، فقال عمر : بل بالمحرم ، لأَنه مُنْصَرَف الناس من حجّهم ، فرجع القَهقرى ثمانيةً وستين يوما ، وهى القدر الذى مضى من أَول المحرم إلى اثنتى عشرة ليلة من ربيع الأَول ، وابتداءُ التاريخ من أَول المحرم لتلك السنة .

قال أَبو هلال العسكرى : أَراد بذلك اجتماع الأَشهر الحرم فى سنة واحدة .

وهو أَول من اتخذ بيت مال ، فيما ذكره العسكرىُّ عن قتادة .

وهو أَول من سنَّ قيام شهر رمضان وجمع الناس على إمام واحد فى التراويح ، وذلك فى سنة أَربعَ عشرة .

وهو أَول من عَسَّ بالليل .

وهو أَول من عاقب شاعرا على الهجاء ، عاقب الحطيئة حين هجا (٢٨٤ ا) الزِّبرقان بن بدر ، بأَن حبسه فى بئر ثم أَخرجه وطلب شَفْرة يُوهمه أنه يريد قَطْعَ لسانه تخويفا له ليكف عن الهجاء .

وهو أَول من ضرب فى الخمر ثمانين ، وكان أبو بكر رضى الله عنه قبل ذلك يجلد فيه أَربعين .

وهو أَول من حرم المُتعة بالنساء ، وهى أَن تُنكح المرأَة على شىء إلى أَجل ، وكانت مباحة قبل ذلك .

وهو أَول من نهى عن بيع أُمَّهات الأَولاد وهِبَتِهن وجَعْلِهِنَّ ميراثا .

وهو أَول من مَسحَ سوادَ العراق على يد عثمان بن حُنَيْف ، وهو من أَرض الموصل إلى عَبَّادان طولا ، وذلك مائة وخمسة وعشرون فرسخا ، ومن عَقَبة حُلْوَان إلى القادسية عرضا ، وذلك ثمانون فرسخا [١] ، وبلغت جُرْبَانه ستةً وثلاثين أَلف أَلف جريب [٢] .

وهو أَول من صالح العمال على مال يأْخذه منهم ، وكان من ذلك أَنه شاطر عمرَو بن العاص مالَه وهو أَميرُ مصر يومئذ .

---

(١) في معجم البلدان : وحدّ السواد من حديثة الموصل طولا إلى عبادان ومن العذيب بالقادسية إلى حلوان عرضا فيكون طوله مائة وستين فرسخا وأما العراق في العرف فطوله يقصر عن طول السواد وعرضه مستوعب لعرض السواد . . . . فيكون طوله مائة وخمسة وعشرين فرسخا يقصر عن طول السواد بخمسة وثلاثين فرسخا وعرضه كالسواد ثمانون فرسخا . انظر « السواد » .

(٢) انظر حسابه بالجريب في معجم البلدان « السواد » .

وهو أَول من حمل الطعام من مصر فى بحر أَيْلَة إلى المدينة حين أَقحطوا فى عام الرَّمادة ، والأَمير على مصر يومئذ عمرو بن العاص ، قال القضاعى : حفر خليج القاهرة من الفسطاط إلى السويس فى ثمانية أَشهر ، وجرت فيه السفن بالطعام من عامه ، فكان ينقل منها إلى السفن ببحر القُلْزُم فيحمل منها إلى المدينة .

وهو أَول من أَعال الفرائض ، فيما ذكره العسكرى عن ابن عباس ، وكان ابن عباس ينكر القول ، ولم يظهر ذلك إلاَّ بعد موت عمر ، فقيل له : هَلاَّ قلت ذلك فى زمن عمر ؟ قال : كان رجلا مَهيبا فهِبته .

وهو أَول من اتخذ الدِّرَّة وحملها ليعذب بها الجناة ، وكانت من الهيبة بحيث قال الشَّعْبِىّ : إن درة عمر لأَهيبُ من سيف الحجَّاج .

أَول خليفة وَلى وأُمُّه فى قيد الحياة عثمان بن عفان رضى الله عنه ، ثم موسى وهارون ابنَا المهدىِّ ، ثم المعتضد ثم المطيع

وهو أَول من أَقطع القطائع (٢٨٤ ب) بالأَرضين .

من الخلفاء ، قال العسكرى : فعل ذلك اقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم .

وهو أَوّل من حمى الحمى لإبل الصدقة ونحوها .

وهو أَول من خفض صوته بالتكبير فى الصلاة ، فيما ذكره العسكري عن عاصم بن أَبى محكن .

وهو أَول من خَلَّق المسجد .

وهو أَول من ارتقى إلى مقام النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر ، إذ كان أَبو بكر قد نزل عنه درجة ، ثم جاء عمر فنزل عنه أُخرى ، فلما جاء عثمان رَقِيَ إلى حيث كان يرْقى النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فقال سلمان : اليوم وُلد الشرّ ، وقد ذكر ذلك بعضُ الخلفاء فأَنكره ، فقال له بعض الحاضرين : اشْكُره يا أَمير المؤمنين ، فلولا ذلك لكنتَ اليوم تخطب فى بئر .

وهو أَول من أُرتِج عليه فى الخُطبة فقال : أَيها الناس إن اللذين تقدَّمانى كانا يُعِدَّان لهذا الموقف كلاما ، وأَنتم إلى إمام عادل أَحوجُ منكم إلى إمام قائِل ، وستأْتيكم الخطبة على وجهها ، ثم نزل .

وهو أول من قدّم الخطبة قبل الصلاة فى العيدين حين رأى كثيرا من الناس يذهبون قبل سماع الخطبة ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان فى أول خلافته يصلون ثم يخطبون كما هو الآن .

وهو أول من فوض إلى الناس إخراج زكواتهم بأنفسهم من غير دفعها إلى الإمام .

وهو أول من اتخذ صاحب شُرطة .

قال الثعالبى فى « لطائف المعارف » : وهو أول من قيل : تَنَحَّ عن الطريق عند سير الخليفة .

أول من بايع علياً رضى الله عنه بالخلافة طلحة ، وكانت يده شلاء ، فقال حبيب بن ذُؤَيب : أول من بايعه أشلُّ فما أظن هذا الأمر يتم ، وقيل : أول من بايعه الأشتر النَّخَعى .

وهو أول خليفة وقع فى زمنه قتال بين أهل القبلة ، وذلك فى وقعة الجَمَل .

وهو أول من اتّخذ بيتا يُطرح فيه القِصَص (٢٨٥ ا) حتى كتبوا شتمه وألقوه فيه ، فتركه ، ثم اتخذه المهدى أيام خلافته .

وهو أَول من فرق بين البينة فى شهادة الخصوم .

أَول من اتخذ ديوان الخاتَم معاوية ، جعل ديوانا لختم كُتبه التى تكتب عنه ، وكان سبب ذلك فىما ذكره الثعالبي أَن عَمْرو بن الزُّبير قدم عليه ، فأَمر له بمائة أَلف درهم ، وكتب له بذلك كتابا إِلى زياد بالعراق ، ففضَّ عمرٌو الكتابَ وجعل المائة مائتين ، فلما اطلع معاوية على ذلك اتخذ ديوان الخاتم .

أَول من بايع لولده معاوية بن أَبى سفيان ، بايع لابنه يزيد بالخلافة بعده .

وهو أَول من وضع البريد فى الإِسلام ، نقله عن ملوك الفرس ، وأَحكمه بعد ذلك عبد الملك بن مروان .

وهو أَول من سمى الغالية غالية ، شمها من عبد الله بن جعفر بن أَبى طالب ، فسأَله عنها ، فوصفها له ، فقال : إِنها غالية . ويقال : إِنه شمها من مالك بن أَسماء بن خارجة ، وكانت أُخته هند أَول من صنعتها ، وأَنكر الجاحظ ذلك كله وقال : إِنَّا نجد فى أَشعار الجاهلية ذكر الغالية ، وربما قيل : إِنها أَتت العرب من جهة الحبشة .

وهو أَول من عمل المقصورة فى الجامع ليصلِّىَ فيها ، قيل : إنه رأَى على مِنبره كلبا فاتخذها ، وقيل : أَول من اتخذها مروان بن الحكم ، اتخذها من حجارة منقوشة ، وجعل لها كُوًى ، خوفا على نفسه ، وقيل : أَول من اتخذها عثمان رضى الله عنه ، خوفا أَن يصيبه ما أَصاب عمر .

وهو أَول من خطب جالسا حين كَثُر شَحْمه وعظُم بطنُه .

وهو أَول خليفة عبثت به رعيته واجترأَت عليه ، حتّى قام إليه رجل فقال : لِيُخْبِرْنا أَميرُ المؤمنين مَنْ كان زوج أُمِّه قبل أَبى سفيان : فقال : حفص بن المغيرة ، ثم كلم ذلك الرجلُ عمرَو بنَ الزُّبير ، فأَغلظ عليه فى كلامه ، فأَمر به فضُرب حتى مات ، فبلغ ذلك معاويةَ فلامه ، فقيل : إنه القائل لك كذا ، فقال : إذن قَتَلْتُهُ وأَنا أَحقُّ مَنْ وَدَاه .

وهو أَول من أَمر بإِقراء السلام (٢٨٥ ب) على الخلفاء ، وأَقره عمر بن عبد العزيز .

وهو أَول من استلحق فى الإِسلام ، استلحق زياداً عَمَلاً بقول أَبيه أَبى سفيان لولا أَن يُشَبْرِقَ عُمَرُ إهابى لعَرَّفت أَن

زيادًا قريبُ النسب منى ، أَنا غرسته فى رحم أُمِّه .

وهو أَول من اتخذ الخصيان لخاص خِدْمته .

أَول من أَخرج المنبر إلى الصحراء فى العيد مروانُ بن الحَكَم .

وهو أَول من أَخذ الجار بالجار ، فيما ذكره العسكرى ، أَخذ فتى بأَبيه فجلده وتمثل بقول الشاعر :

جانِيك مَنْ يَجْنِى عليكَ وَقَدْ

تُعْدِى الصِّحَاحَ مَبَارِكُ الْجُرْبِ

فقال الفتى : ما هكذا قال الله تعالى بل قال ﴿ وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ [1] فرقَّ له وخلاَّه .

ويحكى مثلُ ذلك عن الحجاج بن يوسف .

أَول من نهى عن الكلام بحضرة الخليفة عبدُ الملك ابن مروان ، وكان الناس قبل ذلك يُراجعون الخليفة فيما يقول ويعترضون عليه فيما يفعل ، وأَكثر ما كان ذلك على عثمان .

---

(١) سورة الأنعام الآية ١٦٤ وسورة الإسراء الآية ١٥ وسورة فاطر الآية ١٨ وسورة الزمر الآية ٧

وهو أول من ضرب الدراهم فى الإسلام وكتب فى أولها ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾[1] سنة خمس وسبعين ، وجعل كل عشرة منها وزن سبع مثاقيل ، فاستمر هذا الوزن إلى الآن . وإنما كان قبل ذلك الدراهم المشخصة ، ثم ضربها الحجاج ونقش عليها ﴿ اللهُ أَحَدٌ اللهُ الصَّمَدُ ﴾[2] ونهى أن يَطْبع أحدٌ غيرَه ، فطبع سهير اليهودى دراهمه السُّهيرية من فضة خالصة ، وجعل فيها ذهبا ، فأَمر الحجاج بقتله ، فقال : انْظُر فإن لم تكن أَجود من دراهمك فاقتلنى ، فوجدها [أجود] منها ، فأَمر بقتله لجُرأته على ضَرْبها ، قال : فإنى أعرض عليك أمرًا فإن رأيته أصلح للمسلمين من قتلى فأَعْفنى ، قال : هاته ، فوضع الأَوزان وزْنَ أَلفٍ وخَمْسِ مائة وثلاثمائة إلى وزْنِ رُبع قيراط ، فجعلها حديدا ، ونقشها ، وجاء بها إلى الحجاج ، فأَعجبه وعفا عنه ، وكان الناس قبل ذلك يأْخذون الدرهمَ الوازنَ فيزنون به غيره ، وأَكثر ذلك يؤخذ عددا .

وهو أول من نقـــل الديوان من الفارسية بالعراق ومن الرومية (٢٨٦ ا) بالشام إلى العربية .

(١) سورة الإخلاص الآية ١

(٢) سورة الإخلاص الآية ١ ، ٢

وهو أول من رفع يده على المنبر ، وهو أول خليفة بَخِل حتى كان يقال له : رَشْحُ الحجر ، لبخله ، كما تقدم فى ترجمته ، يقال إن بعض أخصائه لامه يوما على ذلك فقال : أما سمعت قول القائل : أَجِـعْ كلبك يتبَعْك ؟ فقال : أما تخشى يا أمير المؤمنين أن يُلَوِّح له غيرك بكِسْرة فيتركك ويتبعه ؟

أول من اتخذ البيمارستان للمرضى فى الإسلام الوليد بن عبد الملك ، بنى بيمارستانا بدمشق وسَبَّلَه على المرضى ، أما مصر فأول من اتخذه بها أحمد بن طولون ، بناه بالفسطاط ، وهو باق إلى الآن ، ثم اتخذ السلطان صلاح الدين يوسف ابن أيوب بيمارستانا بالقاهرة فى قاعة من قاعات القصر أُخْبِرَ أنه لا يدخلها النَّمل ، وهو باق إلى الآن ، ثم اتخذ المنصور قلاوون البيمارستان الكبير ، بين القصرين ، فأنسى ذِكْر ما كان قبله .

وهو أول من أجرى الرواتب عـلى القُرَّاء والعميان وأصحاب العاهات .

وهو أول خليفة أقام ناموس المُلْك ومنع من دعاء الخليفة باسمه ومراجعته فى الكلام ، وقام بذلك خطيبا فقال :

أيها الناس إنكم كنتم تُكلّمون من قبلى من الخلفاء بكلام الأَكْفاَء ، تقولون يا معاوية ، يا يزيد ، وإنى أُعطى اللهَ عهدا يأْخذنى بالوفاء به لا يُكلِّمنى أحد بمثل ذلك إلاَّ أتلفتُ نفسه ، ثم إن رجلا قال له بعد ذلك : اتق الله ياوليد فإن الكبرياء للهِ . فأَمر به فَوُطِئَ بالأَقدام ، فأَيقظ الناسَ ذلك .

أَول خليفة اتخذ الأَتراك أَبو جعفر المنصور ، اتخذ حَمَّادا التركىَّ ، ثم اتخذ المهدى بعده مُباركاً التركىّ وغيره .

وهو أَول خليفة جمع لعاملٍ بين الحَرْث والخَراج ، جمع بينهما لخالد بن برمك بفارس .

أَول خليفة زاد فى الكتب : وأَسأَله أَن يصلى على محمد وآله ، هارونُ الرشيدُ[1] كما تقدم فى المكاتبات (٢٨٦ ب) قالوا : وكان ذلك من أَفضل مناقبه .

وهو أَول خليفة جلس فى المصائب على البساط دون أَنماط تحته حين نُعِى إليه إبراهيم بن صالح بن علىّ ، وصار إلى

(١) الذى تقدم في ذلك هو المأمون وكذلك هو في صبح الأعشى حـ ٦ ص ٤٨١

داره وقال : لا يَحْسُن بأَحد أَن يجلس فى دار حبيب من أَهله على نَمط ولا نُمْرُقة . فاستنَّ بنو العباس ذلك فى المصائب .

أَول من دُعِىَ بنعْتِه على المنبر محمدٌ الأَمين فقيل [1] اللهم وأَصلِــحْ عبدك وخليفتك عبدَ الله محمدًا الأَمينَ . ولم يُذْكر قَبْله نَعْتُ أَحد من الخلفاء على منبر .

أَول من أَخَّر النَّيروز المتوكلُ ، وقد مرّ القول عليه فى الكلام على نقل السنة .

وهو أَول من أَمر بتغيير زِىِّ أَهل الذّمة ، وقد مر القول على ذلك فى بابه أَيضا .

الفصل الثانى

فى ذكر غرائب وملح وأَعاجيب تتعلق بالخلفاء

غرائب تتعلق بولاية الخلافة

من ولى الخلافة فى حياة أَبيه

أَبو بكر الصديق رضى الله عنه ، وليها وأَبوه حىّ .

---

(١) في الأصل : من دعا . . . . فقال : والتصويب مما سبق في الأصل عند ذكره لترتيب الخلافة .

الطائع لله انخلع له أَبوه المطيع منها حين ضعف وعجز عن القيام بها وولى مكانه ، وعاش أَبوه بعد ذلك أَربعين يوما ثم مات .

من ولى الخلافة وله أَخ أَسنُّ منه [1] .

أَمير المؤمنين علىٌّ بن أَبى طالب رضى الله عنه ، وليها وأَخوه عَقِيل أَسن منه بعشرين سنة .

يزيد بن معاوية بن أَبى سفيان وليها وأَخوه عبد الله أَسن منه .

هشام بن عبد الملك وليها وأَخوه مَسْلمة أَسنُّ منه .

يزيد بن الوليد وأَخوه إِبراهيم ، ولياها وأَخوهما العباس وغيره من إِخوتهما أَسن منهما

أَبو العباس السفاح وليها وأَخوه أَبو جعفر المنصور أَسن منه بسنين وأَعقل منه .

---

(١) في هامش الأصل بخط مختلف ما يأتى :

هذا من الخلفاء . وأما من غيرهم فإن موسى بن عبيدة الذى يروى عنه الحديث كان أخوه عبد الله أسن منه بثمانين سنة وهو من أغرب الغرائب وأعجب العجائب وأعجب منه في التقارب أن عمرو بن العاص كان بينه وبين ابنه عبد الله ثلاث عشرة سنة . ومهم الاتفاقيات؟؟

هارون الرشيد وليها وأخوه (٢٨٧ ا) محمد [بن] المهدى أسن منه

محمد الأَمين وليها وأَخوه المأْمون أَسن منه بستة أشهر وأعقل منه .

الواثق بالله وليها وأَخوه محمد والد المستعين أَسن منه .

المتوكل على الله وليها وأَخوه أَحمد أَسن منه .

المعتز بالله وليها وأَكثر إخوته أَسن منه .

القاهر بالله وليها وأَخوه هارون أَسن منه .

المطيع لله وليها وأَخوه العباس وغيره من إخوته أَسن منه .

الطائع لله وليها وأَخوه عبد العزيز أَسن منه .

من ولى الخلافة من الإِخوة :

أَربعة إخوة وَلُوا الخلافة : هم الوليد ، وسليمان ، ويزيد ، وهشام ، بنو عبد الملك بن مروان ، لا يعرف ذلك لِسِواهم .

ثلاثة إخوة ولوا الخلافة ، هم الأَمين والمأْمون والمعتصم بنو هارون الرشيد .

والمنتصر والمعتز والمعتمد بنو المتوكل .

والمكتفى والمقتدر والقاهر بنو المعتضد .

والراضى والمقتفى والمطيع بنو المقتدر .

وأما أخوان وليا الخلافة فكثير ، منهم يزيد وإبراهيم ابنا الوليد .

والسفاح والمنصور ابنا محمد

والهادى والرشيد ابنا المهدى .

والواثق والمتوكل ابنا المعتصم ، وغيرهم .

من ولى صبياً :

جعفر بن المقتدر ولى ولم يستكمل إحدى عشرة سنة .

معاوية بن يزيد ولى وله تسع عشرة سنة .

من ولى مُسِنًّا قد جاوز الستين :

أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، ولى وله إحدى وستون سنة .

عبدالله بن الزبير ولى وله أربع وستون سنة .

مروان بن الحكم ولى وله إحدى وستون سنة .

اتفاقية عجيبة فى خلع الخلفاء

قال الصولى : الناس يرون أن كل سادس يقوم بأمر الدين منذ أول الإسلام لا بد أن يُخلع . النبى صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، والحسن خلع .

ثم معاوية ، ويزيد ، ومعاوية ، ومروان ، وعبد الملك وعبد الله بن الزبير فخلع .

ثم لم يكن فى الدولة الأموية من يكمل الستة فكان منهم يزيد بن الوليد (٢٨٧ ب) ، ثم إبراهيم بن الوليد ثم مروان بن محمد وهو آخرهم .

ثم أتى الله تعالى بالدولة العباسية

فكان منهم السفاح ، والمنصور ، والمهدى ، والهادى ، والرشيد ، والأمين فخلع .

ثم المأمون ، والمعتصم ، والواثق ، والمتوكل ، والمنتصر والمستعين فخلع .

ثم المعتز ، والمهتدى ، والمعتمد ، والمعتضد ، والمكتفى ، والمقتدر ، فخلع فى فتنة ابن المعتز ثمَّ ردَّ .

قال صاحب « رأس مال النديم » : ثم القائم ثم الراضى ثم المقتفى ، ثم المكتفى ، ثم المطيع ، ثم الطائع فخلع .

قال الصلاح الصفدى : ثم القادر ثم القائم ثم المقتدى ثم المستظهر ثم المسترشد ثم الراشد فخلع .

ثم المقتفى ثم المستنجد ثم المستضىء ثم الناصر ثم الظاهر ثم المستعصم فخلع ، وقتل أيام هولاكو ملك التتار .

قلت : ثم بويع المستنصر بالله أحمد بن الظاهر بالديار المصرية فى الدولة الظاهرية بيبرس ، وجهزه الملك الظاهر إلى بغداد ليقتلعها من التتر فقتله التتر قبل وصوله إليها ، فهو فى الحقيقة من خلفاء العراق وإن بويع له بمصر ، ثم بويع بعده بالديار المصرية الحاكم بأمر الله أحمد بن الحسين ، واستقرَّ بها قدمه ، فهو فى الحقيقة أول خلفائها ، ثم كان بعده بها ابنه المستكفى سليمان ، ثم الحاكم الثانى أحمد بن المستكفى ، ثم ابنه الثانى الواثق إبراهيم ، ثم ابنه الثالث المعتضد أبو بكر ، ثم المتوكل محمد بن المعتضد أبي بكر فخلع ، ثم أُعيد ، ثم خلع ، ثم أُعيد ، ثم كان بعده ابنه الإمام المستعين بالله أبو الفضل العباس

ابن المتوكل ، ثم ابنه الثانى الإمام الأعظم المعتضد بالله أبو الفتح داود خليفة العصر ، خلد الله أيامه ، والله أعلم بمن يكون السادس فيخلع .

ملح ونوادر تتعلق بالخلفاء

ثمانية كانوا موجودين فى زمن واحد ولى كل منهم الخلافة وهم .

أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلىّ ، والحسن ، ومعاوية وعبد الله بن الزبير ، ومروان بن الحكم ، (٢٨٨ ا) كلهم كانوا موجودين عند وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد ولى كل منهم الخلافة .

أحد عشر كانوا فى زمن واحد ولى كل منهم الخلافة وهم :

الوليد بن عبد الملك ، وسليمان بن عبد الملك ، وعمر ابن عبد العزيز ، ويزيد بن عبد الملك ، وهشام ابن عبد الملك ، والوليد بن يزيد ، ويزيد بن الوليد ، وإبراهيم بن الوليد ، ومروان بن محمد ، وأبو العباس السفاح ، وأبو جعفر المنصور ، كانوا موجودين

فى آخر أيام الوليد بن عبد الملك ، وقد ولوا الخلافة .

خليفة أبو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة هو :

مروان بن الحكم .

وأولاده العشرة .

عبد الملك ، ومعاوية ، وعبدالعزيز ، وبشر ، وعمر ، ومحمد ، وعبيد الله ، وعبدالله ، وأيوب ، وداود .

وإخوته العشرة [1]

عثمان الأكبر ، وعثمان الأصغر ، والحارث ، وعبد الرحمن ، وصالح ، وأبان ، ويحيي ، وحبيب ، وعمرو .

وأولاد إخوته العشرة [2]

عبد الواحد ، وعبدالملك ، وعبد العزيز ، وسعيد ، أولاد [. . . .] [3] الحكم ، وحرب ، وعثمان ، وعمر ،

---

(١) في نسب قريش ص ١٥٩ أن الحكم بن أبي العاصى ولد أحداً وعشرين رجلا ونسوة .

(٢) في نسب قريش ١٦٩–١٧١ أولاد الحارث بن الحكم : عبد الملك وعبد العزيز وعبد الواحد وعبد ربه وعثمان وأبو بكر . وولد عبد الرحمن بن الحكم [حرب وأبان وغيرهما] وولد أبان ابن الحكم : الحكم وعثمان . وولد يحيى بن الحكم : مروان ويوسف وأبو بكر وعمرو وسلمة وحبيب . وولد حبيب بن الحكم : أم عبد الله . وانظر جمهرة أنساب العرب ص ٧٩ ولد الحكم بن أبي العاصى .

(٣) لعله عثمان بن الحكم وانظر الهامش قبله .

أولاد الحارث بن الحكم ، ويوسف وسليمان ويحيى أولاد عبد الرحمن بن الحكم .

خليفة جرت أحواله على شهر رمضان .

هو عبد الملك بن مروان ، كان يقول : وُلدت فى شهر رمضان وفُطمت فى شهر رمضان وأُعذِرْت فى شهر رمضان ، وخَتمت القرآن فى شهر رمضان ، وبلغت الحلم فى شهر رمضان ، وأتتنى الخلافة فى شهر رمضان ، وأخشى أن أموت فى شهر رمضان . فلما دخل شوال وأَمِنَ ، مات .

أربعة خلفاء تزوجوا إلى رجل واحد هم :

الوليد بن عبد الملك ، وسليمان بن عبد الملك ، ويزيد ابن عبد الملك ، وهشام بن عبد الملك . تزوّج[1] الأربعة بنات عبد الله بن عمرو بن عثمان ، فتزوج الوليد بنته عبدة ، وسليمان بنته عائشة ، ويزيد بنته أم سعيد ، وهشام بنته رُقية ، ولا يعرف مثل ذلك

خليفة ركب البريد

لا يُعرف ذلك إلاّ لموسى الهادى ، كان غائبا بجُرجان ،

(١) فى الأصل : تزوجوا . وهى على لغة ضعيفة .

فلما مات أبوه المهدىّ كتب إليه أخوه الرشيد بالخبر ، وأخذ البيعة له بالخلافة ، ووجّه مع الرسول (٢٨٨ ب) الخاتمَ والبُرْدة والقضيب ، فبلغ جُرْجان فى ثمانية أيام ، ووافى موسى بغداد على البريد بعد ثلاثة عشر يوما من موت المهدى .

خليفة سلَّم عليه بالخلافة عمُّه وعمُّ أبيه وعمُّ جده هو :

الرشيد ، سلم عليه عمه سليمان بن المنصور ، ثم العباس ابن محمد عم أبيه المهدى ، ثم عبد الصمد بن على عم جده أبى جعفر .

خليفة سلم عليه سبعة من أهل بيته كلهم ابن خليفة هو :

المتوكل ، سلم عليه محمد بن الواثق ، وأحمد بن المعتصم ، وموسى بن المأمون ، وعبدالله بن الأمين ، وأبو أحمد بن الرشيد ، والعباس بن الهادى ، ومنصور ابن المهدى .

خليفة قبَّل يد خليفة ثم قبَّل ذلك الخليفةُ يده ، هو :

المعتصم ، وقف لإبراهيم بن المهدى أيام خلافته ، ثم نزل فقبَّل يده ، ثم أدنَى منه ابنَه هارونَ فقبَّل يده وقال :

يا أَمير المؤمنين ، عبدُك هارون ابنِى ، فأَمر له بعشرة آلاف درهم ، فلما استُخْلِف المعتصم ، و كان إبراهيم قد خُلِع فقبَّل يده وقال : ياأَمير المؤمنين عبدُك هبةُ الله ابنِى ، فأمر له بعشرة آلاف درهم ، ثم حكى المعتصم هذه الحكاية لعلىٍّ بن الجُنَيد ، فلامه على عدم إنصافه لإبراهيم بن المهدى وقال : إبراهيم إنما أَمر لابنك هارون بعشرة آلاف درهم وفى يده بغداد فقط ، وأَنت فى يدك الدنيا ، فقال : صدقت ، وأَمر لهبة الله بن إبراهيم بعشرة آلاف دينار . قال الصولى ولا يُعرف خليفة قبَّل يدَ خليفة ، ثم قبَّل ذلك الخليفةُ يده إلاَّ فى هذين .

خليفة جرت أُموره كلها على ثمانية ، هو :

المعتصم ، لأَنه الثامن من ولد العباس[1] ، والثامن من خلفاء بنى العباس ، والثامن من أَولاد الرشيد ، وولد سنة ثمان وسبعين ومائة ، ومات وعمره ثمان وأَربعون سنة ، وملك ثمان سنين وثمانية أَشهر وثمانية أَيام ، وخلّف ثمانية

(١) أى أنه المعتصم بن الرشيد بن المهدى بن المنصور بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس . فهم ثمانية .

بنين وثمان بنات ، وخلّف العَيْن ثمانية آلاف ألف دينار وثمانية وعشرين ألف ألف درهم وثمانى عشر ألف دابّة ، وفتوحه ثمانية ، وتوفى لثمان بقين من ربيع الأول . إلى غير ذلك من عدد (١٢٨٩) الثمانية ، أمور قدّرها الله تعالى له .

خليفة تنقل فى خمس طبقات هو :

إبراهيم بن المهدى ، كان فى طبقة أبناء الخلفاء ، ثم صار خليفة ، ثم صار فى طبقة النُّدماء ، ثم صار فى طبقة المُغَنِّين ، ثم صار فى مشيخة بنى هاشم .

خليفة كانت خلافته يوما أو بعض يوم هو :

عبد الله بن المعتز ، وقد تقدّم ذكره .

خليفة قَتَل ابنَه هو :

سليمان بن عبد الملك ، قتل ابنه أيوب صَبْراً .

خليفة قتل أباه هو :

المنتصر ، قتل أباه المتوكل بأن قيّض له غلمانه من الترك فقتلوه .

خليفة قتل أخاه هو :

المعتز ، قتل أخاه المُؤيَّد بعد أن خلعه من العهد

خليفة قتل عمه هو :

أبو جعفر المنصور ، قتل عمه عبدالله بن على .

أما من قتل ابن أخيه فكثير ، كالمعتصم قتل العباس ابن أخيه المأمون بالمرازب .

خليفة ليس له عقب ، هو :

معاوية بن يزيد بن معاوية .

خليفة انقطع عقبه هو :

أبو العباس السفاح .

خليفة جاوز سنهُ التسعين هو :

القادر بالله ، بلغ ثلاثا وتسعين سنة .

خليفة لم يبلغ عمره عشرين سنة هو .

معاوية بن يزيد بن معاوية .

امرأة زوجها خليفة وابنها خليفة وزوج ابنتها خليفة هى :

فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، زوجها

أَمير المؤمنين علىّ بن أَبى طالب وابنها الحسن السبط .
وزوج ابنتها أَمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ؛
زوجُ بنتها أُمِّ كلثوم بنتِ علىّ .

ثلاث نسوة لا رابعة لهن ولدت كلٌّ واحدة منهن
خليفتين وهن :

ولأّده بنت العباس العَبْسِيَّة زوجة عبد الملك بن مروان ،
ولدت له الوليد وسليمان ، كل منهما ولى الخلافة .

وشاهريد بنت فيروز بن يزدجرد ، زوجة الوليد بن
عبد الملك ، ولدت له يزيد وإبراهيم ، كل منهما ولى
الخلافة .

والخَيزُران زوجة المهدىّ ، ولدت له موسى الهادى
وهارون الرشيد ، ولى كل منهما الخلافة .

امرأَة لها اثنا عشر محرما كل منهم خليفة هى :

عاتكة بنت يزيد بن معاوية ، يزيد أَبوها . معاوية جدها ،
معاوية بن يزيد أَخوها ، عبد الملك بن مروان زوجها ،
مروان بن الحكم حَمُوها ، يزيد بن (٢٨٩ ب) عبد الملك

ابنها ، الوليد وسليمان وهشام بنو زوجها ، إبراهيم ويزيد ابنا الوليدِ ابنا ابنِ زوجها .

ونحوها ، فاطمة بنت عبد الملك ، أَبوها عبد الملك ، وجدها لأَبيها مروان ، وإخوتها الوليد وسليمان ويزيد وهشام أَولاد عبد الملك ، وبنو عمها الوليد بن يزيد ويزيد وإبراهيم ابنا الوليد ، وزوجها عمر بن عبد العزيز ، وجدها لأَبيها يزيد بن معاوية ، وأَبو جدها معاوية بن أَبي سفيان ، وعمها معاوية بن يزيد بن معاوية .

وقريب منها في بني العباس ، زبيدة بنت جعفر بن أَبي جعفر المنصور ، جدها المنصور ، وأَخو جدها السفاح ، وزوجها الرشيد ، وعمها المهدى ، وابنها الأَمين ، وابنا زوجها المأْمون والمعتصم ، وابنا ابن زوجها الواثق والمتوكل .

أُم خليفة تزوجت بعد خلافة ابنها هى :

أُم خالد بنت أَبي هشام أُمُّ معاوية بن يزيد ، تزوجت بعد موت زوجها [1] مروانَ بنَ الحكم .

امرأَة تزوجها ثلاثة خلفاء هى :

(١) في الأصل : موت ابنها . هذا وقد تزوجت هى في حياة ابنها .

عبدة بنت عبدالله بن يزيد بن معاوية ، تزوجها الوليد وهشام بن عبد الملك ومروان بن محمد .

ليلةٌ وُلد فيها خليفة ومات خليفة وولى خليفة هى :

ليلة السبت لأَربع عشرة ليلة بقيت من ربيع الأَول سنة سبعين ومائتين ، وُلد بها المأْمون ، ومات الهادى ،واستُخلف الرشيد .

أَعاجيب فى سَعَةِ أَموال الخلفاء

رأَيت فى بعض التواريخ أَن يزيد بن عبد الملك بن مروان كان قماشه يحمل على ستمائة جمل ، وأَنه خلف عشرة آلاف قميص لنفسه . ولْيُقَسْ على ذلك باقى أَمواله . هذا والخلافة بعدُ لم تبلغ حَدَّ العظمة .

وحكى الثعالبيُّ أَن أَبا جعفر المنصور مات عن تِسعِ مائة أَلف أَلف درهم ، وخمسين أَلف أَلف درهم .

وحكى الصولى أَن الرشيد خلف مائة أَلف أَلف دينار .

وحكى غيره أَن الرشيد خلّف من الأَموال ما لم يُخَلِّف أَحدٌ مثله منذ كانت الدنيا ، وذلك أَنه خلف من الأَثاث والعَيْن

والجَوهر والوَرِق والدَّوابّ ما قيمته مائة ألف ألف وخمسة وعشرين ألفا خارجاً عن الضِّياع والعَقَار .

(٢٩٠ ا) وحكى إبراهيم بن نوح أن الذى خلفه المكتفى مما جمعه المعتضد ومن بعده مائة ألف ألف دينار ، والجوهر والطيب وما يجرى مجراه عشرون ألف ألف دينار ، والكسوة والفرش عشرون ألف ألف دينار ، والكُراع والسلاح والغلمان عشرون ألف ألف دينار ، والضياع والعقار والأملاك عشرون ألف ألف دينار ، وكان فيما أُحصِى من المتاع المخلَّف عن المكتفى من الثياب المَرْوَزِيّة والخراسانية ثلاثة وستون ألف ثوب ، ومن المُلاء ألف ملاءة ، ومن الغمائم المروزية ثلاثة عشر ألف عمامة ، ومن الثياب المروزية المقصورة أربعة آلاف ثوب خارجا عن الخام ، ومن الحُلل الوَشْى اليمانىِّ المعدَّة والمنسوجة بالذهب ألف ألف وثمان مائة حُلّة ، ومن البطائن التى تُحمل من كرمان فى أنابيب قصب فارس مما لم يُعْهد مثله ثمانية عشر ألف أنبوبة ، بيعت كل أنبوبة منها بدينارين ، وما أُحصى فى خزائن الفرش من البُسط الأَرمينية وغيرها ثمانية عشر ألف بساط

وعقد المأمون فى يوم واحد لأخيه المعتصم على المغرب وأمر له بخمسمائة ألف دينار ، ولابنه العباس على الثغور والعواصم وأمر له بخمسمائة ألف دينار ، ولعبد الله بن طاهر على الجَبل ومحاربة بَابَك وأمر له بثلاثمائة ألف دينار ، ثم أمر لسائر القوّاد بسبعمائة ألف دينار ، فكان جملة ما فرّقه فى ذلك اليوم ألفى ألف دينار ، فقال عمرو بن الفرج الرُّخَّجِى : هذا يوم فُرِّق فيه من المال ما لم يُفَرَّق مثله مذ كانت الدنيا .

وقد مرَّ أن المعتصم خلف ثمانية آلاف ألف دينار وثمانية وعشرين ألف دينار ، وثمانية عشر ألف دابة خارجا عما عدا ذلك من الأموال .

ويقال : إن المقتدر خلف نَيِّفا وستين ألف ألف دينار بتكرير الألف مرتين ، وذلك مما جمعه الرشيد ومَنْ بعده .

ولما عُمِلت دعوةُ المأمون حين تَزوَّج بوران بنت الحسن ابن سهل أقام أبوها للمأمون ولجميع قواده وأصحابه بفَمِ الصِّلْح أنزالهم أربعين يوما ، واحتفل بما لم يُرَ مثلُه نفاسة وكثرة .

قال المبرّد : سمعت الحسن بن بغا يقول : كنا نُجْرِى أَيام مُقام المأْمون عند (٢٩٠ ب) الحسن على ستة وعشرين أَلف ملاّح ، ولما كانت ليلة البِناء وجُلِيت بورانُ على المأْمون فُرِش خصيرٌ من ذهب ، وجِئ بمِكْتل مُرَصَّع فيه دُرٌّ كبارٌ فنُثِرت على مَنْ حضر من النساء ، وفيهن أُمُّ جعفر وحَمْدونة بنت الرشيد ، فما مسَّ مَنْ حضر من الدُّرِّ شيئا ، فقال المأْمون : شَرِّفْنَ أَبا محمد وأَكرمْنها ، فمدَّت كلٌّ واحدة يدها فأَخذت دُرَّة ، وبقيت سائرُ الدرر تَلُوح على حصير الذهب ، فقال المأْمون : قاتل الله الحسن بنَ هانئ ، كأَنه قد رأَى هذا حيث يقول :

كأَنَّ صُغْرَى وكُبرى من فواقِعها
حصباءُ دُرٍّ عَلى أَرضٍ من الذَّهَبِ

وكان فى المجلس شمعة عنبر فيها مائتا رطل ، فضجَّ المأْمونُ من دُخانها ، فعملت له مُثُلٌ من الشمعِ فكان الليل مدّة مُقامه مثل النهار ، ولما كانت دعوة القوّاد نُثرت عليهم رقاعٌ فيها أَسماء ضِياع ، فمن وقعتْ فى يده رقعةٌ بضَيْعة أَشهد له الحسنُ بها ، ويقال : إنه أَنفق

فى هذه الدعوة أربعة آلاف ألف دينار ، فلما أراد المأمون أن يَصعد أمر له بألف ألف دينار ، وأقطعه الصِّلْح ، وعَتَبه على احتفاله ذلك الاحتفال ، وحَمْله على نفسه ، فقال له : ياأمير المؤمنين ، أَيُظَنُّ ذلك من مال سَهْلٍ ؟ واللهِ ما هو إلاّ مالُك رُدَّ إليك ، وأردت أن يُفَضِّل اللهُ أيامك ونكاحك كما فضَّلك على جميع خلقه .

فانظرْ إلى هذه الدعوة وما كان فيها وهى نَغْبةٌ فى بحر الخلافة .

ولما أعذر المتوكل ابنَه المعتزّ جلس بعد فراغ القواد والأكابر من الأكل ، فقُدِّمت بين يديه مرافع ذهب مرصعة بالجوهر ، وعليها أمثلة من العنبر والمسك والنَّدّ المعجون على جميع الصور ، وجُعلت بساطا ممدودا ، وأُحضر القواد والجلساء وأصحاب المراتب فوُضعت بين أيديهم صوانٍ من ذهب مرصعة بأصناف الجوهر من الجانبين وبين السماطين فُرجة ، وجاء الفرّاشون بزنابيل قد غُشِّيت بالأَدَم مملوءة دراهم ودنانير نصفين ، نُصّتْ فى الفرجة التى بين السماطين حتى ارتفعت على الصوانى ، وأُمر الحاضرون

أن يشربوا (٢٩١ ا) ويأْخذ كل واحد ممن يأْكل ويشرب من تلك الدراهم والدنانير بثلاث حَفنات ما حملت يديه ، وكلّما خَف موضع صُبَّ عليه من تلك الزنابيل حتى يُرَدَّ إلى حالته ، ووقف غلمان فى آخر المجلس وقالوا : إن أَمير المؤمنين يقول لكم : ليأْخذْ من شاء ما شاء . فمدَّ الناس أَيديهم إلى المال فأَخذوه ، وكان الرجل يُثقله ما معه فيخرج به ويسلمه إلى غلمانه ويرجع إلى مكانه ، ولما انقضى[1] المجلس خلع على الناس أَلف خلعة ، وحُملوا على أَلف مركب بالذهب والفضة ، وأَعتق أَلف نسمة .

وحكى العسكرى فى كتابه « الأَوائل » عن أَحمد بن حمدون قال : عملت أم المستعين قلاَّية لم يبق شىء حسن إلاَّ جعلته فيها ، وأَنفقت عليها مائة أَلف دينار وثلاثين أَلف دينار . وسأَلت ابنها المستعين أَن يقف عليها ، قال أَحمد : فقال لى ولأُتْرُجَّة الهاشمىِّ : اذهبا وانظرا إليها وصِفاها لى ، فمضينا فرأَيناها ، فما رأَينا فى الدنيا شيئا حسنا إلا وقد عمل فيها ، ومَدَدْت أَنا يدى إلى غزال من ذهب مُلِئ عنبرا ، عيناه حَبَّتا جوهر ، وعليه سَرْج ولجام

(١) لعلها محرفة أيضا عن : انفضّ .

وركاب من ذهب ، فأَخذته ووضعته فى كُمِّى ، وجئنا فوصفنا له حسنها ، فقال له أُتْرُجَّة : إنه سُرِق منها ، وغمز به علىَّ . فقلت : ياسيدى ، أُلاَمُ على مثل هذا ؟ فقال : ارجع فخذ ما أَطقْتَ حَمْلَهَ مما تريده ، فقال أُترجة : وأَنا معه ؟ قال : وأَنت معه ، فمضينا فملأْنا أَكمامنا وخِفافنا ، وفتحنا أَقْبيتَنَا وجعلنا تحتها ما قدرنا عليه ، وعقدنا أَطراف الشفاشح فوق ذلك ، وأَقبلنا نمشى مَشْى الحَبَالى ، فلما رآنا ضحك ، فقال له الجلساء : فنحن ما ذنبنا ؟ قال : قوموا أَنتم أَيضا ، وقال المغنّون مثل ذلك ، فأَذن لهم ، وجاء فوقف على الطريق ينظر كيف يحملون ما معهم ويضحك ، فنظر يزيدُ المُهلَّبى إلى سطل من ذهب مملوء مِسكا ، فأَخذه وخرج ، فقال : إلى أَين ؟ قال : إلى الحَمَّام ، فضحك وأَمر الأَطباء والخدم والفرَّاشين فانتهبوا الباقى ، فوجَّهت إليه أُمه تقول : سَرَّ الله أَميرَ المؤمنين فى جميع أَفعاله ، كنت (٢٩١ ب) أُحب أَن تراها قبل أَن تُفَرِّقها ، فقال ، يعاد مثلها ، فأُعيد مثلها فى مدة شهرين .

إلى غير ذلك من حكايات أَموالهم التى لا يأْخذها حصر ولا تدخل تحت حَدّ .

ولله خزائن السموات والأَرض .

قال الثعالبى : وكان يقال : لبنى العباس فى المال فاتحةٌ وواسطةٌ . وخاتمةٌ ، فالفاتحة المنصور ، والواسطة المأْمون ، والخاتمة المُعتضد ، يقال : إن ما جمعه السّفّاح إلى الرشيد فرّقه الأَمين .

اعتبارٌ وعظة فى موت عظماء الخلفاء الذين ملكوا الأَرض ودوّخوا البلاد ، وأَحاطوا بالأَقاليم والأَقطار ، وحُمِل إليهم أَموالها .

قال أَحمد بن أَبى دُوَاد : لقد شددت لَحْيَىِ المأْمون والمعتصم والواثق بيدى ، فما تهيّأَ لى فى القيام على واحد منهم عند تلك الحالة وجود خرقة أَشد بها لَحْيَيْه ، وإنما كان مُعَوَّلى على الدراريع التى تكون معى أَخرق منها .

ولما مات المكتفى شُغِل الناس عن مواراته بأَمر المقتدر المستخْلَف بعده ، فاجتاز به صاحب خزانة الكسوة ، فوجد على وجهه ردَاء قصب فأَخذه ، وقال : هذا أُطالب به ، فاجتاز به بعض خدمه فبكى لمّا رآه مكشوفا ، فأَخذ منديلا كان على رأْسه فنشره على وجهه ، ولما نُقل إلى دار

الغُسل والتكفين لم تُوجد مِجْمرة يُبَخَّر فيها ، فأُخِذَتْ غَضَارةٌ من غضائر الخزف الأَحمر فبُخِّر فيها الموضع ، وكان مما خلّفه أُلوفٌ من مجامر الذهب والفضة ، وقد مرَّ ذِكْر ما خلَّفه فى الكلام على سعة أَموال الخلفاء قبل هذا.

ولله أَبو نواس حيث يقول :

إِذا اختبرَ الدُّنيا لبيبٌ تَكَشَّفَتْ

لَهُ عَنْ عَدُوٍّ فى ثيابِ صَدِيقِ

عِبْرة ، قال الصولى : حدثنى الحسين بن يحيى الكاتب قال : لما ولى المعتز لم يَمض إلاَّ مدة حتى أُحضِر الناسُ وأُخرجَ المُؤَيَّد فقيل : اشهدوا أَنه دُعىَ فأَجاب ، وليس به أَثر ، ثم مضت أَشهر ، فأُحضِرَ الناسُ وأُخرج المُستعينُ فقال : إن مَنِيَّته أَتت عليه وها هو لا أَثر فيه ، فاشهدوا . ثم مضت مُدَيدة (٢٩٢ ا) واستخلف المهتدى ، فأُخرج المعتزُّ ميتا وقيل : اشهدوا أَنه قد مات حَتْف أَنفه ولا أَثرَ بِه ، ثم لم تكمل السنةُ حتى استُخلف المعتمدُ فأُخرج المهتدِى ميتا وقيل : اشهدوا أَنه قد مات حَتْف أَنفه من جراحته ، فتعجَّب الناس من تلاحقهم فى مدة يسيرة .

مثلها ، لما اشتدت عِلَّة الواثق دخل أيتاخ لينظر إليه هل مات أم لا ، فلما دنا منه نظر إليه الواثق بمُؤْخِرِ عينيه ، ففزع أيتاخ وجزع ، وخرج القهقرى ، فسقط على وجهه هيبة منه فاندقَّت يده وانكسر سيفه ، فلم يمض إلاَّ ساعة حتى مات الواثقُ فعُدِل به إلى بيت ليُغسل فيه ، فجاءت فأْرة فأَكلَت عينه التى نظر بها إلى أيتاخ ، فعجب الناس من أَكل فأْرة عيناً فَزِع من لَحْظها أيتاخ حتى تراجع وسقط على سيفه فانكسر ، وذلك فى بعض يوم.

نظيرها ، لما جِيءَ برأْس مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أُمية إلى عبدالله بن على أَمر بعزله ، فجاءت هِرَّة فقطعَت لسانه وجعلت تَمضغه ، فقال عبدُ الله بن علىٍّ أَو غيرُهُ : لو لم يُرِنَا الدهرُ من عجائبه إلاَّ لسانَ مروانَ فى فم هذه لكَفَانا . وكان مروان قبل ذلك قد عرض [1] فى ظهر الحِيرَة سبعين أَلف عربىّ على سبعين أَلف فَرَس ، ثم قال : إذا انقضت المُدَّة لم تنفع العُدَّة .

تعقيب ، قد تقدم فى الكلام على تراجم خلفاء بنى

---

(١) فى الأصل اعرض .

العباس بالديار المصرية أنه مذ نقلت الخلافة إلى الديار المصرية رَادَف خلفاؤها الخلفاء الماضِين فى ألقاب الخلافة ، فتلقَّب أَحمد بن الظاهر أول من بويع بها بالمستنصر ، وتلقّب أَحمد بن الحسين بعده بالحاكم ، وتلقّب ابنه بعده بالمستكفى ، ثم تلقب بنو المستكفى بالحاكم والواثق والمعتضد ، على ما تقدّم بيانه فى تراجمهم ، وهذا إنما كان ينبغى إذا لم يتأَتَّ الإِتيان بأَلقاب جديدة مُقتضبة ، وذلك أَمر غير مُمتنع ، فكان من حَقِّهم أَن يقتضبوا لكل واحد لقبا غير ما تقدم .

وقد ذَكر فى « نقط العروس » ألقابا تصلح للخلافة (٢٩٢ ب) لم يتلقّب بها أَحد ، فعدَّ منها : المُعَوِّل على الله ، المُؤَمِّل لله ، الراغب إلى الله ، الساعى لله ، المحيى لدين الله ، المستجيش بالله ، المُؤْثر للحق فى الله ، المُرْتَقِب فى الله ، المراقب لله ، المتعزز بالله ، المستعِدُّ بالله ، المسدَّد بالله ، السَّدِيد بالله ، الشديد بالله ، المُستهدى بالله ، المُستعصم بالله ، العاضد لحق الله ، المعان بالله ، الكافى فى الله ، المظْهر لدين الله ، الحامى فى الله ، المُحْتمى فى الله ،

الراجى لله ، المرتَجِى لله ، المكتفى بالله ، المُرْضِى لأَمر الله ، المُسْلِم لله ، المستسلم لله ، المُحامى فى الله ، المُرشد إلى الله ، المحافظ فى الله ، المحفوظ بالله ، العائذ بالله ، اللائذ بالله ، الصادع عن الله ، المستند إلى الله ، الذَّابّ عن دين الله . وهذه لم يتسمَّ بها أَحد من الخلفاء إلى الآن ، وعدَّ منها المستكفى بالله ، الحافظ لدين الله ، والمستعلى بالله ، وهذه قد تُلُقِّب بها بعد زمانه ، فالمستكفى تلقَّب بها بعضُ خلفاء بنى العباس ، والحافظ لدين الله ، والمستعلى بالله تلقب بهما بعض الخلفاء الفاطميين بمصر ، على أن المتتبِّع لو تتبع ذلك لأَتى منه بالقدر الكبير . والله أَعلم .

الخاتمـــة

فيما يختص بالإمام الأعظم المعتضد بالله خليفة العصر الموضوع له هذا الكتاب

وفيه فصلان :

الفصل الأول

فى نسبه

هو الإمام الأعظم المعتضد بالله أبو الفتـــح داود بن الإمام المتوكل على الله أبى عبدالله محمد بن المعتضد بالله أبى الفتح أبى بكر بن المستكفى بالله أبى الربيع سليمان بن الحاكم بأمر الله أبى العباس أحمد بن الأمير الحسين بن الأمير أبى بكر بن الأمير على المعروف بالقبى بن الأمير حسن ابن الراشد بالله أبى جعفر المنصور بن المسترشد بالله أبى منصور الفضل بن المستظهر بالله أبى العباس أحمد بن المقتدى بأمر الله أبى محمد عبدالله بن ذخيرة الدين ولىّ عهد المسلمين محمد بن القائم بأمر الله أبى جعفر عبـــد الله بن القادر بـــالله أبى العبـــاس أحمـــد بن (٢٩٣ ا) الأمير

إسحاق بن المقتدر بالله أبي الفضل جعفر بن المعتضد بالله أبي العباس أحمد بن الأمير الموفّق طلحة بن المتوكل على الله أبي الفضل جعفر بن المعتصم بالله أبي إسحاق محمد ابن الرشيد أبي محمد هارون بن المهدى أبي عبد الله محمد ابن المنصور أبي جعفر بن محمد الكامل بن عليٍّ السَّجَّاد بن عبد الله حَبْر الأُمَّة بن العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصَيّ بن كِلاب ابن مُرَّة بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضْر بن كِنانة بن خُزَيمة بن مُدْرِكة بن الياس بن مُضَر بن نِزار بن مَعَدّ بن عدنان بن أُدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه السلام بن تارح وهو آزر بن ناحور ابن شاروح بن راغو بن فالغ بن عابر بن أرفخشد بن سام ابن نوح عليه السلام بن لامك بن متوشلح بن خنوخ وهو إدريس عليه السلام بن برد بن مهليل بن قينن بن يانش ابن شيث بن آدم عليه السلام .

هذا ما ذكره ابن إسحاق[1] فى «سيرته» ، وفى كثير من

(١) أى في امتداد النسب من عبد المطلب إلى آدم أو من عدنان إلى آدم .

التواريخ ما يخالف فى بعض هذه الأسماء فيقال فى نابت نبت وفى لامك لمك ، وفى خنوخ أخنوخ بألف فى أوله ، وفى مهليل مهلاييل ، وفى قينن قينان ، وفى يانش أنوش ، والمتفق عليه إلى عدنان ، وفيما وراء ذلك إلى آدم اختلاف كثير.

قلت : وعلى هذا النسب يكون من أمير المؤمنين إلى آدم عليه السلام خمسة وسبعون أبا .

منه إلى العباس عم النبى صلى الله عليه وسلم تسعة وعشرون أبا ، ومن العباس إلى آدم عليه السلام ستة وأربعون أبا ، ويكون نسبه الشريف قد اشتمل على ثمانية عشر خليفة ، منهم أربعة خلفاء بمصر ، وهم المتوكل والمعتضد والمستكفى والحاكم ، وثلاثة عشر خليفة بالعراق ، وهم الراشد والمسترشد والمستظهر والمقتدى والقائم والقادر والمقتدر والمعتضد والمتوكل والمعتصم والرشيد والمهدى والمنصور ، وصحابيّان وهما العباس عم النبى صلى الله عليه وسلم وابنُه حبْرُ الأُمة عبد الله (٢٩٣ب) وستة أنبياء وهم إسماعيل وإبراهيم ونوح وإدريس وشيث وآدم عليهم السلام . ويلتقى مع النبى صلى الله عليه وسلم فى هاشم[1] وكذلك مع أمير المؤمنين على بن أبى طالب ،

(١) في هامش الأصل بخط مختلف ماياتى : هذا خطأ بل يلتقى في عبد المطلب بن هاشم ولعل في النسخة خطأ وصوابه : في عبد المطلب بن هاشم .

ويلتقى مع أَبى بكر الصديق فى مُرَّة بن كعب ، ومع أَمير[1] المؤمنين عمر بن الخطاب فى كعب بن مُرَّة ، ومع أَمير المؤمنين عثمان بن عفان ومعاوية بن أَبى سفيان وسائر خلفاء بنى أُمية فى عبد مناف ، ومع عبد الله بن الزُّبير فى قُصَىٍّ بن كلاب . وأَكْرِمْ به من نَسبٍ طاب أَصلُه وزكَتْ فروعُه .

الفصل الثانى

فى ذكر طرف من مناقبه وأَوصافه .

هو أَجلُّ من نطقت بمفاخره الأَقلام ، وحُبِّر فى وصفه الكلام . وأَجملَ اللسانُ فى محاسنه البثّ ، وأَعمل البيانُ نُجُب الأَقلام فى رَقْم محامِدِه الحَثّ ، وأَتى بِشِيمه التى كم عِطْفٍ هَزَّتْه ، وكم جوادٍ فَخَارٍ لَزَّتْه ، وكم عِزٍّ أَسمعته ، وسامعٍ أَعزَّتْه ، وَمَهارقَ عادتْ بتسطير مناقبه حِبَرًا ، وجَمٍّ فضائِلَ كانت لذلك مبتدأً وخَبَرا .

فَهِى الشِّيَمُ التى لو تجسدت

* لكانتْ لِوَجْهِ الدهر عَيْناً وحَاجِبَا *

(١) فى الأصل : وفى أمير المؤمنين .

من بخلافته فخر العصر ، ومن لا تُدرك معاليه بإحصاء ولا حَصْر ، ومن أتت صفاته من كلِّ فضل بالجَمْع إذا أَتى غيرُها بالقَصْر ، ومن غدا بابُه الشريفُ محَطَّ رِحال الآمال ، ومَلْقَى عصا الترحال[1] ، وسبيلَ غَيْث الجدَا ، ومَطلعَ نَجْم الهُدَى ، وَمَحلَّ مَحَلِّ الحُبَا[2] وموطن الجُود والحِبَا ، لا تَعِنُّ له فرصةُ خير إلاَّ انتهزها ، ولا شاردةُ مثوبةٍ إلاَّ أَحرزها ، ولا مساءَةٌ إلاَّ حجَبَها[3] ولا مَبَرَّة إلا أَبرزها ، فلا لسانٌ عن ذِكْر محاسنه عَشَا ، ولا مَلِك إلاّ ومِن بابه أَوْ بابِ آبائه الخلفاء الراشدين انْتَشى ، فهو على الحقيقة إمام الدين وخليفة الإسلام ، والإمام الذى اتصل نسبه بالأَئمة فهو (٢٩٤ ا) الإمامُ بنُ الإمامِ بن الإمام ، ما تكلّم إلاَّ أَتى بكل مُعجب مُعْجِز ، ولا تحدَّث فأَوجزَ إلاَّ وَدَّ المُحَدَّثُ أَنه لم يُوجِزْ ، فلو كان الفصلُ رايةً لكان عَرَابَتَها ، أَو وُجوهاً لكان وسامَتَها ، كم حَلَّى من جِيد ، وأَعاد بمسرة الإحسان إلى الخلق مِنْ عِيد ، وأَجرى من صَدَقَات ، ونَحَل أَبكار المعالى من صَدُقات ، وأَضحى لأُولى الرتب ببابه

(١) في الأصل : « الآمال » وهو تكرار والمشهور ألقى عصا الترحال .

(٢) محل الأولى بمعنى المكان ومحل الثانية من حل الشيء وفكه .

(٣) لعلها أيضا : حجزها .

الشريف ازدحام ، ولثغر الرجاء برحابه ابتسام ، فالمال فى وجوه المعروف يصرفه ،وفى المَبَرَّات يُفْنيه وفى القُرُبات يُتلِفُه .

فصَيَّرَ الشَّطْرَ إنعاما ومَوْهِبةً
وصَيَّر الشَّطْر أَحْبَاساً وَأَوْقَافَا

فساحتُه ، التى يَأْوِى إليها الظاعنُ ولايَظعن عنها المُقِيم ، وبرُّه ، الذى غدا للسائل المُنِيلَ وفى دَعَتِه المُنِيم ، فمنْهل بابه العذبُ كثير الزحام ، ومسلكه العَالُّ للطلاَّب سهْلُ الاقتحام ، وأفضاله مُتَّسقةُ الفرائد ، وبِرُّه يانعُ الروضِ للرَّائد ، فلجَبْهة الخلافة منه غُرَر ، ولأُفُقِها من طلعته الميمونة نجم يُربِى على القمر ، فكل رداء يرتديه جميل ، وكلُّ أَوصافه لها إلى حسن الثناء سبيل ، حاجات المضطَرِّين تُوافيه فيَقضيها ، وساعاتُ يومه فى اصطناع المعروف يَقضيها ، ورِحابُه الفسيحة مُستجْمَع الرائح من الناس والغادى ، وملجَأُ الحاضر والبادى .

لمُلْتَمِسى الحاجاتِ جَمْعٌ ببابِه
فهذا له شأْنُ وهذا له شَأْنُ

فللبائس النُّعْمى وللمُعْدِم الغِنَى
وللظاعن المَأْوى وللخائف الأَمْنُ

فلا راحةٌ تخلو من رَاحةِ جُوده ، ولا ساحةُ أَمل تُقْفِر من وُفُوده ، ولا مُنْقَطِعٌ إلاَّ وله منه صِلَةٌ وعائِد ، ولا سائلٌ إلاَّ أُجْرِى من عطائه على أَجمل العوائد ، قطوفُ الأُجور لديه دانية ، ومعروفُه المعروفُ يَسْرِى إلى كافة الآنام سِرًّا وعَلاَنية ، فلم يأْتِ أَحد بمثل إيثاره ، ولم يستطع فى الخير سُلوكَ آثاره ، فالرُّواة (٢٩٤ ب) تتحدث بأَخباره ، والحُداة تترنّم بأَسماره ، والأُمَّةُ تُلقى عصا تسيارها لديه ، وتُهْرَعُ من كُلِّ فجٍّ إليه ، فتجد مآثِرَه لا تُحْصَى عجائبُها ، ولا تُعَدُّ فرائدها وغرائبها ، وأَنى تُحْصَرُ مآثره وهل تُحصر البحار بمقال ، أَو يُحْصَى وافرُ كَرَمه وهل تُحْصى الرِّمال .

وقَدْ وجَدْتَ مكانَ القَوْلِ ذَا سَعَةٍ

وإن وَجَدْتَ لساناً قَائلاً فَقُلِ

والمسئولُ من الله تعالى أَن يُديم أَيامه دواما لا يَنْقُصَه اختزال ، ويُمدَّ رُواقَ دولته مَدًّا لا يعتريه زوال ، ويجعل مَدْحَه الظاعنَ وشَخْصَه المُقيم ، ويمنحه فى هذه الدار النِّعمةَ وفى الدار الآخرة النعيم ، إنه وَلِىُّ ذلك والقادِرُ عليه ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

الفهارس

١ ــ فهرس الموضوعات

٢ — فهرس الآيات

رقم الآية	الآيـــــة	الصفحة
١٠٢	يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون	١٦، ١٣٦، ١٦٠، ١٧٢
١١٠	كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنـكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الـكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون	٢٥، ٢٣٠
١١٨	يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون	٢٣١
١٣٣	وسارعوا إلى مغفرة من ربـكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين	١٨٩
١٣٨	هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين	١٠٧ — ١٠٨
١٤٤	وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابـكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين	٢٤٩—٢٥٠
١٥٩	فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين	٢١، ٩٢، ١١٠، ١٤٤، ١٥٦
	سورة النساء	
٦	فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا	١٤٧
٥٨	إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها	٢٧ ، ٦٣
٥٩	يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم	١٠٥، ١٧٤، ٢٥٧
٦٩	وحسن أولئك رفيقاً	٥٤

رقم الآية	الآيــــــــــــة	الصفحة
	سورة المؤمنون	
١ ، ٢	قد أفلح المؤمنون * الذين هم في صلاتهم خاشعون	١٠٨
٧٠	وأكثرهم للحق كارهون	٩٦
	سورة النور	
٣٦ ، ٣٧	أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال * رجال	٤٦
	سورة الشعراء	
١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣	أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين * وزنوا بالقسطاس المستقيم * ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين	١١٩
٢١٤	وأنذر عشيرتك الأقربين	١٧٦ — ١٧٧
	سورة النمل	
٤٠	ومن شكر فإنما يشكر لنفسه	٩٦
	سورة العنكبوت	
٤٥	وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر	١٨ ، ١٠٨ — ١٠٩ ، ١٧٣
٦٩	والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين	١١٨
	سورة لقمان	
١٤	أن أشكر لى ولوالديك إلى المصير	٢٩٤
١٧	وأمر بالمعروف وانه عن المنكر	٩٤
٢٠	ألم تر أن الله سخر لكم مافي السموات ومافي الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولاهدى ولاكتاب منير	٢٦٦
	سورة الاحزاب	
٢٦	وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم	٤٥

٣ ـ فهرس الأحاديث

٤ ـ فهرس القوافي ومثل

أول البيت	قافيتـــه	بحره	الصفحة
كأن صغرى	من الذَّهَب	البسيط	٣٦٦
جانبك	مباركُ الجُرْبِ	الكامل	٣٤٤
وإنك لا	هو أسعدُ	الطويل	١١
ولو منّ	إليك المنبرُ	الكامل	٦٨
فَصَيَّر الشطر	وأوقافا	البسيط	٣٨٠
إذا اختبر	ثياب صديق	الطويل	٣٧١
فإن كنت	ولمّا أُمزَّقِ	الطويل	٢٣٨
وقد وجدت	قائلاً فقُلِ	البسيط	٣٨١
لملتمس الحاجات	له شأنُ	الطويل	٣٨٠

شطر بيت

لكانت لوجه الدهر عيناً وحاجبا ٣٧٨

مثل

أجِـعْ كلبك يتبعك ٣٤٦

٥ ـ الكتب التى ذكرها المؤلف

٦ ـ فهرس الأعلام

٧ ـ فهرس الأماكن والطوائف

٨ ـ نوادر وطرائف وكتب بعهود وغيرها

٩ ـ فهرس المراجع

إتحاف فضلاء البشر : المطبعة الميمنية ١٣١٧

الأحكام السلطانية : مطبعة السعادة ١٣٢٧

الاستيعاب بهامش الإصابة ١٣٢٨

الإصابة : مطبعة السعادة ١٣٢٨

الأغانى : طبع دار الكتب ودار الثقافة ببيروت

إنباه الرواة : طبع دار الكتب

تاريخ الخلفاء : المطبعة الميمنية ١٣٠٥

تاريخ الطبرى : طبع أوربا بريل ١٨٩٣

تاريخ أبى الفداء : طبع الآستانة ١٢٨٦ واسطنبول ١٢٨٠

جمهرة أنساب العرب : دار المعارف

حياة الحيوان : مطبعة المعاهد ١٣٥٣

ابن خلكان وفيات الأعيان : المطبعة الميمنية

ديوان الأفوه الأودى (الطرائف الأدبية) : مطبعة التأليف ١٩٣٧

ديوان الشريف الرضى : مطبعة نخبة الأخبار ١٣٠٦

ديوان كثير : طبع الجزائر ١٩٢٨

ديوان المتنبى : مطبعة التأليف والترجمة والنشر

سنن الترمذى : مطبعة الصاوى ١٣٥٣

سنن أبى داود : المطبعة الكستلية ١٢٨٠

سنن النسائى : المطبعة المصرية

السيرة لابن هاشم : مطبعة بولاق ١٢٩٥

شذرات الذهب : القدسى ١٣٥١

شرح أشعار الهذليين : نشر دار العروبة ١٩٦٣

صبح الأعشى : مطبعة دار الكتب

صحيح البخارى : مطبعة بولاق ١٣١٥

صحيح مسلم : المطبعة المصرية ١٣٤٩
العقد الفريد : مطبعة بولاق ١٢٩٣
عيون الأخبار : مطبعة دار الكتب
فتوح البلدان : مطبعة بريل ١٨٦٦
فوات الوفيات : مطبعة السعادة ١٩٥١
الكامل لابن الأثير : المطبعة الأميرية ببولاق ١٢٩٠
الكشاف للزمخشرى : المطبعة الأميرية ١٣١٨
المثل السائر : مطبعة حجازى ١٣٥٤
مجمع الأمثال : المطبعة العامرة الخيرية ١٣١٠
محاضرة الأوائل : المطبعة العامرة الشرفية ١٣٢٥
مروج الذهب : مطبعة بولاق ١٢٨٣
مسند الإمام أحمد : المطبعة الميمنية ١٣١٣
معجم الأنساب والأسرات الحاكمة : مطبعة الجامعة ١٩٥١
معجم البلدان : مطبعة ليبزج ١٨٦٦
مفاتيح العلوم : مطبعة بريل ١٨٩٥
المنتظم : طبع حيدر أباد ١٣٥٧
المنتقى : طبع ليبزج ١٨٥٩
النجوم الزاهرة : مطبعة دار الكتب
نسب قريش : دار المعارف
النهاية لابن الأثير : المطبعة العثمانية ١٣١١
الوزراء للصابى : مطبعة عيسى الحلبى ١٩٥٨
الولاة والقضاة : طبع بيروت ١٩٠٨